مجلة كلية المأمون

مجلة نصف سنوية علمية محكمة

تصدرها كلية المأمون الجامعة

ISSN 1992 - 4453

العراق / بغداد

١٤٣٧ هـ - ٢٠١٦ م

٢٧

العدد السابع والعشرون

مجلة كلية المأمون العدد ٢٧ ١٤٣٧ هـ - ٢٠١٦ م

مجلة كلية المامون

مجلة علمية نصف سنوية مُحكّمة

تصدرها كلية المامون الجامعة

العدد السابع والعشرون

العراق/ بغداد مايس ٢٠١٦

الرقم الدولي الموحد للدوريات

ISSN: 1992-4453

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ
اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ
عَلَقٍ ﴿٢﴾ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ
﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾
صدق الله العظيم
سورة العلق
الآية : ١-٥

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة العدد

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين نبينا محمد وعلى آله وأصحابة أجمعين وبعد ...

فما من امةٍ ارتقت وتقدمت إلا بالعلم والمعرفة والايمان والعمل . ويبقى مسار العلم والابداع والاخلاق الحميدة عاملاً مهماً في اعادة نهوض الأمة وتنميتها وتطورها ، وطبقاً لهذا المفهوم فان للتعليم العالي والبحث العلمي دوراً اساسياً في بناء الدولة العصرية .

ولقد حرصت كلية المأمون الجامعة على السعي والمساهمة الجادة والصادقة في رفد مسيرة العلم والمعرفة في بلدنا العزيز من خلال البحوث العلمية المتنوعة الاختصاص .

القراء الكرام ... يسرنا أن نضع بين أيديكم العدد السابع والعشرين من مجلة كلية المأمون الجامعة . وهي نتاج علمي مبارك من عقول الباحثين والمثقفين . آملين ان تستمر في نيل استحسان قرائها ومحبيها وأن ننتفع وأياكم بعلومها المختلفة .

نسأل الله تعالى ان يكون عملنا هذا خالصاً لوجهه الكريم

والله الموفق ..

أ.د عبدالجليل عبدالواحد عمران
عميد كلية المأمون الجامعة
رئيس التحرير

الهيئة الاستشارية

- أ.د مثنى طه الحوري - جامعة الزيتونة - الأردن .
- أ. د. رضوان سالم المحادين - كلية اللغات الاجنبية- الجامعة الاردنية.
- أ.د. زكريا مطلك خضر - جامعة الاسراء الاردنية .
- أ.د خاشع عيادة المعاضيدي - كلية الرشيد الجامعة.
- أ.د صباح صليبي مصطفى - كلية اللغات - جامعة بغداد .
- أ.د زهير نعمان حمد - كلية التقنيات الصحية والطبية - بغداد.
- أ.د محمد علي الطائي - كلية القانون - جامعة بغداد.
- أ.د زياد طارق مصطفى - كلية العلوم-جامعة ديالى .
- أ.م .د رشيد حميد مطر الربيعي - قسم الهندسة الكهربائية - الجامعة التكنولوجية .

هيئة التحرير

رئيس التحرير
أ.د عبد الجليل عبد الواحد عمران

مدير التحرير
أ.م.د وليد عبد الله حسين

أعضاء هيئة التحرير
أ.د صلاح نعمان عيسى / المستشار العلمي
أ.د.غازي فيصل غدير / قسم التاريخ
أ.د برهان عبد اللطيف جاسم/ قسم التحليلات المرضية
أ.م.د قصي عبدالستار مجبور/ قسم هندسة تقنيات القدرة الكهربائية
أ. فائز غازي عبد اللطيف / رئيس قسم إدارة الأعمال
أ.م.د توفيق نجم الانباري / قسم القانون

سكرتير التحرير
غسان عبد القادر حميد / الوحدة العلمية

المراجعة اللغوية
د . رافد عبدالامير غانب
د. عمار محمد صالح

المراجعة الفكرية
أ.م.د.حقي إسماعيل عبد الوهاب
د.غسان عبد القادر حميد

الإدارة المالية
السيد مروان صلاح نعمان / مدير الوحدة المالية

الطبع والتنضيد الالكتروني

السيد انس فاضل لطيف /الوحدة العلمية

شروط النشر في مجلة كلية المأمون الجامعة

ان البحوث العلمية التي تقبل للنشر في المجلة تعتمد لإغراض الترقية العلمية وتسعى مجلة كلية المأمون الجامعة ان تكون من المراجع العلمية الرصينة للدارسين والباحثين والهيئات التدريسية في الجامعات والمعاهد والمؤسسات العلمية.

ومن خلال هذه الرؤية ترحب المجلة بنشر البحوث وفق الشروط الآتية:

١. يشترط في البحث المقدم للنشر ان يكون جديداً وان لا يكون قد نشر أو تم قبوله للنشر في أي مجلة أخرى.
٢. تخضع البحوث المقدمة للنشر للتقويم العلمي، ولا تعاد البحوث الى أصحابها سواء قبلت للنشر أم رفض نشرها.
٣. ألا يتضمن البحث ما يؤثر سلباً على وحدة المجتمع العراقي .
٤. يقدم البحث المراد نشره بالمجلة بنسختين مطبوعا على وجه واحد مع ترك هوامش كافية، وتقدم معه الرسوم والمخططات والجداول بحجم ربع ورقة (A4) للشكل الواحد، ويرسل البحث مخزوناً على قرص مدمج وفق نظام (الـ word2007 ونوع الحرف Times New Roman وحجم الخط ١٤)
٥. ان لا يزيد عدد صفحات البحث عن (١٨) صفحة بضمنها الجداول والمخططات ان وجدت.
٦. يتضمن البحث: عنوان البحث، اسم الباحث، اللقب العلمي ومستخلص باللغتين العربية والانكليزية على ان لا يزيد المستخلص عن (٢٠٠) مائتي كلمة لكل منهما.
٧. يشار الى المصادر العلمية في متن البحث وفي نهايته حسب الأصول المنهجية المعتمدة في ذلك.
٨. تستعمل دائماً وحدات القياس الخاصة بالنظام الدولي فقط Standard International Units .
٩. لا تستخدم المختصرات في عنوان البحث، أو في المستخلص فيما عدا المختصرات الخاصة بوحدات القياس.

الاشتراكات بالمجلة

- مبلغ الاشتراك السنوي بالمجلة (٣٥٠٠٠) ألف دينار عراقي.
- ثمن النسخة الواحدة من المجلة (١٥٠٠٠) ألف دينار عراقي.

تعبر الآراء التي ترد في المجلة عن وجهة نظر أصحابها ولا تعبر بالضرورة عن رأي هيئة التحرير أو كلية المأمون الجامعة

المراسلات:

كلية المأمون الجامعة- العراق - بغداد - شارع ١٤ رمضان

فاكس: ٤٥٢٢١٦٩

Mobile: 07901835731

Scientific- Unit @almamonuc.org
E-mail

الموقع الالكتروني للكلية

www.almamonuc.org

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد -٧ لسنة ٢٠١٦

حقوق الطبع والنشر محفوظة لكلية المأمون الجامعة

محتويات البحوث باللغة العربية

المحور	عنوان البحث	اسم الباحث	الصفحة
العلوم الاجتماعية	*التاريخ: • البحوث التاريخية بين الوعي بالتاريخ والإسهام في نهضة المجتمع	أ.د. هادي نهر	١
	• غزوة حنين ٨ هـ - تحليل وابعاد	د. غسان عبدالقادر حميد	١٣
	*الجغرافية: • المعلومات البيئية ومصادرها لدى طلبة كلية التربية الاساسية - جامعة واسط	ا.د مجيد عيسى هاشم ا.م.د ماجد مطر الخطيب	٣٠
	• التوسع العمراني وأثره في استعمالات الارض الزراعية في ريف ناحية الصقلاوية مقاطعة (أبو اسديرة) انموذجا.	د. اسماعيل محمد خليفه العيساوي	٥٤
العلوم الأدارية	• مقارنة الريادة المهنية ممثلة بالرحلة المرزومة لتوماس كوك بالابتكارات النظرية كما تعكسها تفاضلية الحاجات الانسانية لإبراهام مازلو	أ.د. مثنى طه الحوري	٧٦
	•نحو منظور شامل لإدارة رأس المال البشري خيارات الاستراتيجية والعمليات والقياس	أ.د. زكريا مطلك الدوري د. يعرب عدنان السعيدي	١٠٣
	• المواءمة بين استراتيجية المحيط الأزرق واستراتيجيات الدخول والخروج من السوق وتأثيرهما في تحقيق الميزة التنافسية: دراسة استطلاعية لعينة من المديرين في مصرف الرافدين	أ. فائز غازي عبد اللطيف البياتي م.م عباس محمد حسين سعيد	١٢٥

المحور	عنوان البحث	اسم الباحث	الصفحة
	• تقييم جودة خدمات دائرة البعثات وانعكاسها في رضا الزبون باستخدام مقياس SERVQUAL	م.م. احمد عبد محمود	١٥٩
العلوم القانونية	• دراسة في الاحكام الاجرائية لدعوى حوادث الاستهلاك «دراسة مقارنة في ظل قانون حماية المستهلك العراقي رقم ١ لسنة ٢٠١٠»	ا.د. طارق كاظم عجيل	١٨٣
	• مفهوم اللجوء والهجرة في القانون الدولي وتطبيقاتها على هجرة العراقيين والسوريين	أ.م.د. علي حميد العبيدي	٢٠١
	• المادة الثالثة المشتركة من اتفاقيات جنيف الأربعة لعام ١٩٤٩ (اتفاقية مصغرة) دراسة قانونية تحليلية تطبيقية للمادة الثالثة المشتركة من إتفاقيات جنيف الأربع لعام (١٩٤٩) وبروتوكولها الثاني الإضافي لعام (١٩٧٧) في ضوء واقع التعامل الدولي.	م.م.خنساء محمد جاسم الشمري	٢١٨
العلوم التطبيقية	*التحليلات المرضية: • دراسة الفعالية الحيوية لبعض معقدات فلزات السلسلة الانتقالية الأولى مع حامض السالسيليك والسيفالكسين ضد أنواع من البكتريا	م.م. أثير عبدالرحيم محمود د.عبدالقادر محمد عبدالقادر م. زينة غازي فيصل	٢٥٠

البحوث باللغة الانكليزية

المحور	عنوان البحث	اسم الباحث	الصفحة
العلوم التطبيقية	• تأثير التجويع واعادة الاطعام على فعالية انزيم التربسين والكيموتربسين في امعاء سمكة الكارب العادي Cyprinus carpio	د. علي حسين حسن الغراوي	417
	• الفعالية الضد مايكروبية للمستخلص المائي الخام لبذور النومي البصرة تجاه بعض أنواع البكتيريا الموجبة والسالبة لصبغة كرام خارج الجسم الحي	أ.م.د بهاء عبد الله لفتة الربيعي أ.م.د تحرير هادي صالح م.د هند حسين عبيد	404
	** علوم الحاسوب:		
	• كشف الوجه في الزمن الحقيقي باستخدام المائلاب ومسيطر الاردوينو	د.عباس حسين مري	390
العلوم الهندسية	• تصميم و تنفيذ منظومة انذار الحرائق الذكية بالاعتماد على الشبكة اللاسلكية للمسافات الطويلة.	م. احمد علي راضي	374
	• تحقيق وتحسين نموذج النظام المكيف لاتصالات الفضاء البصرية.	د. حيدر مهدي الجبوري د. فلورين موول	356
	• تطوير كفاءة شبكات SCM SAC-OCDMA الهجينية باستخدام كود قطري متعدد	د. راشد علي فياض د. علي مهدي حمادي	336
	• قياس الكثافه النيوترونيه المؤثره على الاطوار المختلفه باستخدام تقنية الابعاد المحتمله	أ.م.د عباس علي محمود	320

المحور	عنوان البحث	اسم الباحث	الصفحة
اللغة الانكليزية والترجمة	• ادلة المقاومة والاستيعاب: دراسة تحليلية لمرحلة ما بعد الاستعمار في ديوان الشاعرة مهجة كهف (رسائل الكترونية من شهرزاد)	د. حيدر جبر غبن	298
	• لطائف التعبير والترجمة: دراسة في ثلاث ترجمات للتعابير اللطيفة في سورة البقرة	د. رافد عبد الامير غانب	273

البحوث التاريخية بين الوعي بالتاريخ ، والإسهام في نهضة المجتمع

أ.د. هادي نهر
عميد كلية مزايا الجامعة الأهلية

المستخلص

يبين البحث أن التاريخ علم له قواعده وطروحاته ومناهجه ، فهو ليس أحداثا تحكى سردا مجردا ولذلك نجد أن الوعي به وعي بتراث الأمة وأحداثها ، وانتصاراتها ، وانكساراتها ، وعلل ذلك كله .

ولذلك فنحن بحاجة الى بحوث في التاريخ أصيلة ،وممنهجة وقادرة على اعادة تشكيل الوعي الاجتماعي والفكري والسياسي ،والاقتصادي، والحضاري ، والتربوي ،للإفراد والجماعات والشعوب والامم .

ومن الموسف أن تتحول أكثر البحوث التاريخية الى مجرد حكايات تسرد تنتجها منابر ثقافية ، أو أكاديمية أو سياسة في غياب عن الحقائق العلمية بالتاريخ ،وبالفكر ،وبالحضارة، وهي لذلك أبعد ما تكون عن الإسهام في تقدم المجتمع في حركته المعاصرة والمستقبلية والبحث بعد هذا يطرح جملة من الأسئلة منها :

- ما التاريخ ؟ وما شروط الوعي به ؟
- وما هي مواصفات البحث التاريخي القادر على الاسهام الجاد في بناء المجتمع وتقدمه ؟
- وماذا يشترط وعي التاريخ أو لنقل (وعي الثقافة) من ممارسات بحثية ومنهجية على مستوى النظرية والمعاينة والبنية و التمييز بين (العقل والنقل) و(التوكل والتواكل) و (العلم والسرد المجرد) و (الحوار والجدال والخصومة) ؟

Abstract

Regarding the research and its future movement, there are some points or that questions must be mentioned as follows:

-What is history?what are its awareness conditions ?

-What is the classifications of historical research which can be capable to contribute in building up the society with its advancement ?

-What are the conditions of awareness of history or transfer of cultural awareness ?

The abovw questions are answered through the practicing of research and methodology on the same level of theory, according to checking the construction and distinguishing between (mind and transferring), between dependence and reliability, between abstract and descriptive science, and between dialogue, argument and hostility

المقدمـــة :

إن معادلة الوعي بالتاريخ بوصفه علما لا أحداثا ووقائع تحكي سرداً مجرداً هي معادلة ال(نحن) و (الآخر) ،ومشاركة التاريخ في بناء الأمّة ، أو توقفه عن هذه المشاركة . في الوعي بالتاريخ نجد الوعي حاملاً لثقافة الأمة ،وتراثها ،وأحداثها ، وانتصاراتها ، وانكساراتها وعلل ذلك كله ،وفي النظر الى التاريخ بوصفه حكايات نجد التاريخ صورة مفردة ، جزئية ،جامدة ليس للمؤرخ الجاد فيها أن يضع مواصفات ، ويبحث عن معايير ، وعن مسار تاريخي حضاري ،وخطوط فكرية ، وروحية ،وقيمية فاعلة ومتحرّكة ، ودائمة .

إن الوعي بالتاريخ يرتبط بحياة أصحاب هذا التاريخ ، ويعبرّ عن محاولات وبحوث أصلية مخطّطة ، ومنهجة قادرة على اعادة تشكيل الوعي الاجتماعي والفكري ، والسياسي ، والاقتصادي والحضاري ، والتربوي للأفراد ، والجماعات والأمم على نحو يمكن من خلاله خلق أجيال على مستويات معنوية عالية ، وطاقات فكرية وعلمية ومعرفية قادرة على ربط الحاضر بالماضي والتفاعل مع مجتمعاتهم بقوّة ، معبرّين عن عالمهما الحضاري والفكري والفني الذي تكوّن عبر التاريخ .

إن عملية التاريخ تمثل انعكاسا لوعي الباحثين بطبيعة تاريخهم ،وقيمهم ، وعاداتهم ،واعرافهم وإرثهم وأنظمتهم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ، إنه وعي بفكر الأمّة وبمختلف مجالات القوة والضعف فيها كل ذلك بالاستناد الى رؤى منهجية ونقدية في النظر الى ذلك التاريخ .

وسنحاول في البحث التدليل على أن كثيراً من بحوث التاريخ قد اصبحت مجرّد حكايات تسرد تنتجها منابر ثقافية أو أكاديمية في غياب عن الحقائق العلمية بالتاريخ ، وبالفكر ، وبالحضارة ، وهي لذلك أبعد ما تكون عن الإسهام في تقدم المجتمع في حركته المعاصرة والمستقبلية .

مـا التاريـــخ ؟

التاريخ فرع من فروع العلم الذي تتكامل به المعرفة ، ويتحدّ الإيمان ، ويسمو العقل ، ويصير البحث فيه علما لا نقلا ، إبداعا لا تقليدا ، بناء لا تسلية ، فهما ، ونظرا ، وتلقيا ، وتميزا ، وموازنة وبهذا يؤدي المؤرخ ، او الباحث في التاريخ رسالته الحقيقية ، ويحدّد رؤاه ، ويدل على دوره في بناء المجتمع من خلال معاينة شمولية على مستوى التنظير ، والتعليل ، والبرهنة ، والتكامل ، الوظيفي بين الوعي بالتاريخ من حيث هو بنية للسياق الحضاري والثقافي والروحي والسياسي للشعوب وللأمم .

والوعي بالتاريخ لا ينشأ من فراغ ، بل ينشأ من جراء الأفكار ، والمفاهيم والتصورات التي تثيرها عملية البحث الواعية في وقائع التاريخ وأحداثه وما تمخّض عن هذه الوقائع ، وما يقف وراءها من علل وأسباب ودوافع مما يؤكدّ القول بأن العلم في اسمى أشكاله يمثّل تجربة خاصة وجزئية من تجارب العقل الإنساني ، وبذلك يختلف عن العقل بوصفه " رؤية للوجود والأشياء " (١) ، ومعنى ذلك أن الوعي بالتاريخ يدلنا على أنّ العلم نفسه طريقة للحكم يكوّنها الذهن بعد أن يعقد الصلة بالتاريخ وبقيمة ، وبغيره من علوم الاجتماع ، والسياسة ، والاقتصاد ، والجغرافيا وغيرها ممّا لها تماس بعلم التاريخ وتمثّل بمجموعها صورة إنسانية كبرى خاضعة – أو هكذا يجب أن يكون أمرها – لسلطة العقل ، والتفكر ، والتأمل في مفاهيمها العامة .

والسؤال الذي يطرح هنا:ما هي مواصفات البحث التاريخي القادر على أن يسهم إسهاما جادّا في بناء المجتمع ، وتقدّمه ؟

ونرى أنّ البحث في التاريخ لا يكون فاعلاً في حركة المجتمع ، ولا يمكن له أن يسهم في وصل الماضي بالحاضر ، وتوظف معطيات الماضي لخدمة الحاضر ، وتفعيل دور الحاضر في الكشف عن الجوانب المشرقة التي ضمّها الماضي أحداثا ، ووقائع ، وقيما ، وأفكارا إلا بابتعاد البحث في التاريخ عن المظاهر والظواهر الآتية :

اولاً : الابتعاد عن الثقافة الجاهزة ، والمباشرة التي تقترب من حدّ الثقافة المنبرية ، أو الخطابية ، أو الإعلامية الرسمية ، لأنّ الثقافة الجاهزة لا تستطيع أن تلبي أدنى الحاجات الاجتماعية ، والثقافية للمجتمع ، ولا تستطيع أن تشخص مواطن الخلل في وقائع التاريخ والخروج ببدائل نظرية قادرة على أن تكون تجارب وعبراً للحاضر وهو يقاوم تيارات الاستلاب الفكري ، والغزو الثقافي العولمي .

أنّ عالمنا العربي وما يسمى بـ (الدول النامية) لم يجد أمامه في أغلب الأحيان سوى أنماطاً جاهزة ومناهج مكتشفة ،" ولهذا أسرف أكثرنا في تقمّص الأفكار ،

والمفاهيم الوافدة من خلال اجترارها وتقليدها " (٣) حتى انزلق بعض باحثينا ومؤرخينا الى متاهات تلك المفاهيم والأفكار حاملاً أسيافه على رقاب تراثه ، أو تاريخه ملقيا تبعات تخلفه المعاصر على ذلك التراث والتاريخ .

ثانياً :غياب العقلانية :

إن أي بحث في التاريخ أو غيره من العلوم المعرفية الإنسانية لا يكون عقلانيا لا يمكن أن يكون فاعلاً في بناء الفرد والمجتمع .

فالعقلانية هي التي تبدع العمل الموضوعي ، والصحيح ،والذي يتمثل الحقيقة لاسيما إذا أدخلنا في الاعتبار الالتزام العقائدي في مجالات : الفقه ، والمنطق ، والأخلاق ، وعلم الجمال ، والاجتماع والحقائق المطلقة الخاصة بالكون وخالق الكون ومبدعه ، ومصير الانسان والحضارات والأمم .

إنّ غياب العقلانية في البحث ، والتحليل ، والطرح سيلقي بنا في (مصبّ المتناقضات) ، وسيجعل من بحوثنا بحوثا تتعامل مع الظواهر ، والمفاهيم والأفكار الدينية والجمالية تعاملاً بدائيا سطحيا لا يدلّ على عدم الوعي الثقافي الذي يروّج أحيانا لتسميات ومقولات ومصطلحات مبهمة المفاهيم والدلالات .

ثالثاً :النزعة الكاريزمية :

هذه النزعة التي من أبرز سماتها الخضوع والطاعة لكل القواعد والتقاليد ، والأحداث والوقائع التاريخية من غير تلمّس أسبابها ، ونتائجها بحيث ينسب لهم صنع التاريخ (البطولة والقداسة التي تصل الى حدّ التأليه أول إذا شاعت هذه النزعة في البحث التاريخي ستحدث تصادما حادّ بينها وبين العقلانية من جهة وبين العواطف المجردّة والعقل من جهة أخرى ، وبذلك يتلبّد الذهن ، وتلغى موجوديه الانسان الباحث عند جبروت التقاليد ، والولاءات ، والشخوص ثم نألف أنفسنا مع بحوث نرجسية (دوغمائية) تجافي العقل والحقيقة العلمية ، ويعطّل كلّ نزوع تنويري ، أو نقدي موضوعي ، ويتعطل تبعا لذلك فعل التاريخ في حركة المجتمع ويعجز عن دمج (الأصيل) بالمصير ، ويحلّ محلّ ذلك انقسامنا بين أنصار للأصيل بلا مصير ،أو انشغالنا بالمصير بلا أصيل(٤) . وحينها نعجز عن استجلاء كلّ الحقائق الفاعلة في حضارتنا وإرثنا ، وطرح كلّ الشوائب عن ارثنا الحضاري الضارب في اعماق التاريخ .

رابعاً :الاسراف في تلقي الحداثة :

كما هو حاصل في أكثر البحوث والدراسات التاريخية التي جعلت من الحداثة مبتكراً من مبتكرات العصر الراهن لابدّ الأخذ بطروحاته بوصفها مسلمات لا تقبل الطعن فيها . وما الحداثة في نظرنا إلا محصلة لنتاج ثقافي ، ومعرفي ، وعلمي ، أسهمت في تكوينه كلّ الحضارات الأنسانية السابقة من خلال مجمل الابتكارات ، والنظم ، والمفاهيم ، والفلسفات ، الأساسية والجوهرية (٦) ، وعلينا قبل الاسراف في تلقي الحداثة أن، نحدّد طبيعة التحديث الذي نقصده ، ومن أي منظور نرصده؟ وهل نحن قادرون فعلاً على تبنيه ؟ وهل عندنا - نحن العرب - مشروع حضاري حقيقي محدد ، وموصوف ، ومخطط له للتحديث ؟ وهل لنا أن نستسلم لواقع الهيمنة وسيطرة الثقافات الوافدة بسهولة ؟ وما الأسلحة التي يجب علينا امتلاكها للوقوف بوجه هذه الهيمنة وصد عولمتها ؟ وكيف يمكن لنا انعاش ما هو ايجابي في تاريخنا وتراثنا ودراسته وتوظيفه في خدمة حاضرنا ، مدركين أنّ اسهام التاريخ الماضي في حركة الحاضر هو فاعلة ، والنهضة او " الثورة وسيلة تحضّر لا وسيلة تحذير " (٧) ، ولا خوف من الثورة الا اذا استطاعت أن تحولنا من أمّة منتجه الى مستهلكه ، والثورة من غير علم ، ولا تنظيم ستكون مهلكة ونقمة ، وكذا الأمر في البحث التاريخي الذي لا يقدر على الذهاب الى ينبوع القدرة على الكشف ، والانتاج التنويري النهضوي المؤثر .

خامساً : اعتماد مبدأ التبرير:

لايجوز في البحث التاريخي الرصين والفاعل في تقدّم المجتمع أن يعتمد الباحث فيه مبدأ التبرير ، وإلقاء المسؤولية على الآخرين ، واتخاذ الموقف العاطفي الذي يتصدّى لقايا التاريخ الحاسمة والخطيرة من وجهة نظر ميكانيكية لا تخضع الأحداث ، والظواهر المدروسة إلى منطق عقلي يؤكد وعينا بالعلاقات الدلية بين ثنايات متعدّدة منها :

- ثنائية النص والعقل .
- ثنائية الايمان والعلم .
- ثنائية السياسة والأخلاق .
- ثنائية التراث والمعاصرة أو الحداثة .

سادساً : النقد غير الممنهج والإسراف في التعميم :
ليس هناك أخطر من نقد لا يستند إلى رؤية شمولية قادرة على رسم معالم المستقبل ، وكلّ نقد يتحدّث في مشكلات مفترضة لا مشكلات عينية قائمة فعلاً هو نقد لا يتجاوز حدود صاحبه ، فنحن في الواقع بحاجة الى بحوث قائمة على قراءات شاملة للتاريخ مجرّدة لكل نوازع الهوى ، والتعصب ، والتطرف ، والإسراف في تعميم الاحكام ، والتفسيرات الذاتية ،العائمة ، والفضفاضة ، والمجافية لروح البحث العلمي الصحيح من غير سند علمي يؤكد شمولية تلك الأحكام . إن البحث في التاريخ وغيره من العلوم والمصارف يجب أن لا يقتصر على التعميمات والدقة في جمع البيانات وتحليلها ، والتوصل الى الحقائق الموضوعية والتقيد بمعايير البحث العلمي الرصين من دقة ، وملاحظة ، وتجريب واستدلالات منطقية ، واستنتاجات جامعة ، وغير ذلك من شروط البحث العلمي الفاعل والمنتج والمؤثر . (٧)

سابعاً :إغفال علاقة التاريخ بالعلوم الأخرى :
ممّا لا جدال فيه أنّ التاريخ علم حيوي له أسسه ، وطرائق بحثه ، ومناهجه ، وأهدافه ، وله خطواته وحركته الخاصة بين حقول المعرفة ، حتى اطلق أحدهم على العصر الحديث (عصر التاريخ) (٩) ، وقد تأثر علم التاريخ بالعلوم الاقتصادية ، والاجتماعية ، والسياسية ، والدينية ، والفكرية الحديثة ،وقد وضح ذلك في توسيع فروعه ، وفلسفته ، واتجاهاته ، غير أنّ أخطر ما حدث في العصر الحديث هو أن البحث في التاريخ في أكثر حلقاته صار بحثا في تاريخ العالم الغربي ، وقد عمل المؤرخون والمفكرون الأجانب على الترويج الا أن أوج التطور الحضاري للبشرية هو الحضارة الغربية ، وانّ كلّ تاريخ اخر ممهد للتاريخ الغربي ، أو هامش من هوامشه ، ولقد وصل الأمر مع بعض المفكرين إلى القول بـ (نهاية التاريخ والإنسان الأخر)كما فعل (فوكو ياما) (١٠) ، الذي زعم بانّ نهاية التاريخ تحدّدت في رأس امريكي مرفوع على ايقونة أو جسد ياباني ، ولم يعد إنسان أخر على مسرح التاريخ ، ويسقط كلّ دور لهما ، وفي هذا تجنّ يتجاوز العولمة إلى ما بعدها ، والمطلوب أن يحترس الباحث في التاريخ من هذه الدعوات الفاتكة ' ويقبل على دراسة التاريخ بوعي ثاقب بما حول التاريخ من علوم ، ومعارف لابدّ للمؤرخ من الإلمام بها كـ (تاريخ الاقتصاد ، والإدارة ، والقانون ، وعلم ، الاديان ، والدبلوماتيك ، والباليوغرافيا (أي علم الخطوط القديمة) ، والسجلو غرافيا (أي دراسة الشارات والأختام) ، والفيلولوجيا (فقه اللغة) ، والرنوك (العلامات المميزة) والمنيات (علم النقود) ، والآثار وغير ذلك من العلوم المتصلة بعلم التاريخ (١١) .

ثامناً : الاكتفاء بالزمن الحديث والسرد المجرّد :

وتقصد بالزمن الحديث زمن الحروب ، والانتصارات ، والانكسارات ، والمعاهدات الذي استأثر باهتمام بعضب الباحثين على الرغم من أن هذا الزمن نسبّي وجزئي ، ومضلّل أحياناً ، لا أنه يقف عند التموجات السريعة التي لا يتسنى فيها ، أو ضبطها إلاّ في سياقها البنيوي (١٢).

ونرى أنّ الاهتمام بالزمن الحديث أدى الى أن تفضل الدراسات التاريخية وغيرها (الزمن) نفسه ، أعني السياق التاريخي الذي تجري فيه الأحداث .

إنّ أيّ قضية و مشكلة ، أو حدث تاريخي أو سياسي ، أو اقتصادي ، أو اجتماعي أو غير ذلك يزداد تعقيدا إذا ترك عدداً من السنين دون أن يبذل جهد لحله ، أو الكشف عنه ، ويزداد الأمر تعقيداً أكثر حين يجد أحد طرفي ذلك الحدث ، أو المشكلة له مهربا منه على مرّ الزمن فيستفيد من مجريات الأمور الثانوية التي تنشأ بصورة طبيعية أو تنشأ - بضم التاء – بصورة اصطناعية ، فتلقي بظلالها على صلب الموضوع الذي كان واضحا في البداية ، وعندئذ يكون هناك الكثير مما يدور حوله الكلام ، و الخلاف " والكثير من المسائل التي تثار بصورة زائفة " (١٣) ، ودونا في ذلك قضية فلسطين منذ استلابها والى يومنا هذا .

أما الاكتفاء بالسرد ، ومحاولة التأكيد على سلامة المقاصد والنيات في كتابة التاريخ فهو من مظاهر غياب الدقة العلمية ، وعمق التفكير، والفشل في ردّ المقولات الضاربة في الجهل بحقائق الامور ، والمفاهيم ، المخرّبة والرخيصة ، والدساسة التي حاولت وتحاول دائما تشويه الأوجه الناصعة من تاريخنا الاسلامي ، وتمزيق الأواصر الاجتماعية والدينية والوطنية والمصيرية التي تربط أبناء البلد الواحد ، أو تربط أبناء الأمة الواحدة .

إنّ القضية اليوم ليست قضية الدين الاسلامي بقدر ماهي قضية (مسلمين) لم يعودوا يمتلكون أي قبس من نور القرنين العشرين والواحد والعشرين ، هؤلاء قد صرفو ويصرفون عقودا من الزمن في محيط من النزاعات ، والخلافات ، والانكسارات ، والتخلف والانحطاط ، إزاء عدو أو أعداء كثر استطاعوا أن يتشبعوا بروح العصر ، وتطبيقات العلم ، وأن يستندوا الى كلّ مبتكرات العصر في تنمية مواردهم ، وصنع تقدمهم التقني ، وتطوير فنونهم وانتاج ثقافتهم في ظل الحرية والعدالة الاجتماعية ، وبعيدا عن اساليب القهر ، والتسلط ، والظلم .

إن معرفة الصواب في رسالة العرب والمسلمين اليوم انما تتم من خلال مبادئ الإسلام نفسه ، وذلك بالعمل على (إصلاح كلي) يدل على أنّ " الإسلام حيّ ، ديناميكي ، متجدّد يساير تطور الأحوال في المجتمع الإنساني " (١٤) ، والناظر لتاريخ الاسلام بعين حيادية منصفة ليجد في هذا التاريخ قوما اكدوا وجودهم في حركة الإنسان الحضارية ، وكان لهم فعلهم الحضاري والانساني العظيم ، وهم

جديرون اليوم بكلّ حقوقهم المشروعة والمعتدى عليها ، أو المغتصبة . مع اعترافنا نحن أبناء اليوم بأن " حاضرنا قد قصر عن ماضينا فاكتفينا باجترار أمجادنا الغابرة " (١٥) من غير أن نفكر في صنع مشروع حضاري جديد ، ولا يجوز لنا اليوم أن نستصدر من التاريخ قراراً في مصلحتنا لمجرد أننا عرب ، ولمجرد أن ماضينا مجيد .

مـــا المطلوب ؟

إن مقتضيات البحث العلمي الناجح والفاعل والمؤثر تلزم أن يكون هذا البحث نتاج عقلية معمقة ، وعقل تداولي يمتلك إمكانات وآليات بحثية قادرة على التواصل ، والتبادل ، والتحليل ، والتركيب ، والكشف لخلق أنساق جديد من الحقائق المتفرقة وبهذا وحده يمكن للبحث العلمي أن يؤسس ، ويبني ، ويسهم في تقدّم المجتمع وتطوره .

إن الذي يكفل نجاح أيّ بحث هو قدرته على جذب الآخرين إليه بما يضمن للجامعات ومراكز البحث العلمية تشكيل (حلقات بحثية) أو (جماعات متماسكة) من الباحثين القادرين فعلاً على تطوير المعرفة والعلم وخطط التنمية داخل المجتمع المعين ، وذلك بالاحتكام إلى رؤية منهجية ، ونقدية من مشكلات الحياة والعصر ، متّسمة بالصيرورة ، والتجدّد ، والأنسية ، ولذلك يشترط (وعي التاريخ) أو لنقل (وعي الثقافة)ممارسة (راد يكالية) على مستوى المنهج ، ومعاينة شمولية على مستوى النظرية من أجل خلق تكامل وظيفي أداني بين الوعي بالتاريخ من حيث هو بنية للسياق الحضاري والاجتماعي والثقافي والديني وللتاريخ نفسه للأمة المعينة ، وبين الوعي من حيث هو أداة محرّكة لعجلة التاريخ والنهوض والتقدّم ، وبهذا الأداء الوظيفي يكون الوعي بالتاريخ إدراكا وفهما لمختلف التعقيدات ، والملابسات ، والأحداث ، والتطورات التي مرّت وستمرّ على الشعب أو الأمة المعينة .

إننا إذ نضع مواصفات فإنما نبحث عن معايير، وعن محتويات ، عن مسار تاريخي حضاري ، وعن خطّ فكري موحّد ، وفاعل، ومحدّد ، فالبحث الجيد ليس نشاطا تعليميا ، أو تطوعيا وحسب ، وإنما هو مرتبط ارتباط ديناميكيا بكلّ جوانب الحياة ، معبّر عن محاولة منظمة ، ومخططة تعيد تشكيل وعينا الثقافي ، والحضاري ، والعلمي ، والاقتصادي ، والسياسي ، والروحي على نحو يخلق أفراداً وجماعات ذوي مستويات فكرية وثقافية وعلمية فاعلة في حركة المجتمع وتطوره ، ولا يكون الأمر كهذا المأمول الموصوف إلا إذا نجحنا بإبداع بحوث ضمن المواصفات التي نحتاجها وهي كما يأتي:

أولاً :
بحوث بعيدة عن الخلط بين موضوعية الحقائق والسنن والطبائع من جهة ، وذاتية الاستخدام الإنساني والاجتماعي لهذه السنن والطبائع

ثانياً :
بحوث يشترط فيها الباحث على نفسه اشتراطا ثوريا تنويريا بقضايا المجتمع ، وانشغالات الإنسانية ، مخاطبة الضمير الإنساني ، ومستجيبة لتطلعات الناس على مختلف شرائحهم الاجتماعية .

ثالثاً :
بحوث خارجة عن دوائر التكرار ، والتبعية الفكرية ، والثقافة الجاهزة ، وذلك لا يكون إلا في ظلّ (الحرية المسؤولة) وبإعطاء العقل العلمي مكانته في الذهن العربي بما يمكننا من التمييز بين (الحقيقة وتفسيرها)وبذلك يمكن أن نعطي لكلّ ميدان معرفي حقه ، وحدوده بما يسمح بالوصول الى الحقيقة التي يحترم في ضوئها العلم وأهله .

رابعاً :
البحوث تهدف إلى إحياء العناصر التوافقية التي عرفتها الثقافة العربية الاسلامية ، وإزاحة كل الترسبات والآثار السلبية الخطيرة التي باتت على صفحاتها الراهنة .
ومن هنا يمكن القول : إنه لا يمكن لأيّ مشروع بحثي يدعو للتجديد ، والتنمية ، وخدمة المجتمع وتطوره من غير أن يكون هذا المشروع مستندا إلى عقل تكاملي ممنهج على المزاوجة بين (النص) و(العقل) والقيم والحقّ. والنزاهة والصدق والأمانة العلمية التي هي من أدق السمات الحيّة لأيّ بحث علمي.

خامساً :
بحوث تاريخية ترفض أن يحاكم واقعنا العربي والاسلامي بمقاييس وايديولوجيات وافدة . وهذا بحاجة الى جماعات من الباحثين المستنيرين الذين لا يداخل قلوبهم الهوى ، والزيغ ، والتعصّب الأعمى ، والتطرف والتحزّب على حساب الحقّ ، والقيم ، والمثل العليا .
إن إنسانية الأمة العربية ، وإنسانية الإسلام مرتبطة بسياق التطور الإنساني ، وتاريخ التجربة الحضارية الإنسانية ، وذلك ما يجب تأكيده دائماً ، وبهذا التوجّه يمكن صنع بحوث علمية تترجم كلّ القواسم المشتركة بيننا وبين الأخرين .

سادساً :
لابدّ من بحوث وأطاريح تلحّ على دور العقل في بناء النهضة وتميّز بين (العقل والنقل) و(التوكّل والتواكل) ، وتتجاوز حالتين اثنتين لا تزالان في حدود بعض ما ينتج من بحوث ، أولها : ما يأخذ شكل المسلّمات التي يحترس أكثر الباحثين من

مناقشتها مناقشة جادة وهادئة . وثانيهما : الثقافة الجاهزة التي يعكف أكثر الباحثين على تداولها في بحوثهم دون وعي بخفاياها ، وأسرارها .

سابعاً :

لابدّ للبحوث العلمية من ان تراقب دور الزمان والمكان والظرف الموضوعي في وجه أزمة الجفاف في المشاعر الإنسانية ، والفتور في العلاقات الاجتماعية ، والعزلة التي تصنعها النرجسية والانغلاق على الذات ، والاحساس بكآبة الوجود الإنساني ، والميل الى العنف والكراهية ، والتناحر مما يعطّل خطط التقدّم والتنمية في أيّ مجتمع .

ثامناً :

أما من حيث المنهجية فأننا بحاجة الى منهجية (تعدّدية) لا تدرك بمعناها الأحادي البسيط، وإنما بمعناها المركب المفهومي الذي يمتلك مستوياته المتعدّدة التي تنطلق من فهم الواقع الاجتماعي : أبنيته ، ومساراته ، ومفاهيمه ، وأفكاره ، ومن ثمّ القبول بالآخر مساويا ومختلفا في آن واحد .

إن اقتناع الباحث بأنّ هويته تعددية بمعنى إنها " سويّة ، وجودية مبنية على تعارض الميول والأهواء ، أو التباس المعاني ، وتواتر الأضداد بقدر ماهي مسرح لتعدّد الأطياف ، والصور ، والاشخاص ، والأصوات ولذا فالتفكير على نحو التداولي ، ومن منظور تعدّدي يعني مقاربة الظواهر، وتفسير الوقائع ، ومعالجة المشكلات تحتاج الى أكثر من منهج ، أو منطق ، أو نموذج " (١٦) .

تاسعاً :

وأخيراً لابدّ من الاشارة الى انّ حضور المؤسسات الثقافية الرسمية الدائم في صلب العمليات البحثية التاريخية خصوصا والفكرية عموما قد يكون له أثر سلبي على واقع الدراسات والأبحاث ، والرؤى ، والمفاهيم التي يحاول الباحثون الخوض فيها ، واكتشاف أسبابها ، وعللها ، لأن عدداً غير قليل من هذه المؤسسات قد خلطت بين أهدافها الثقافية والإعلامية والسياسية وبين حيادية البحث العلمي المفترضة ، وبدلا من أن تكون المؤسسة الرسمية المعنية مؤسسة مجدّدة ، ومساعدة بل خادمة للعلمية البحثية ، صارت عائقاً ، ورقيباً ، وخصماً ، وحكماً ، على الرغم من كون بعضها لا يملك أيّ شرط من شروط الثقافة الواعية المبدعة .

إن إشاعة اخلاقيات الحوار ، والبحث ، والنقد ، والتحليل ، والمناقشة في جوّ من الحرية المسؤولة ، والهدف الإنساني الأشمل كفيل بإبداع بحوث فاعلة في حركة المجتمع ، وخططه التنموية وعلى الأصعدة الحياتية كافة .

هوامـــش البحـــث

١- بوتزد ، أميل : العلم والدين ص ٤١٥ .
٢- الربيعي ، اسماعيل نوري : أضداد أم أنداد ص ٥ .
٣- الحوسني ، د. ابراهيم راشد : أثير التحدث الغربي في الهوية ص ١٦٤ .
٤- نهر ، د. هادي : البحوث اللغوية والأدبية ص ١٥ وما بعدها .
٥- الرميحي ، د.محمد : المسلمون والعصر ص ٣٢ .
٦- ينظر : د. سهيل فرح : حركة الخطاب الفلسفي ص ٨٣ .
٧- الهراغي ، الطابع : نقد الموقف التراثي ص ٢ .
٨- ينظر جاذفي ، د. وليم : الاتصال أساس النشاط العلمي ص ١٣٠ .
٩- ينظر : العقاد ، عباس محمود : ما يقال عن الإسلام .
١٠- فوكو ياما : نهاية التاريخ والإنسان الأخر ص ١٢ .
١١- ينظر برجس عزام : علم تحقيق الوثائق ص ١٥ وما بعدها .
١٢- جفريز ، ج . م . ن : فلسطين اليكم الحقيقة ١٧/١-١٨.
١٣- الدوري ، د. عبد العزيز : نشأة التاريخ عند العرب ص ٧ .
١٤- النويهي ، د. محمد : نحو ثورة في الفكر الديني ص ١٥٤ .
١٥- قنصرة ، د. صلاح : دور المنهج العلمي في النقد ص ٤٢ .
١٦- حرب ، د. علي : مسألة التغيير ص ٢٢٨ .

روافـــد البحـــث

- برجس عزام : علم تحقيق الوثائق . دمشق /١٩٩١- ١٩٩٢.
- جاذفي ، وليم : الاتصال أساس النشاط العلمي . ترجمة : د. حشمت قاسم . الدار العربية للموسوعات -بيروت /١٩٨٣.
- جفريز ، ج . م . ن : فلسطين إليكم الحقيقة . ترجمة : أحمد خليل الحاج – الشارقة – الإمارات /٢٠٠٠ .
- الحوسني ، د.إبراهيم راشد : أثير التحديث الغربي في الهوية في مجتمع إسلامي – (حالة دراسة) الشارقة – الإمارات /٢٠٠١ .
- الدوري ، د. عبد العزيز : نشأة التاريخ عند العرب – مركز زايد للتراث والتاريخ – دبي – الإمارات /١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ .
- الربيعي ، د. إسماعيل نوري : الغرب والإسلام (أضداد أم أنداد) – دراسة مجلة التسامح – العدد (٥) عمان – مسقط / ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ .

- الرميحي ، د. محمد : المسلمون والعصر (كتاب العربي الرابع عشر) – الكويت / ١٩٨٧ .
- د. سهيل فرح : حركة الخطاب الفلسفي المعاصر في لبنان – من أعمال المؤتمر الفلسطيني العربي الثاني – عمان – الأردن /١٩٨٧ .
- علي حرب : مسألة التغير بين المأزق والمخرج – دراسة مجلة التسامح العدد (٥) عمان - مسقط/١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ .
- فوكو ياما : نهاية التاريخ والأنسان الأخير – بيروت .
- قنصره ، د . صلاح دور المنهج العلمي في النقد الفلسطيني العربي – (بحث) من أعمال المؤتمر الفلسطيني العربي الثاني – عمان – الأردن /١٩٨٧ .
- النويهي ، د. محمد : نحو ثورة في الفكر الديني – القاهرة / ١٩٨٣ .
- نهر ، د. ادي : البحوث اللغوية والأدبية : الإتجاهات والمناهج والإجراءات – عالم الكتب الحديث – إربد الأردن /٢٠٠٩ .

غزوة حنين ٨ هـ - تحليل وابعاد

د. غسان عبدالقادر حميد
كلية المأمون الجامعة/الوحدة العلمية

المستخلص

بعد أن منّ الله تعالى على المسلمين بفتح مكة،في ظل أزدهار وانتشار الإسلام في الجزيرة العربية،اجتمعت بعض القبائل العربية التي لم تدخل الإسلام بعد، مثل هوازن و ثقيف ومضر وغيرها. وقرروا إعلان الحرب على المسلمين فوقعت الغزوة في شهر شوال من السنة الثامنة للهجرة في موضع يقال له حُنين في وادٍ قبل الطائف من جهه عرفات، وكان عدد جيش المشركين ثلاثين الفاً بقيادة مالك بن عوف الذي أمر قومه بأن يخرجوا جميعاً لملاقاة المسلمين بقيادة الرسول (ﷺ) وقوامه اثنى عشر الفاً ، لكن المسلمون اغتروا بكثرتهم، وقد ايقن الرسول (ﷺ) بأن المشركين وضعوا كمائن، لكنهم لم يظهروا الا بعد نزول كتائب جيش المسلمين الى المنحدر، فأرتبك الجيش وولى مدبراً ، ولم يبقى مع النبي (ﷺ) إلا قلة من أصحابه فصدوا هجمات المشركين وثبتوا ودعى الرسول(ﷺ) المسلمين الى الرجوع بعد أن بث فيهم روح الجهاد فأجتمع المسلمون ثانية وهجموا على المشركين فألحقوا الهزيمة بهم وفروا من ميدان المعركة تاركين وراءهم اسرى وغنائم كثيرة وهكذا كتب الله تعالى النصر لرسوله الكريم ونصره بجنود من الملائكة. في غزوة حُنين دروس وعبر ، فهي التي تبين فيها أن القوة من عند الله تعالى وأنه هو الذي يهدي وينصر ويسدد فلا قوة تأتي من غيره جل جلاله وأن الاعجاب بالكثرة حجب على المسلمين النصر في بداية المعركة ، فألكثرة لاتغني شيئاً ولا تجدي نفعاً في ساحات المعركة أذ لم تكن قد تسلحت بسلاح العقيدة والايمان وأخذت بأسباب النصر وقوانينه، وكان في ثبات الرسول (ﷺ) وشجاعته في القتال وعدم تراجعه مع قله من أصحابه والاستعانه بالله تعالى سبباً في نصر المسلمين ودليلاً ناصعاً عن عمق الايمان بالله ، وبان نتيجة المعركة ستكون الى جانب الحق، فكانت حنين بهذا درساً استفاد منه المسلمون غاية الفائدة ،قال تعالى ((*إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ*)).

الكلمات المفتاحية: حنين ،الطلقاء ، حصار الطائف ،غنائم حنين

Hunain Foray (8 A.H.): Analysis and Dimensions

Abstract

After the conquest of Mecca and the spread of Islam in the Arab peninsula, some tribes, which have not become Muslims then such as Hawazen, Thaqeef, Mudher, and others, agreed on fighting Muslims. The foray took place in Shawal, 8A.H. in a place called Hunain that lies in a valley before Taef on the side of Arafat. Non-Muslims were 30000 under the leadership of Malik bin Awf who gave his order that everyone in his tribe should participate in the war, while Muslims were 12000 under the leadership of Prophet Muhammed (PBUH). Muslims were overconfident in victory as they gather with this large number for the first time. Prophet Muhammed (PBUH) was certain that their enemy prepared ambushes for them, and these ambushes were implemented when Muslims got down in to the valley. Muslims got confused as they were not prepared for such fight, so they escaped leaving the prophet (PBUH) with few of his companion alone in the battlefield. Prophet Muhammed (PBUH) called on Muslims to get back to the battle reminding them of defending their religion. Answering this call, Muslims gathered again and attacked their enemy. Unbelievers were defeated, leaving behind them a large number of prisoners and much booty. The important lesson that we can get from Hunain foray is that it is not number of fighters or war equipment that leads to victory in war, rather it is the true belief in the goal one is defending.

المقدمة

لقد كان لفتح مكة كما قال ابن القيم ((الفتح الأعظم الذي اعز الله به دينه ورسوله (ﷺ) وجنده وحزبه الأمين واستنقذ به بلده وبيته الذي جعله هدى للعالمين من ايدي الكفار والمشركين ، وهو الفتح الذي استبشر به اهل السماء ودخل الناس به في دين الله أفواجاً واشرقت به وجه الأرض ضياء وابتهاجاً))[١] ، فكان لهذا الفتح العظيم رد فعل معاكس لدى القبائل العربية الكبيرة والقريبة من مكة حيث اجمعوا امرهم على المسير لقتال المسلمين قبل أن تتوطد دعائم نصرهم وتنتشر طلائع فتحهم ، وقد كان لمالك بن عوف النصري من قبيلة هوازن قائد جيش المشركين ، الدور الكبير في جمع قبائل هوازن وثقيف ومضر وجشم وسعد بن بكر وناس من بني هلال ، بغية محاربة المسلمين لجيش قوامه ثلاثون الف مقاتل، وقد أمر مالك بن عوف قومه بإن يخرجوا جميعاً لملاقاة المسلمين ويأخذوا معهم نسائهم وابنائهم واموالهم ومواشيهم في المعركة ليقاتلوا عنه فلا يفروا امام المسلمين[٢] ، فأعترض عليه دريد بن الصمة وقال له (وهل يرد المنهزم شيءٌ ؟ ،انها أن عليك فضحّت في اهلك ومالك)[٣] ، ولكنه لم يستمع لمشورته ، ولما بلغ الرسول (ﷺ) ، اجتماع هوازن وثقيف لحرب المسلمين ونزولهم في وادي حنين ، أمر جيش المسلمين وهو بكامل طاقته العسكرية ، عشرة الاف مقاتل من اصحابهُ الذين فتح بهم مكة من قبل، وألفين ممن أسلم من أهل مكة بعد الفتح (الطلقاء)[٤] ، أمرهم بالتحرك لملاقاة المشركين في حنين.

سميت هذه الغزوة بحُنين باسم مكان المعركة ، اذا انها وقعت على ارض حُنين ، وحُنين اسم وادٍ يقع الى جنب ذي المجاز ، بينه وبين مكة سبع وعشرون كيلومترا تقريباً من جهة عرفات.

غزوة حنين كانت من الغزوات الكبيرة في نتائجها وعبرها ، نتعلمها من السيرة النبوية، ومن هنا جاءت أهمية دراسة وتحليل الغزوة لبيان تلك الدروس المستقاة منها، لقد هدف البحث الى تذكرة القارئ الكريم بأحد أبرز واكبر غزوة للرسول (ﷺ) واستقراء ابعادها الاستراتيجية ،لذا تضمن البحث محورين أساسيين ، الأول: وقائع ومجريات الغزوة من خلال استحضارات جيش المشركين وأجراءات الرسول (ﷺ) في مواجهه المشركين وتفاصيل المعركة، وانتصار المسلمين ، وهزيمة المشركين، ومطاردة المسلمين لهم واستثمار الفوز ، أما المحور الثاني : فقد تضمن الابعاد الاستراتيجية للغزوة، حيث تناولت فيه أسباب اخفاق المسلمين في بداية الغزوة، وعوامل نصر المسلمين ومشروعية الغزوة ، والعبرة من توزيع الغنائم ، وغيرها من ابعاد، ولقد اعتمد البحث على مصادر التاريخ الإسلامي القديم والحديث ، جرى ذكرها في قائمة المصادر، ساعدت الباحث في إتمام البحث

بالشكل السليم، لقد حرص الباحث في تناول هذه الغزوة والتذكير بها لانها ليست حدثا تاريخيا ولى زمانه ، بل درسا عظيما في العقيدة الإسلامية وممارسة عملية لفهم قانون الأسباب والمسببات .

وقائع ومجريات الغزوة

إستحضارات جيش المشركين

اتخذ مالك بن عوف قائد جيش المشركين عدة استحضارات تعبوية لتهيئة الجيش لمقاتلة المسلمين، من بينها حشد النساء والأطفال والمواشي خلف المقاتلين لدفعهم للثبات في القتال وعدم التراجع، فمن الصعب الفرار، وترك ما وراءه في ميدان المعركة ، فعن أنس بن مالك (ﷺ) قال : (فتحنا مكة، ثم غزونا حُنينا ، فجاء المشركون بأحسن صفوف رأيت ، قال : فصُفّت الخيل ، ثم صُفّت الغنم ، ثم صُفّت النعم)[٥] ، ثم قام المشركون بأعداد جيشهم وتهيئته للهجوم على المسلمين. من خلال الاخذ بزمام المبادرة، لأن في الغالب أن يكون للمهاجم مزايا على المدافع حيث أتت هذه الخطة ثمارها بعض الوقت[٦] ، كما قام قائد المشركين بنصب الكمائن لجيش المسلمين مستفيداً من طبيعة الأرض وعملاً بنصيحة دريد بن الصِّمة العارف بشؤون الحرب فقام بأدخال جيشه بالليل في مضائق من وادي حُنين وفرقّ اتباعه في الطرق والمداخل ، واصدر اليهم أوامره بأن يرشقوا المسلمين عند أول ظهور لهم ، ثم يشدوا عليهم شدة رجل واحد ، وقد كاد هذا العمل أن يقضي على قوات المسلمين لولا لطف الله سبحانه وتعالى وعنايته (٧) ، وكان من ضمن خطة مالك بن عوف هو التأثير في نفوس المسلمين وشن الحرب النفسية وذلك بأن وضع اعداد ضخمة من الجمال التي صحبها معه في الميدان وجعلها خلف جيشه ثم اركب عليها النساء ، فكان لذلك المشهد منظر مهيب يحسب من يراه : ان هذا الجيش مئة الف مقاتل ، وهو ليس كذلك[٨] ، وقد وقف مالك خطيباً في جيشهُ يحثهم على الثبات والاستبسال ، وقال لهم : إذا رأيتم القوم : فكسروا جفون سيوفكم ، وشدُّوا شدة رجل واحد عليهم[٩] ، حيث جرت العادة في حروبهم أن يكسروا اجفان سيوفهم قبل بدأ القتال ، وهذا التصرف يؤذن بإصرار المقاتل على الثبات أمام الخصم .

إجراءات الرسول(ﷺ) في مواجهة المشركين

استطلاع قوات المشركين:

لما علم الرسول (ﷺ) على عزم المشركين على القيام بشن الحرب ضد المسلمين بعد فتح مكة ، قام بأرسال الصحابي عبد الله بن أبي حدرد الاسلمي حتى يأتي بأخبار المشركين وخططهم ، فذهب (ﷺ) ومكث بينهم يوماً او يومين ثم عاد ، واخبر النبي (ﷺ) بما رأى عن قوة وحجم المشركين في حُنين وعزمهم لقتال المسلمين[١٠] ، الا انه لم يحصل على المعلومات الدقيقة وخطط المشركين وتواجدهم في منحنيات الوادي ونصبهم للكمائن ،فكان للجهل بهذه الكمائن أحدى الأسباب الرئيسة وراء هزيمة المسلمين أول المعركة ، برغم من أن الرسول (ﷺ) قد بذل جهده في سبيل الحصول على أدق المعلومات وأوفاها لكي يضع على ضوئها الخطة العسكرية المناسبة لمجابهه العدو[١١] .

حشد قوات المسلمين وتجهيزهم بالأسلحة:

أعد رسول الله (ﷺ) كما ذكرنا جيشاً قوامه اثني عشر الفاً ، عشره الآف هم من خرجوا معه من المدينة قبل فتح مكة والفان من المسلمين الذين اسلموا بعد الفتح (الطلقاء) . وقد سعى الرسول (ﷺ) لتجهيز جيش المسلمين بالعدة والسلاح ، فطلب من أبن عمه نوفل بن الحارث بن عبد المطلب ثلاثة الآف رمح إعارة ، وطلب من صفوان بن أمية دروعاً وتكفل (ﷺ) بالضمان وكان نوفل وصفوان لا يزالان على شركهم ، وقال صفوان بن أمية للرسول (ﷺ) (أغصباً يا محمد) ؟ ، قال : (لا ، بل عارية مضمونة)[١٢] ، وكان رسول الله (ﷺ) قد عبأ جيشه بالسّحر وعقد الالوية والرايات ، وفرقهم على الناس.

تحرك جيش المسلمين الى حُنين وبدأ المعركة:

تحرك المسلمون باتجاه حُنين في اليوم الخامس من شوال من السنة الثامنة للهجرة، وقد أستخلف الرسول (ﷺ) عَتّاب بن أسيد على مكة عند خروجهُ وكان عدد جيش المسلمين اثني عشر الفاً ، أما عدد المشركين ضعف عدد المسلمين أو اكثر، ولما رأى بعض الطلقاء جيش المسلمين ، قالوا : لن نُغلبَ اليوم من قلة ، ودخل الإعجاب في النفوس[١٣]، وأثناء سير جيش المسلمين على الجبل ، نظر الرسول (ﷺ) فوجد منحدر كبير ثم وادي واسع ومساحة شاسعة في اليمين والشمال ووجد جيش المشركين يقف عن بعد فأيقن (ﷺ) أن جيش هوازن يكمن في هذه الأشجار ، فأمر (ﷺ) احد الصحابة واسمه أنس بن أبي مرثد ان يأتي بحصان ويصعد به الى رأس الجبل ويقف عليه ويراقب المكان وذلك من طلوع الشمس حتى الغروب ، كما أوصاه النبي (ﷺ) ألا يترك مكانه إلا لقضاء حاجته أو لأداء الصلاة ، فأمتثل أنس لأمر النبي (ﷺ) ، ثم عاد النبي وسئله ، هل رأيت شيئاً ؟ : قال ((لا والله)) ، وبعد أن تأكد النبي (ﷺ) بعدم وجود كمائن بين الأشجار ، بدأ (ﷺ) يصّف الجيش

فكانت أول كتيبة بقيادة خالد بن الوليد (ﷺ) والثانية بقيادة طلحة بن زبير (ﷺ) والثالثه بقيادة علي بن أبي طالب (ﷺ)[١٤] ، وعند نزول أول كتيبة من المسلمين الى المنحدر بدأت كمائن جيش المشركين تخرج من بين الأشجار مباغتين المسلمين ، وأمطروهم من جميع الجهات بالنبال فاضطربت كتائب المسلمين و ماج بعضهم في بعض ، ونتيجة لهول هذا الموقف ، انهزم معظم الجيش ولاذوا بالفرار ، كلٌ يطلب النجاة لنفسه ، وبقي الرسول (ﷺ) ونفر قليل في الميدان يتصدّون للهجمات ، ان الذين ثبتوا مع رسول الله (ﷺ) من أصحاب يوم حُنين بعد هزيمة الناس قريب من مائة ومنهم من قال ثمانون ، من بينهم أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب والعباس بن عبد المطلب والفضل بن العباس بن عبد المطلب وربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ، ونوفل بن الحارث بن عبد المطلب وعبد الله بن الزبير بن عبد المطلب[١٥] (رضوان الله عليهم) ، يقول العباس بن عبد المطلب ، عم الرسول (ﷺ) : شهدت مع رسول الله (ﷺ) يوم حُنين فلزمت أنا وأبو سفيان بن الحارث رسول الله (ﷺ) فلم نفارقه ، ورسول الله (ﷺ) على بغلته الشهباء يسوقها الى غر العدو ويدعو المسلمين الى الرجعة ويقول إلي ، أنا رسول الله ، ويقول في تلك الحال ((أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب)) ، ثم أمر الرسول (ﷺ) عمه العباس وكان جهير الصوت أن ينادي بأعلى صوته ، يا أصحاب الشجرة ، يعني شجرة بيعه الرضوان التي بايعه المسلمون من المهاجرين والانصار تحتها على أن لا يفروا عنه فجعل ينادي بهم يا أصحاب السمرة ، ويقول تارة يا أصحاب سورة البقرة ، فجعل يقولون : يا لبيك يا لبيك ، وانعطف الناس فتراجعوا الى رسول الله (ﷺ) فأمرهم أن يصدقوا الحملة وأخذ (ﷺ) قبضة من التراب بعدما دعى ربه واستنصره وقال (ﷺ) : (اللهم أنجز ما وعدتني ثم رمى القوم بها فما بقي انسان منه إلا أصابه منها في عينه وفمه ما شغله عن القتال[١٦] ، فكان من أسباب هزيمتهم ، فنظر رسول الله (ﷺ) وهو على بغلته كالمتطاول عليها الى قتالهم فقال (ﷺ) ((هذا حين حمي الوطيس))[١٧]، قال العباس (ﷺ): ثم أخذ رسول الله (ﷺ) حصيات ، فرمى بها وجه الكفار . ثم قال ((أنهزموا ورب محمد)) ، قال : فذهبت انظر فإذا القتال على هيئته فيما أرى ، قال فوالله ما هو إلا أن رماهم بحصياته فما زلت أرى حدّهم كليلا وأمرهم مدبرا[١٨]، (يعني قوتهم ضعيفه وأمرهم في تراجع وهزيمة وتمكن الرسول (ﷺ) من بث روح الجهاد في نفوس المسلمين من جديد وقد كان اصابهم الخوف والذعر واوشكوا على الفرار الكامل ، فاجتمع المسلمون ثانية وهجموا هجمة واحدة على المشركين فلحقت الهزيمة بالمشركين وفر مالك بن عوف ومن معه من رجالات قومه والتجؤوا الى الطائف ، وتحصنوا بها ، وقد تركوا وراءهم مغانم كثيرة ،

وهكذا كتب الله تعالى النصر لرسوله الكريم (ﷺ) ونصره بجنود من الملائكة ، هذا الحدث وما رافقه من وقائع قد أشار اليها الله سبحانه وتعالى بمحكم كتابه بقوله ((لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ (٢٥) ثُمَّ أَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ (٢٦)))[١٩]، لقد بين القران الكريم، ان المسلمين اصابهم الاعجاب بكثرة عددهم في قوله تعالى ((*وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ*))، ثم بين القران الكريم ، ان هذه الكثرة لاتفيد في قوله تعالى ((*فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا*))، ثم بين القرآن الكريم، ان المسلمين انهزموا وهربوا ما عدا النبي (ﷺ) ونفر قليل من أصحابه في قولة تعالى ((*وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ*)) وقد نبه الى هذا الرسول الله (ﷺ) حينما أوضح انه لاحول ولاقوة الا بالله ، فيقول (ﷺ) ((اللهم بك اجُول وبك أصول وبك اقاتل))[٢٠]، ثم بين القران الكريم ، ان الله نصر رسوله في هذه المعركة واكرمه بانزال السكينة عليه وعلى المؤمنين في قوله تعالى ((*ثُمَّ أَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ*))، ثم بين القران الكريم ، ان الله تعالى امد رسوله (ﷺ) بالملائكة في حنين في قوله تعالى ((*وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ*)) واكد القران الكريم، على ان الله سبحانه وتعالى يقبل التوبة من عباده ويوفق من يشاء اليها في قوله تعالى ((*ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ*)) (٢١)، لقد كان موقف رسول الله (ﷺ) وثباته بذلك الموقف من المعركة مع قلة من الصحابة، صورة نادرة وجراة غير معهودة في مثل هذا الموقف: فقد تفرقت عنه (ﷺ) الجموع وولوا الادبار، لايولي واحد منهم على احد ، ولم يبق الا رسول الله (ﷺ) وسط ساحات الوغى حيث تحف به كمائن العدو من كل جانب ، فثبت ثباتا عجيبا، امتد اثره الى نفوس أولئك الفارين ، فعادت اليهم من ذلك المشهد رباطة الجأش ، وقوة العزيمة،وعلى الرغم من الهزيمة التي لحقت بالمسلمين في بداية غزوة حنين، وفرار معظم المسلمين في ميدان المعركة ، لانهم فوجئوا بما لم يتوقعون ، فأن رسول الله (ﷺ) لم يعنف أحدا ممن فر عنه ، حتى حينما طالبه بعض المسلمين ان يقتل الطلقاء لانهم فروا ،لم يوافق على هذا [٢٢]

مطاردة المشركين الفارين واستثمار الفوز

لما انهزم المشركون من حنين ، صارت طائفة الى الطائف وطائفة الى نخلة وطائفة الى اوطاس ، وارسل النبي (ﷺ) سرية من المقاتلين بقودهم ابي عامر الاشعري ، فتواجه الفريقان فانهزم جيش المشركين ،وفي هذه المواجه قتل دريد بن الصمة واستشهد ابي عامر ،وقال الرسول (ﷺ) فيه ((اللهم اغفر لعبيد ابي

عامر)) ((اللهم اجعله يوم القيامة فوق كثير من خلقك من الناس))[٢٣]، وطاردت طائفة أخرى من فرسان المسلمين فلول المشركين الذين سلكوا نخلة ، اما معظم فلول المشركين فتوجهوا الى الطائف ، فتوجه اليهم رسول الله (ﷺ) بعد ان جمع الغنائم من حنين [٢٤].

محاصرة المشركين الفارين الى الطائف

حاصر الرسول (ﷺ) المشركين في الطائف وفرض عليهم الحصار الذي دام أربعين يوما كما في رواية مسلم وحصل في هذه المرة مراماة ، واستشهد من المسلمين اثنا عشر رجلا وجرح اخرون ، واستخدمت أساليب متنوعة في القتال والحصار ومارس الرسول (ﷺ) الشورى ، في اختياره المكان المناسب عند الحصار ، واستخدم الحرب النفسية والدعاية في صفوف الأعداء ومن هذه الأساليب:

اولا: اختيار المكان المناسب للقتال: في باديء الامر نزل جيش المسلمون في مكان مكشوف قريب من الحصن ، وما كاد الجند يضعون ، رحالهم حتى امطرهم الأعداء بوابل من السهام، فأصيب من جراء ذلك مسلحون كثيرون بأذى ، وحينئذ عرض الحُبابُ بن المنذر على الرسول(ﷺ) فكرة التحول الى مكان اخر امن من سهام اهل الطائف، فقبل (ﷺ) هذه المشورة ، وامر (ﷺ) الجيش بالتحول الى المكان الجديد [٢٥].

ثانيا: استخدم أسلحة جديدة في حصار الطائف: استخدم الرسول (ﷺ) في حصاره للطائف أسلحة جديدة لم يسبق له ان استعملها من قبل مثل المنجنيق وهو من الأسلحة الثقيلة ذات التأثير الفعال على من وجهت اليه ، فقد ثبت ان الرسول (ﷺ) استعمل هذا السلاح عند حصاره للمشركين بالطائف، فعن مكحول(رضي الله عنه)، ان النبي (ﷺ) نصب المنجنيق على اهل الطائف [٢٦]، ومن أسلحة الحصار الثقيلة الأخرى التي استعملها الرسول (ﷺ) لأول مرة في حصار الطائف، الدبابة ، والدبابة على شكل بيت صغير تصنع من الخشب وتتخذ للوقاية من سهام الأعداء ، عندما يراد نقض جدران الخصم ، بحيث اذا دخلها الجنود كان سقفها حرزا لهم[٢٧]، ومن الأسلحة الجديدة الأخرى التي استعملها الرسول (ﷺ) في الحصار هو (الحسك الثابت) ، وهو من وسائل الدفاع الثابته يعمل من خشبتين فيها مسامير مدببه ترمى على الأرض ، تتعثر بها اقدام الخيل والمشاة ، فتتعطل حركة السير السريعة المطلوبة في ميدان القتال[٢٨]، وقد ذكر أصحاب المغازي والسير ، ان الرسول (ﷺ) استعمل هذا السلاح في حصاره لأهل الطائف ، حيث امر جنده بنشر الحسك الثابت حول حصن ثقيف[٢٩].

ثالثاً: استخدام الحرب النفسية ضد المشركين في الطائف: لما اشتدت مقاومة اهل الطائف وقتلهم مجموعة من المسلمين ، امر الرسول (ﷺ) بحرق بساتين العنب والنخيل في ضواحي الطائف للضغط على المشركين المتحصنين في الطائف، ثم امر الرسول (ﷺ) بإيقاف هذا العمل بعد ان ظهر تأثيره في معنويات المشركين حينما ناشدوه (ﷺ) بالله وبصلة الرحم ان يترك هذا العمل[٣٠] ، وقد استشار رسول الله (ﷺ) ومن حولة في عملية رفع الحصار ، فقال نوفل بن معاوية الدّلي في وصفه للمشركين المحاصرين بالطائف (ثعلب في حجر، وان أقمت عليه أخذته ، وان تركته لم يضرك) فأمر رسول الله (ﷺ) عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) ، فأذن في الناس بالترحيل ، فضج الناس من ذلك ، وقالو :نرحل ولم يفتح علينا الطائف ، فقال رسول الله (ﷺ) ((فأغدوا على القتال)) ، فغدوا ، فأصيب المسلمون بجراحات ، فقال رسول الله (ﷺ) ((انا قافلون غدا ان شاءالله)) فسُروا بذلك ، واذعنوا ، وجعلوا يرحلون ورسولُ الله (ﷺ) يضحك[٣١] ، فلما ارتحلوا واستقلوا ، قال لهم رسول الله (ﷺ) ((قولوا :أيبون ، تائبون ، عابدون ، لربنا حامدون))[٣٢] ، وقيل يا رسول الله ادعُ الله على ثقيف ، فقال (ﷺ) ((اللهم اهدِ ثقيفا ، واتِ بهم))[٣٣].

غنائم الغزوة وأسلوب توزيعها

سبى المسلمون من المشركين في غزوة حنين سبايا كثيرة بلغت ستة الاف من الذراري والنساء ، واثنا عشر من المواشي والابقار والاغنام والابل ، وقد اختص رسول الله (ﷺ) الطلقاء والاعراب بالغنائم تأليفا لقلوبهم لحداثة عهدهم بالإسلام ، فأعطى لزعماء قريش وغطفان وتميم عطاءً عظيما ، اذ كانت عطية الواحد منهم مئة من الابل ومن هؤلاء أبو سفيان بن حرب وسهيل بن عمرو وحكيم بن حزام، وصفوان بن امية، وعيينة بن حصن الفزاري ،والاقرع بن حابس ، وقيس بن عدي[٣٤]، وقد تاثر حدثاء الأنصار من هذا العطاء بحكم طبيعتهم البشرية ، وترددت بينهم قالة ، لم تصدر من الأنصار كلهم وأنما قالها حديثوا السنّ منهم ، فدخل سعد بن عبادة على رسول الله (ﷺ) فقال: يا رسول الله . أن هذا الحي من الأنصار قد وجدوا عليك في انفسهم لما صنعت في هذا الفيء الذي أصبت ، قسمت في قومك ، وأعطيت عطايا عظاماً في قبائل العرب ، ولم يكن في هذا الحي من الأنصار شيءٌ فقال (ﷺ) : فأجمع لي قومك بهذه الحضيرة ، فلما أجتمعوا أتى سعدٌ

فقال : قد أجتمع لك هذا الحيّ من الأنصار ، فأتاهم رسول الله (ﷺ) وخاطبهم خطاباً ايمانياً عقلياً وجدانياً : فقال (ﷺ) ((... أوجدتم عليّ يا معشر الأنصار في أنفسكم في لعاعة من الدنيا تألفت بها قوماً ، ليسلموا ووكلتكم إلى إسلامكم ، الا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس بالشّاء* ، والبعير وترجعون برسول الله الى خيرٍ ممّا ينقلبون به ، ولولا الهجرة لكنتُ امرأً من الأنصار، ولو سلك الناس شعباً ووادياً ، وسلكت الأنصار شعباً ووادياً لسلكت شعب الأنصار ووادياها ، الأنصار شعارٌ، والناس دثار**،اللّهمّ أرحم الأنصار وأبناء الأنصار ، وأبناء وأبناء الأنصار)) . قال: فبكى القوم حتى أخضلوا لحاهم ، وقالو رضينا برسول الله (ﷺ) قسماً وحظاً ، ثم انصرف رسول الله (ﷺ) وتفرقوا . وفي رواية قال (ﷺ) ((انكم ستلقون بعدي أثرةً فأصبروا حتى تلقوني على الحوض)) [٣٥].

عودة المشركين واسلامهم

جاء وفد من هوازن الى رسول الله (ﷺ) بالجعرانة وقد أسلموا، فقالو يا رسول الله ، إنا اصلٌ وعشيرة وقد أصابنا من البلاء ما لم يخف عليك، فامنن علينا منّ الله عليك ، وقام خطيبهم زهير بن حرد ، فقال يا رسول الله أنما في الحضائر من السبايا خالاتك وحواضنك اللاتي كن يكفلنك ، ... وأنت رسول الله خير المكفولين ثم أنشأ يقول [٣٦]

امنن علينا رسول الله في كرم ... فإنك المرءُ نرجوه وننتظرْ
امنن على نسوة قد كنت ترفعها ... اذا فوكَ ملوءةً من محضها درّ

فلما سمع رسول الله (ﷺ) من الوفد قال لهم ((نساؤكم ، وابناؤكم ، أحبُّ اليكم أم أموالكم؟)) فقالوا: يا رسول الله ! خيرتنا بين أحسابنا وأموالنا ؟ بل أبنائنا ونسائنا أحب الينا ، فقال (ﷺ) : ((أما ماكان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم ، واذا أنا صليت بالناس فقوموا فقولوا : أنا نستشفع برسول الله (ﷺ) في أبناءنا ونساءنا ، فاني سأعطيكم عند ذلك وأسئل لكم)) [٣٧] ، وفي رواية .. فخطب رسول الله (ﷺ) في المؤمنين فقال ((أن أخوانكم هؤلاء جاءونا تائبين، وأني اردت أن أردّ اليهم

---

*الشّاء : أي : الشياه ، وهي الأغنام
** دثار : وهو الثوب الذي يكون فوق الشعار

سبيهم فمن أحب منكم أن يطيّب وذلك فليفعل ومن أحبّ أن يكون على حظّه حتىّ نعطيه إياه من أول ما يفيء الله علينا فليفعل)) فقال الناس : طيّبنا يا رسول الله لهم : فقال لهم (ﷺ) : ((إنا لا ندري من أذن منكم فيه ومن لم يأذن ، فارجعوا حتى يرفع الينا عرفاؤكم أمركم)) فرجع الناس فكلمهم عرفاؤهم ، ثم رجعوا الى النبي (ﷺ) فأخبروه : أنهم طيبّوا ، وأذنوا[٣٨] فكان هذا سبب إعتاقهم عن بكرة أبيهم ، فعادت فواصلة عليه السلام قديماً وحديثاً ، وخصوصاً وعموماً ، وقد سُرّ الرسول (ﷺ) بأسلام المشركين من هوازن وسألهم عن زعيمهم مالك بن عوف النصري فأخبروه : أنه بالطائف مع ثقيف ، ووعدهم يردّ أهله وأمواله عليه وأكرامه بمئةٍ من الابل أن قدم عليه مسلماً، فجاء مالك مسلماً فأكرمه وأمّره على قومه وبعض القبائل المجاورة ، وأتخذ الرسول (ﷺ) من قبيلة هوازن وزعيمها مالك بن عوف في ضرب قوى الوثنية في الطائف ومنها ثقيف حتى ضيّق عليهم ، فمال بعض زعماء ثقيف الى الإسلام مثل عروة بن مسعود الثقفي الذي اعلن أسلامه ودعى قومه الى الإسلام ، فرماه بعضهم بسهام فأصابوه فطلب من قومه أن يدفنوه مع شهداء المسلمين في حصار الطائف[٤٠].

نتائج الغزوة وعوامل النصر

كتب الله تعالى النصر لرسولة الكريم وأصحابه ونصرهم بجنود من الملائكة ، والى هذا النصر يشير القرآن الكريم ((ثُمَّ أَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ)) [٤١] ولحقت الهزيمة بالمشركين وفر الجيش من ميدان المعركة تاركاً وراءه الالاف من الغنائم . وكانت هذه الغزوة آخر غزوات الرسول (ﷺ) لمشركي العرب ، فرجع الكثير من أهل مكة والاعراب بغنائم الى مواطنهم تأليفاً لهم لدخول الإسلام ، وحصول الأنصار على وسام عظيم وهو شهادة رسول الله (ﷺ) لهم بالايمان والدعاء لهم ولأبنائهم وأحفادهم ورجوعهم ورسول الله (ﷺ) الى المدينة ، ومن نتائج غزوة حنين انضمام كوكبة مباركة من اهل مكة وهوازن الى الإسلام واصبحوا حرباً ضروساً على الاوثان والاصنام والمعابد في الجزيرة العربية ، وبعد غزوة حنين توسعت الدولة الإسلامية وأمتد نفوذها واصبح لرسول الله (ﷺ) أمراء بمكة وعلى قبيلة هوازن وصارت تلك الأماكن جزءاً من الدولة الإسلامية التي عاصمتها المدينة وأصبح بالإمكان أن يرسل رسول الله (ﷺ) بعوثاً دعوية بدون خوف أو وجل من أحد ، وصارت المدينة تستقبل وفود المستجيبين، واخذت حركة السرايا تستهدف الاوثان والاصنام لتهديمها ،فقد اصبح أستئصال وجودها

من الجزيرة سهلاً، ونظم رسول الله (ﷺ) فريضة الزكاة وكلف من يقوم على جمعها من القبائل التابعة للدولة.[٤٦]

ومن العوامل المادية التي اسهمت في نصر المسلمين مايأتي :

١- **ثبات الرسول (ﷺ)** في القتال وعدم تراجعه مما جعل المقاتلين يثبتون ويستجيبون لنداء القائد الثابت

٢- **شجاعة القائد :** فالرسول القائد (ﷺ) لم يثبت في مكانه فحسب ،بل تقدم نحو عدوه راكبا بغلته ،فطفق يركض ببغلته قبلَ الكفار ، والعباس أخذ بلجام البغلة يكفها إلا تسرع.

٣- **ثبات قله من المسليمن معهُ،** وصولة حتى جاء الذين تولّوا، واكملوا المسيرة ، مسيرة الثبات والبرّ والقتال حتى النصر

٤- **سرعة استجابة الفارين والتحاقهم بالقتال .**

٥- **وقوع جيش المشركين في خطأ عسكري فادح** ،وهو عدم الاستمرار في مطاردة الجيش الإسلامي بعد انسحابهُ ، مما اعطى فرصة ثمينة للمسلمين للاستعداد والعودة الى ساحة القتال.

فضلاً عن العوامل الربانية في نصر المسلمين وهي الاسمى حينما انزل الله تعالى الملائكة لنصرة المسلمين كما جاء في قوله تعالى((*وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا* وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ)) بعدما كان الرسول (ﷺ)يلح على الله تعالى بالدعاء بالاستعانة والاستغاثة بالنصر على الاعداء فجاءت رمية الرسول (ﷺ) للحصيات في وجوه الكفار إيذاناً بهزيمتهم.

الابعاد الاستتراتيجية لغزوة حنين

هزيمة المسلمين في بداية الغزوة: لحقت الهزيمة بالمسلمين في بداية غزوة حنين وفر معظمهم من ميدان المعركة لعدة أسباب أهمها :

١- إن جيش المشركين قد سبق جيش المسلمين الى حنين فتهيأوا هنالك واستعدوا للقتال وانتظموا ووضعوا الكمائن والرماة في مضائق الوادي وعلى جوانبه وفاجأوا المسلمين بهجوم مباغت بالرمي بالنبال ، فضلاً عن ان جيش المشركين كان اكثر من جيش المسلمين في العدة والعدد ، وعلى الرغم من الهزيمة التي لحقت بالمسلمين في بداية الغزوة وفرار معظم المسلمين في ميدان المعركة ، فإن رسول الله (ﷺ) لم يعنف احد ممنْ فر عنه حتى حينما طالبه بعض المسلمين بأن يقتل الطلقاء لانهم فروا ، لم يوافق على هذا.

٢-تباين القدرة القتالية في صفوف جيش المسلمين ، أولها الشعور بالفخر والغرور لكثرة المقاتلين في هذه الغزوة حتى قال بعظهم لن نغلب اليوم من قله مما دفعهم الى اللامبالاة وعدم اتخاذ الحيطة والحذر والتماسك القتالي فضلاً عن وجود ضعاف الايمان الذين اسلموا حديثاً في مكة ولم يتسلحوا بالسلاح ففروا سريعاً وكان ذلك سبباً لوقوع الخلل والهزيمة.

ثبات الرسول (ﷺ) بداية النصر

لقد كان لثبات الرسول (ﷺ) وشجاعته في هذه المعركة مع قلة من الصحابة دليلا ناصعاً وبرهاناً ساطعاً على عمق ايمانهم بالله وثقتهم بنصره وتأييده ،وأن نتيجة المعركة ستكون الى جانب الحق ، وأنك لتبصر صورة نادرة، وجرأة غير معهودة في مثل هذه المواقف.فقد تفرقت عنه (ﷺ) الجموع وولوا الادبار، ولم يبقَ الا رسول الله (ﷺ) وسط ساحات الوغى حيث تحف به كمائن العدومن كل جانب، فثبت ثباتاً عجيباً ، امتد الى نفوس أولئك الفارين فعادت اليهم في ذلك المشهد رباطة الجأش وقوة العزيمة.

نتائج المعركة لا تحسمها الكثرة أو القلة

فالنصر والهزيمة ونتائج المعارك لايحسمها الكثرة والقلة فقط، وانما ثمة أمور أخرى لا تقل شأناً عنها إن لم تكن تفوقها أهمية واعتباراً لتقرير نتيجة أي معركة ، فإذا كانت غزوة بدر قد علمت المسلمين أن القلة اذا كانت مؤمنة بالله حق الايمان وأخذة باسباب النصر، لا تضر شيئاً في جانب كثرة الأعداء، فأن غزوة حنين قد علمت المسلمين درساً جديداً حاصله الكثرة الكثيرة لا تغني شيئاً ولا تجدي نفعاً في ساحة المعركة أذ لم تكن قد تسلحت بسلاح الايمان والعقيدة، أذ لم تكن قد أخذت بأسباب النصر ومستلزماته ، فكانت حنين بهذا درساً استفاد منه المسلمون غاية الفائدة وتعلموا منه قواعد النصر وقوانينه ..

فلقوة لله جميعاً، فلا عبرة بالكثرة فالنصر من عند الله عزّ وجل، أكبر جيش جمعة الرسول (ﷺ) جيش حنين ، كانوا أثني عشر الفاً ، والمسلمون بشر أتاهم ضعف واتكلوا على قوتهم المادية ، فأراد الله أن يلقنهم درساً في العقيدة وهو أن القوة من عند الله وأن النصر من عند القوي الصمد ، يقول تعالى ((*لقد نصركم الله في مواطن كثيرة*)). وقد نبه الى هذا الرسول (ﷺ) حينما قال ((اللهم بك أصول وبك اجول وبك أقاتل)) [٤٤]

الغنائم وسيلة لتأليف القلوب.

إن حكمة وسياسة الرسول (ﷺ) في تقسيم الغنائم وتوزيعها في هذه المعركة، حيث اختص الذين اسلموا عام الفتح بمزيد من الغنائم عن غيرهم ، ولم يكن يراع في تلك القسمه قاعدة المساواة بين المقاتلين، وفي هذه دلالة على أن القائد أو إمام المسلمين يتصرف بما يراه الأنسب والأوفق لمصلحة الامة دينا ودنيا، فكان الهدف من هذا العطاء المجزي لأهل مكة ولزعمائها من قريش وغطفان وتميم حديثي العهد بالإسلام، هو لتحويل قلوبهم من حب الدنيا الى حب الإسلام، اوكما قال انس بن مالك: إن كان الرجل ليسلم ما يريد الا الدنيا فما يسلمُ حتّى يكون الإسلام احب إليه من الدنيا وما عليها.

مشروعية الغزوة والجهاد في سبيل الله.

لم تكن غزوة حنين ذات دوافع اقتصادية ولا لتحصيل مكاسب سياسية.بل كان الدافع الأول وراء مشروعية الغزوة:الجهاد في سبيل الله ودعوة الناس الى دين الإسلام وهدايتهم الى الطريق المستقيم، وارشادهم الى الدين القويم وهو الهدف الاساس الذي جاءت شريعة الإسلام لأجله، ويشهد لهذا المعنى موقف الرسول (ﷺ) من مالك بن عوف عندما سئل عنه أصحابه فقالوا انه بالطائف مع ثقيف ، فقال لهم ((اخبروه إن اتى مسلماً رددت اهله وماله واعطيته مائة من الابل)) فأخبر مالك بذلك فجاء يلحق برسول الله (ﷺ) حتى ادركهُ فردّ عليه اهله وماله واعطاه مائه من الابل واسلم فحسن اسلامهُ [٤٥] ، كل هذا وغيره يدل دلالة واضحة على أن الجهاد في سبيل الله والهدف المراد من تشريعه هو دعوة الناس الى الدين الحق وضمان حريتهم في اعتناق هذا الدين.

الخاتمة

سجلت غزوة حنين في القرآن الكريم لكي تبقى درساً للأمة في كل زمان ومكان ، ولقد عرضت في سورة التوبة على منهجية ربانية نقلت المسلمين وهم معجبون بكثرتهم مسرورون بها الى صورة فشلهم وهزيمتهم مع هذه الكثرة فلم تنفعهم ، الى صورة الخوف الذي اصابهم حتّى لم تعد الأرض تسعهم وأقفلت منافذها في وجههم الى الصورة الحسية لهذا الفشل في الفرار والنكوص وتولية الادبار ، حتى لم يبقَ حول النبي (ﷺ) الا القليل ، وبعد الخوف الشديد الذي أصاب المؤمنين في بداية لقائهم بأعدائهم [٤٦] ، في غزوة حنين يأتي نصر الله الذي عبر عنه سبحانه وتعالى بقوله ((ثُمَّ أَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ)) ، غزوة حنين بينت نتائج الانشغال عن الله والاعتماد على قوة غير قوته لتكشف لنا حقيقة أخرى ضمنية ، القوى التي تعتمد

عليها كل عقيده : أن الكثرة العددية ليست بشيء انما هي القله العارفة المتصلة الثابته المتجردة للعقيدة، فكانت حنين بهذا درساً استفاد منه المسلمون في غاية الفائدة وتعلموا منه قواعد النصر وقوانينه فالنصر والهزيمة ونتائج المعركة لا تحسمها الكثرة والقلة وانما ثمة أمورا أخرى وراءها ، لا تقل شأناً عنها أن لم تكن تفوقها أهمية واعتبارا لتقدير نتيجة أي معركة.

المصادر والهوامش

- القران الكريم

(١)أبن القيم الجوزية، زاد المعاد في هدى خير العباد ، مؤسسة الرسالة بيروت ، ٢٠١٠

(٢)أبن الاثير، علي بن أبي الكرم محمد بن عبد الكريم ، الكامل في التاريخ ، بيروت ١٩٦٦ ، ج ٢ ، ص٢٦١.

(٣)محمد أبو شهبه ، السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة ، دار القلم دمشق ، ط٣، ١٩٩٦ ،ج٢، ص٤٦٧

(٤) الطلقاء: هم الذين الذين اطلقهم النبي (ﷺ) وخلى سبيلهم بعد اسلامهم

(٥)صحيح مسلم ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، دار احياء التراث العربي ، بيروت، ط٢ ، ١٩٧٢ ، (١٠٥٩) ، ص ١٣٦.

(٦)القيادة العسكرية في عهد الرسول (ﷺ) دار القلم ، ط١، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م ، ص٢٥٢

(٧) د. علي محمد محمد الصلابي ، السيرة النبوية ، عرض وقائع وتحليل احداث ، دار ابن كثير ،بيروت – دمشق، ٢٠٠٤ ، ج٢ ، ص٥٣٤

(٨)المصدر أعلاه ،عن محمد باشميل، غزوة حنين، ص١٢٨

(٩)نور الدين علي بن ابي بكر الهيثمي ، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد دار الكتاب العربي ، ط٣،بيروت ، ١٩٨٢،ص١٨٠

(١٠) تاريخ الطبري ، لأبي جعفر محمد بن جرير ،تحقيق محمد ابو الفضل إبراهيم ، دار سويدان ،بيروت ، ص٧٣

(١١) القيادة العسكرية في عهد الرسول (ﷺ) ، دار القلم ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٠ ، ص٣٦٩

(١٢) سنن ابي داود للأمام ابي داود سليمان السجستاني ، تحقيق وتعليق عزت الدعاس، ١٣٩١ هـ ، دمشق، الحديث (٣٥٦٢)

(١٣) د.اكرم العمري ، السيرة النبوية الصحيحة ، مكتبة المعارف والحكم ، ط١ ،المدينة المنورة ، ١٩٩٢ ، ج ٢،ص٤٩٧
(١٤) موقع اسلام ويب غزوة حنين تداعياتها ونتائجها ، ٣١ مايس ٢٠٠٤
(١٥)اعيان الشيعة ، العاملي ، دار التعارف للمطبوعات ، بيروت ، ١٩٨٦ ، ط١ ص٢٧٩
(١٦) تفسير القرآن العظيم لأبن كثير القريشي ، دار الفكر ، دار القلم ، بيروت ، لبنان ، ط٢
(١٧) صحيح مسلم ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، دار احياء التراث العربي ، بيروت – لبنان ، ط٢ ، ١٩٧٢ ، الحديث (١٧٧٥)
(١٨) المصدر نفسه
(١٩) سورة التوبة : الأيتين (٢٥,٢٦)
(٢٠)مسند الامام احمد بن حنبل ، بن اسد الشيباني ، مؤسسة الرسالة ٢٠١٠ م ، ص ٣٣٣ كذلك سنن الدارمي ، دار المغني للنشر والتوزيع الرياض ، ٢٠١١ م ، ط٢ ، ص١٣٥
(٢١) سورة التوبة : الاية (٢٧)
(٢٢) د.اكرم العمري، المجتمع المدني في عهد النبوة ، ط١ ، ١٩٨٤ ،ص ص ٢٠٤ ، ٢٠٥
(٢٣) صحيح البخاري لمحمد بن إسماعيل البخاري ، دار الفكر ، ط١ ، ١٩٩١ م ، الحديث (٢٨٨٤) كذلك صحيح مسلم ،مصدر سابق ، الحديث (٢٤٩٨)
(٢٤) صفي الرحمن المباركفوري ، الرحيق المختوم ،دار الهلال ، ط١ ، ١٩٩٦ ، بيروت ص ص (٤٢٣ – ٤٢٤)
(٢٥) المغازي للواقدي، تحقيق د.مارسدن جونس ، عالم الكتب ، بيروت ط٣ ، ١٩٨٤ ، ص٤١٦
(٢٦) د.علي محمد محمد علي الصلابي ، مصدر سابق ، ص ٥٣٩ ، عن الترمذي الحديث (٢٧٦٢)
(٢٧) القيادة العسكرية في عهد الرسول (ﷺ) ، مصدر سابق ، ص ٤٠٥
(٢٨)لواء عبد الرؤوف عون ، الفن الحربي في صدر الإسلام ، ص١٩٥
(٢٩) محمد بن سعد الزهري ،طبقات أبن سعد الكبرى ، دار صادر ودار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٥٧ ، ص٢١٤

(٣٠) د. اكرم العمري ، السيرة النبوية الصحيحة مكتبة المعارف والحكم ، ط١ ، المدينة المنورة ، ١٩٩٢ ، ج٢ ، ص ٥١٠

(٣١) صحيح البخاري ، لمحمد بن إسماعيل البخاري ، دار الفكر ،ط١ ، ١٩٩١ م ، الحديث (٤٣٢٥) كذلك صحيح مسلم ، مصدر سابق ، الحديث ١٧٧٨،

(٣٢) المصدر أعلاه ،صحيح البخاري ، الحديث (١٧٩٧) ، صحيح مسلم الحديث (١٣٤٤)

(٣٣) صحيح السيرة النبوية ، لابراهيم العلي ، دار النفائس ، ط ٣ و ١٩٩٨م ، ص ٥٦٦، كذلك انظر مشكاة المصابيح ، للخطيب التبريزي ، تحقيق محمد ناصر الدين الالباني ، المكتب الإسلامي ، دمشق ، ط١ ، ١٩٦١ الحديث (٥٩٨٦)

(٣٤) صالح احمد الشامي من معين السيرة ، المكتب الإسلامي ، ط٢ ، ١٤١٣ ، ١٩٩٢ ، ص٤١٢

(٣٥) صحيح البخاري ، مصدر سابق ، الحديث (٤٣٣٠) كذلك صحيح مسلم ،مصدر سابق ، الحديث (١٠٦١)

(٣٦) البداية والنهاية لأبي الفداء ابن كثير الدمشقي ، ط١ ، ١٤٠٨ هـ ١٩٨٨ م ، دار الريان للتراث ، ص ٣٥٢

(٣٧) الطبراني(٥٣٠٤) ، الطبري في تاريخه (١٣٥/٣) ، البيهقي في الدلائل (١٩٤،١٩٥/٥)

(٣٨) صحيح البخاري ، مصدر سابق ، الحديث (٤٣١٨ و ٤٣١٩)

(٣٩) البداية والنهاية ، مصدر سابق (٤ – ٣٦٣ ، ٣٦٤)

(٤٠) السيرة النبوية لأبن هشام ، مصدر سابق ، (٤-١٤٤)

(٤١)سورة التوبة : الآية ٢٦

(٤٢) سيد حوى ، الأساس في السنة وفقهها ، السيرة النبوية ، دار السلام ، مصر ، ط١ ، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م ، ج٢ ، ص ٩٦١

(٤٣) د. علي محمد محمد الصلابي ، مصدر سابق ، ص٥٥٥

(٤٤) سنن الدارمي (١٣٥/٢) كذلك المسند للأمام أحمد (٣٣٣،٤)

(٤٥)السيرة النبوية لأبن هشام ، مصدر سابق (١٤٤/٤)

(٤٦) د. علي محمد محمد الصلابي ، مصدر سابق ، ص ٥٥٢

المعلومات البيئية ومصادرها لدى طلبة كلية التربية الاساسية - جامعة واسط

ا.د مجيد عيسى هاشم ا.م.د ماجد مطر الخطيب
كلية التربية الاساسية – جامعة واسط

المستخلص

استهدف هذا البحث معرفة مستوى المعلومات البيئية لدى طلبة كلية التربية الاساسية- جامعة واسط، اذ تكونت عينة البحث من (١٦٠) طالب وطالبة من قسمي العلوم واللغة العربية، احدهما يمثل التخصص العلمي والاخر التخصص الانساني وبمراحل مختلفة.

وكشفت نتائج البحث ان نسبة نجاح الطلبة في المعرفة بالمعلومات البيئية بلغت (84%) وهي نسبة عالية .كما وجدت فروق ذات دلالة احصائية في المعلومات البيئية بين طلاب قسم العلوم وطلاب قسم اللغة العربية ولصالح الطلاب في قسم العلوم .في حين لا توجد فروق ذات دلالة احصائية في المعلومات البيئية بين طالبات قسم العلوم وطالبات قسم اللغة العربية . كما دلت النتائج على عدم وجود فروق ذات دلالة احصائية في المعلومات البيئة باختلاف الجنس في كلا القسمين .ومن نتائج البحث ايضا ان ترتيب اكثر خمسة مصادر للمعلومات البيئة اختارها الطلاب في القسمين كانت كالتالي : التلفزيون ٢٨%، برامج الكمبيوتر والانترنت ٢٦%، حضور ندوات علمية ٢٥%، اساتذة ومحاضرات الكلية٢٤%، التقارير والبحوث في الكلية ٢٣%. في حين جاءت اختيارات الطالبات لمصادر المعلومات البيئية كالتالي: اساتذة ومحاضرات الكلية ٣٤%، التلفزيون ٢٩%، الصحف والمجلات ٢٨%، مكتبة الكلية٢٧%، الاسرة والمنزل ٢١%.

وعلى ضوء النتائج التي تم التوصل اليها خرج البحث بمجموعة من التوصيات ذات الصلة بموضوع البحث .

الكلمات المفتاحية :المعلومات البيئية ،الوعي البيئي ، مشاكل البيئة

Abstract

The present investigation assesses the basic environmental knowledge that students of Science and Arabic departments have, in Basic Education Faculty in al-Azizia.

A total of 160 female and male students were randomly selected,and were .The findings of the study showed that:- Environmental knowledge among the student was high (84%). For the entire samples, male's environmental knowledge of Science department was observed to be significantly higher thanthat of males of Arabic department. There is no significant difference between females environmental knowledge of both departments. Also, there here is no significant difference in environmental knowledge between the male and female' students of both departments.

The results showed that the first five resources of environmental knowledge for males students were: Television 28%, Computer and Internets 26%, Scientific Conference 25%, Faculty lectures 24% and Faculy reports and essays 23%. But for females were: Faculy lectures 34%, Television 29%, magazines and newspapers 28%, faculty library 27% and home and family 21%.

The study was concluded with a number of suggestions.

المقدمة

يوما بعد اخر يزداد الاهتمام بالمشكلات البيئية المعاصرة ، ذلك ان قضية البيئة طغت على كثير من القضايا التي تستأثر باهتمام النظام العالمي الجديد بعد ان تجاوز التلوث والاستنزاف والاجهاد كل ما هو معقول ومقبول (الكرمي ١٩٧٨ ؛ حسان ٢٠٠٠ ؛ مقيلي ٢٠٠ ؛ القاسمي والبعيني ٢٠٠٨ ؛ الشوادرة ٢٠١٢) . واتضح للعالم أن المخاطر التي تواجه الارض هي اعقد بكثير مما كان يعتقد، وأن القضايا البيئية التي كانت تبدو في السابق قضايا محلية عابرة وبسيطة وغير مهمة ، تحولت فجأة الى قضايا عالمية شائكة ومستعصية وتتطلب حلولا انسانية عاجلة ومشتركة ، ولم تعد قضايا البيئة مرتبطة بتلوث الهواء والماء والغذاء فحسب بل تزاحمت قضايا التلوث وتنوعت وتداخلت أشد التداخل وتوسعت لتشمل تلوث المحيطات ، وانقراض الكائنات ، وابادة الغابات ، وتراكم النفايات . بالاضافة الى التغيرات غير الطبيعية في المناخ العالمي وارتفاع

درجات حرارة الارض والذي يتوقع ان يؤدي الى عواقب بيئية ضخمة (عبد الله ١٩٩٢ ؛ حسان ٢٠٠٠ ؛ مقيلي ٢٠٠٢) . وانطلاقا من فهم المشكلة فأن الحكومات تسعى جاهدة لوضع السياسات واصدار القوانين والتشريعات التي تهدف الى الحد من الاخطار التي يمثلها التلوث البيئي والمحافظة قدر الامكان على بيئة نظيفة . ولكي تحقق تلك القوانين والتشريعات مقاصدها ، لا بد لها من اساس قوي تستند اليه ، وهو المواطن الواعي . حيث ان اصدار القوانين لا يعني التحكم آليا في الموقف لان التشريع اذا لم يسانده مناخ قوي من الرأي العام ، تكون نتيجته مخيبه للآمال (الدمرداش ١٩٨٨). ان الحاجة أصبحت ماسة الى الافراد الذين لديهم معلومات كافية عن المشكلات البيئية والذين يمكنهم المساعدة في اكتشاف ما لا نعرفه عن العلاقات البيئية . كما ان تنشئة المواطنة المسؤولة بيئيا والتربية عليها، تعتمد الى درجة كبيرة على ما يحدث في بيوتنا ومدارسنا والمؤسسات ذات الصلة بالعملية التعليمية.(Hawkins (Stapp, et al., 1975) ؛& Vinton 1973

وعلى المستوى المحلي يلاحظ ان خطط وبرامج التنمية في العراق قد اهملت قضايا البيئة والجوانب البيئية (صبيح وجماعته ٢٠٠٨؛ السعدي ٢٠٠٨ ؛ وزارة التخطيط ٢٠١١؛ جمهورية العراق ومنظمة الامم المتحدة للطفولة ٢٠١١ ؛ البدري ٢٠١٢) حيث توجد العديد من المشكلات المقلقة والتي تشكل خطرا في حالة تركها تنمو وتستفحل ، على سبيل المثال لا الحصر : الاستنزاف المستمر للبيئة الحياتية وتلوثها، التوسع العمراني على حساب الاراضي الزراعية، زيادة نسبة السكان، تدهور انتاجية الاراضي الزراعية ظاهرة التصحر وزيادة العواصف الترابية، الاثار البيئية الخطيرة للحروب التي مر بها العراق، الاستخدام العشوائي وغير العلمي للمبيدات والمخصبات. (وزارة التخطيط ٢٠١١؛ جمهورية العراق ومنظمة الامم المتحدة للطفولة ٢٠١١ ؛ البدري ٢٠١٢).

ان حماية البيئة والمحافظة عليها يتطلب الالتفات الى المسبب الاول في تدهورها الا وهو الانسان ، ولهذا يعزو المربون، فشل القوانين التي تستهدف صيانة البيئة الى الافتقار للوعي البيئي الناجم عن قصور في المناهج التعليمية (الدمرداش١٩٨٨)، وهذا الوعي البيئي الذي يجب أن يتحلى به الافراد لا يتحقق الا من خلال تنمية المعلومات البيئية المقرونة بغرس الاتجاهات البيئية السليمة وخاصة بين اوساط الطلاب (باسويد وباموسى ٢٠٠١). ولما كان ادراك اهمية البيئة وحمايتها من التلوث وحسن استغلال مواردها يكمن في تنمية المعلومات والثقافة البيئية والتي

بدورها تولد الحس والوعي البيئي لدى افراد المجتمع بشكل عام وطلبة الجامعة، الشريحة المهمة من شرائح المجتمع بشكل خاص، فان ذلك الوعي يؤدي بالتالي الى تغيير سلوك هؤلاء الطلبة واتجاهاتهم نحو بيئتهم ،وهم بذلك يملكون الفرصة لاحداث التغيير المناسب من اجل صيانة وحماية البيئة، ولهذا نجد ان الكثير من الدراسات اهتمت بالمعلومات البيئية لدى الطلبة بشكل خاص. حيث اكد Leeming وجماعته (١٩٩٣) على ان المعلومات ترفع من الوعي وان هذا الترابط بينهما سيخلق الافعال البيئية المسؤولة. فالمعلومات البيئية هي الشرط الاول للوعي البيئي الذي يوقد داخل الفرد، وهو قابلية الطلبة لفهم وتقييم تأثير المجتمع على النظام البيئي (Gambro and Switzky 1996) . والدراسات اوضحت بان الافعال الملتزمة تجاه البيئة هي ترجمة للمعلومات التي يملكها الافراد، وان المستويات العالية من المعلومات حول البيئة ستولد التصرف الايجابي تجاه البيئة (Murphy 2002) . وبين Aminrad عام (٢٠٠٩) في دراسته حول الوعي البيئي واتجاهات الطلبة الايرانيين في الجامعات الماليزية بان تصرف الطلبة تجاه البيئة يعكس فلسفتهم المعبر عنها بالتزاماتهم الشفوية والفعلية ودوافعهم وطبيعة اهتماماتهم المؤثرة بالقضايا البيئية. وقد اظهرت نتائج دراسة صابريني واخرون(١٩٨٨) بان مستوى المعلومات البيئية لدى طلبة جامعة اليرموك ادنى من المستوى المطلوب ، كما انه لا توجد فروق في مستوى المعلومات البيئية لدى الطلبة تعود لمتغير الجنس. غير ان الدراسة اكدت وجود فروق ذات دلالة احصائية في مستوى المعلومات البيئية لدى الطلبة تعود لنوع الكلية التي يلتحقون بها ولصالح الكليات العلمية، وللمستوى الدراسي ولصالح طلبة السنة الرابعة . واكد درياس (١٩٨٩) وجود نمو في الوعي البيئي لدى طلبة الصف الرابع في كلية التربية ، جامعة عين شمس في القاهرة بالمقارنة بطلبة الصف الاول . ولصالح طلبة الصف الرابع في جميع التخصصات . واشار حسنين (١٩٩١) الى انه لم يتحقق نمو في الوعي البيئي لطالبات السنة الرابعة (شعبة الكيمياء والطبيعية) في كلية البنات في جامعة عين شمس عند مقارنتهم مع طالبات السنة الاولى وكذلك الحال في شعبة اللغة العربية كما ان التخصص لم يساهم في نمو الوعي البيئي لدى الطالبات. وبينت نتائج دراسة مبارك والحدابي (١٩٩٢) الى عدم وجود فروق ذات دلالات احصائية بين اتجاهات طلاب كلية التربية في جامعة صنعاء الذين درسوا مقرر التربية البيئية والذين لم يدرسوا المقرر. الا انه توجد فروق بين اتجاهات الطلبة تعزى لمتغير نوع البيئة (ريف/ مدينة) ولصالح

طلاب المدينة وكذلك لنوع التخصص ولصالح الطلاب في تخصصات الكيمياء، الفيزياء، الاحياء والجغرافيا. وفي دراسة شملت (٣٢٠٠) طالبا لمستوى (١١من ٣٠) من المدارس الثانوية في ولاية نيويورك قام بها Hausbeck وجماعته عام (١٩٩٢) أشارت الى انه وعلى الرغم من تسجيل الطلبة درجات واطئة في اسئلة المعلومات فانهم اظهروا درجات عالية في الوعي والاهتمام البيئي. كما اشارت الدراسة الى الحاجة الى سياسة لتحسين التربية البيئية في المدارس الثانوية في ولاية نيويورك والولايات المتحدة بشكل واسع. واهم ما توصلت اليه دراسة الحدابي والصانع (١٩٩٣) هو ان مستوى المعلومات البيئية والصحية الاساسية لطلبة كلية التربية بجامعة صنعاء ليس بالمستوى المطلوب كما لم يتضح وجود فروق في مستوى الوعي البيئي والصحي لطلبة التخصصات العلمية والادبية بالرغم من وجود بعض المقررات ذات العلاقة لا سيما في تخصص علوم الحياة، غير ان الدراسة اكدت على عدم وجود فروق في مستوى الوعي البيئي والصحي بين المستويين (اول ورابع) وهذا يعكس الاثر الضعيف لبرامج الاعداد في تحسين الوعي البيئي والصحي للطلاب والمعلمين. واكد عساف (١٩٩٦) وجود فروق ذات دلالة احصائية في مستوى الوعي البيئي لدى طلبة المرحلة الثانوية بمدارس امانة العاصمة (صنعاء) تعزى لمتغير الجنس ولصالح الاناث، ولمتغير التخصص ولصالح القسم العلمي، ولمتغير المستوى الدراسي ولصالح الثالث الثانوي. وبينت دراسة السيد (١٩٩٦) تدني المستوى العام لادراك الطالبات في كلية سوهاج، جامعة جنوب الوادي في مصر لمشكلات تلوث البيئة وسلبية اتجاهاتهم نحو المحافظة عن البيئة من التلوث. واشارت الدراسة الى تفوق طالبات كل مرحلة عن المراحل السابقة لها جميعا في التحصيل المعرفي لمشكلات تلوث البيئة. كما اظهرت دراسة Madany & Bagahoos عام (١٩٩٨) لطلبة المستويات (١٢,٩,٦) لمدارس البحرين ان المعلومات البيئية عند الطالبات اعلى معنويا وان المرحلة(١٢) حققت نقاطا اكثر معنويا من المراحل (٩,٦). كما ان الطلبة من الفروع العلمية في المرحلة (١٢) تفوقوا في معلوماتهم البيئية على الفروع الاخرى. واوضح الصباغ (١٩٩٩) عدم وجود فروق ذات دلالة احصائية في مستوى الوعي البيئي يرجع الى التخصص لدى طلاب كلية المعلمين بالمدينة المنورة. واكد منشد (٢٠٠٤) في دراسته على ان مستوى الوعي البيئي لطلبة اقسام الجغرافية في الجامعات العراقية كان جيدا وان هناك فروق ذات دلالة احصائية مع متغير التحصيل الدراسي والجنس وعدم

وجود فروقات ذات دلالة احصائية مع متغير الكلية (الاداب والتربية). واكد المعلوي (٢٠٠٩) في بحثه ان معارف المدرسين في مدارس التعليم الاساسي في مدينة دمشق بمنهاج التربية البيئية كانت منخفضة، واكد ايضا وجود ارتباط ايجابي دال بين مستويات المعرفة بالتربية البيئية ومستويات تطبيقها. وهدف Rosta وجماعته (٢٠١١) في دراستة معرفة مستوى المعلومات البيئية بين طلبة صبا في ماليزيا، حيث بينت نتائج الدراسة الى المستوى المتوسط للمعلومات البيئية والتصرفات تجاه البيئة. كما اكدت الدراسة بان التصرفات Attitute للطلبة تاثرت بمستوى المعلومات البيئية التي يملكها والمتعلقة بالبيئة. واكد ديري والمرياتي (٢٠١٢) على وجود علاقة وتاثير اشكال التلوث المختلفة وخاصة تلوث الهواء على اصابات السكان بامراض الجهاز التنفسي في الكيانات الادارية في محافظة ذي قار. واستنتجت دراسة Mohanty & Bidula (٢٠١٢) لتقييم المعلومات البيئية لدى طلبة الثانوية في المرحلة١١ في حي Kamrup في الهند، الى وجود اختلاف في مستوى المعلومات البيئية بين الطلاب، وان مستوى تلك المعلومات كان كافيا لدى حوالي ٧٥% من عينة الدراسة . كما اكدت الدراسة على ان مستوى المعلومات البيئية لدى طلبة المدن اعلى بكثير قياسا بطلبة الارياف. وان مستوى المعلومات البيئية لدى الطلاب اعلى بكثير من المستوى لدى الطالبات.

وانطلاقا من ذلك، انبثقت فكرة هذا البحث الذي يهدف الى التعرف على مستوى المعلومات البيئية لدى طلبة كلية التربية الاساسية في جامعة واسط، وهل هناك فروق وفقاً لاختلاف الجنس، واختلاف المستوى الدراسي، ونوع التخصص (ذو صلة او غير ذي صلة بالبيئة) وماهي مصادر تلك المعلومات.

طريقة البحث

عينة البحث

تم اختيار افراد عينة البحث بالطريقة العشوائية العنقودية (اسماعيل وغانم،٢٠٠١) وقد بلغت العينة في مجملها(١٦٠) طالبا وطالبة موزعين على المستويات الاول والثاني والثالث والرابع لقسمي العلوم (ذات الصلة بالمواضيع او المقررات البيئية) واللغة العربية (غير ذات الصلة بالمواضيع او المقررات البيئية). بلغ عدد الاناث من الطلبة (٨٥)

مقابل (٧٥) من الطلبة الذكور. والجدول رقم (١) يوضح توزيع افراد العينة حسب الجنس والمستوى الدراسي للأقسام اعلاه.

كما تشكلت عينة الدراسة من (٢٠) طالبا من كل مستوى دراسي لقسمي العلوم واللغة العربية وبواقع عدد (١٠) من الاناث و (١٠) من الذكور عدا المستوى الرابع لقسم العلوم حيث ان العدد (١٥) من الاناث و (٥) من الذكور نتيجة الواقع العددي من الاناث والذكور من الطلبة في ذلك المستوى. والجدول (٢) : يوضح افراد عينة البحث حسب الاقسام (نوع التخصص ذو صلة وغير ذي صلة بالبيئة) في المستويات الاولى والثانية والثالثة والرابعة من الدراسة الجامعية.

جدول (١) : توزيع عينة البحث حسب القسم والجنس والمستوى الدراسي

القسم	الجنس		المستوى الدراسي				المجموع
	ذكور	اناث	الاول	الثاني	الثالث	الرابع	
اللغة العربية	٤٠	٤٠	٢٠	٢٠	٢٠	٢٠	٨٠
العلوم-علوم الحياة	١٧	٢٣	١٠	١٠	١٠	١٠	٤٠
العلوم-قسم الفيزياء	١٨	٢٢	١٠	١٠	١٠	١٠	٤٠
المجموع	٧٥	٨٥	٤٠	٤٠	٤٠	٤٠	١٦٠

المصدر: الجدول من اعداد الباحثين.

الجدول (٢) : يوضح افراد عينة البحث حسب الاقسام (نوع التخصص ذو صلة وغير ذي صلة بالبيئة) في المستويات الاولى والثانية والثالثة والرابعة من الدراسة الجامعية.

نوع التخصص / المستوى الجامعي	قسم العلوم (ذات الصلة بالبيئة)		المجموع	قسم اللغة العربية (غيرذات صلة بالبيئة)		المجموع
	اناث	ذكور		اناث	ذكور	
المستوى الاول	١٠	١٠	٢٠	١٠	١٠	٢٠
المستوى الثاني	١٠	١٠	٢٠	١٠	١٠	٢٠
المستوى الثالث	١٠	١٠	٢٠	١٠	١٠	٢٠
المستوى الرابع	١٥	٥	٢٠	١٠	١٠	٢٠
المجموع	٤٥	٣٥	٨٠	٤٠	٤٠	٨٠
الاجمالي العام	١٦٠					

المصدر: الجدول من اعداد الباحثين.

اداة البحث

شملت اداة البحث ثلاثة اجزاء حيث تضمن الجزء الاول معلومات شخصية ، والجزء الثاني اختبار للمعلومات البيئية (مكون من خمسين فقرة) من نوع الاختبار من بديلين، وضعت اسئلته وفقا لمحاور شملت مفاهيم بيئية، الهواء ومشكلاته، الماء والتلوث، والغذاء والتلوث، تأثيرات حرب ٢٠٠٣ على البيئة في العراق. كما تضمن الاستبيان سؤالا منفصلا حول اهم ثلاث مشاكل بيئية في مجتمعنا حسب رأي العينة ، اما الجزء الثالث فقد تضمن اهم المصادر التي يتوقع انها كانت وراء اجابات الطلبة على فقرات الأختبار.

صدق الاختبار

يمكن تحديد صدق الاختبار من خلال صدق المحتوى او ما يسمى (صدق المحكمين) حيث تكون اداة القياس صادقة اذا قاست ما وضعت لقياسه (عساف ،١٩٩٦). ولهذا تم عرض الصورة المبدئية للأختبار المكون من (٥٠) سؤال موزعة على اثنين من المحكمين من قسم العلوم وهم الاستاذ المساعد الدكتور (عبد الستار عبود عباس) والمدرس الدكتور(حداوي محمد دحام) وذلك للاستفادة من أرائهم وخبراتهم من حيث دقة الصياغة، ووضوح العبارات ،وقد تم حذف واضافة وتعديل بعض الفقرات حسب ما رآه المحكمون ووضعها في الصورة العلمية السليمة.

ثبات الاختبار

تم احتساب ثبات الاختبار من خلال التطبيق على عينة من الطلبة تكونت من (٢٠) طالبا وطالبة واعادة التطبيق على نفس العينة بعد اسبوعين من التطبيق الاول، ومن ثم حساب معامل الارتباط بطريقة معامل ارتباط بيرسون pearson (توفيق ٢٠٠٨)، ووجد الارتباط بين التطبيقين (٠,٦٢) وهو ارتباط جيد من الناحية الاحصائية. واستخدام البرنامج الاحصائي (SPSS) لتحليل النتائج.

وفيما يتعلق بمصادر المعلومات البيئية فقد تم اعداد قائمة بمصادر المعلومات التي يتوقع انها كانت وراء اجابات الطلبة على الاختبار ، وقد قسمت المصادر الى ثلاث مجموعات : الاولى ضمت المصادر التي تدخل في اطار المناهج والخطط الدراسية، والثانية ضمت المصادر التي تدخل في اطار النشاطات والمجتمع، اما الثالثة فتضم مصادر الاعلام والمجتمع وضمت المجموعة الرابعة أي مصادر اخرى يذكرها الطالب.

النتائج والمناقشة

اولا : واقع طلبة كلية التربية الاساسية من المعلومات البيئية

تم حساب النسبة المئوية للنجاح لعينة البحث ككل وبلغت (٨٤%) حيث حصل طلبة قسم العلوم على نسبة (٨٤.٤%) في حين حصل طلبة قسم اللغة العربية على نسبة نجاح (٨٣.٦%) حيث لا توجد فروق ذات دلالة احصائية للنتائج اعلاه.

كما بينت نتائج البحث ان المتوسط الحسابي لدرجات طلبة قسم العلوم (٤١.٦٦) وبانحراف معياري (٨.٠٧٧) في حين ان المتوسط الحسابي لدرجات طلبة قسم اللغة العربية بلغت (٤١.٣) وبانحراف معياري (٧.٧٨). وباستخدام الاختبار

التائي (T-test) حيث كانت الدرجة التائية المحسوبة (٠.٣٤٠) وهي اقل من الدرجة الجدولية البالغة (١.٩٨٠).وبذلك توضح النتائج عدم وجود فرق ذو دلالة احصائية بين متوسط درجات طلبة قسم العلوم ومتوسط درجات طلبة قسم اللغة العربية في مستوى المعلومات البيئية. وجدول (٣) يوضح ذلك.

جدول (٣) الفرق بين طلبة العلوم وطلبة اللغة العربية في مستوى المعلومات البيئية

القسم	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجة الحرية	الدرجة التائية المحسوبة	الدرجة التائية الجدولية
علوم	٨٠	٤١.٦٦	٨.٠٧٧	١٤٨	٠.٣٤٠	١.٩٨٠
لغة عربية	٨٠	٤١.٣	٧.٧٨			

المصدر: الجدول من اعداد الباحثين.

وتوضح النتائج الحالية ان مستوى المعلومات البيئية لطلبة الكلية من قسمي العلوم واللغة العربية جيدة جداً ، وهذه النتيجة تعكس اتجاهاً ايجابياً للطلبة تجاه البيئة ومشاكلها . وبالتاكيد سوف تؤثر بشكل ايجابي على جيل الطلبة في المدارس الابتدائية والمدارس الاساسية الذين سيقومون بتدريسهم بعد تخرجهم مستقبلاً.
وعلى الرغم من عدم وجود ارقام واضحة ومحددة من دراسات اخرى لغرض المقارنة الا ان النتيجة الحالية تعتبر افضل مقارنة بالمستوى العام لطلبة كلية التربية بجامعة صنعاء في امتلاكهم للمعلومات البيئية حيث كان مستواهم ليس بالمستوى المطلوب (الحدابي والصانع ١٩٩٣). كما اكد صابريني وجماعته (١٩٨٨) على ان مستوى المعلومات البيئية لدى طلبة جامعة اليرموك بالاردن أدنى من المستوى المطلوب.
كما ان نتائج الدراسة الحالية تتفق الى حد ما مع نتائج دراسة منشد (٢٠٠٤) لمستوى الوعي البيئي لطلبة أقسام الجغرافية في الجامعات العراقية حيث حصلوا على تقدير جيد.

ان ارتفاع مستوى المعلومات البيئية لدى عينة الدراسة قد يرجع بعض اسبابه الى المقررات الدراسية التي يدرسها الطلبة ذات العلاقة بالبيئة وتلوثها والصحة البيئية وعلوم الاحياء، والبحوث والتقارير، بالاضافة الى الواقع الذي يعيشه العراق ومامر به طيلة السنوات السابقة بشكل عام من حروب وازمات، اثرت بشكل كبير على البيئة محليا واقليميا والذي فرض على افراد المجتمع (ومنهم الطلبة) البحث والتقصي وزيادة المعلومات عن قضايا البيئة والتلوث وكيفية التعامل معها من اجل تقليل تاثيراتها السلبية الى اقل مايمكن. وقد يكون لوسائل الاعلام وخاصة التلفزيون والصحف والمجلات والانترنت تاثيرا في الحصول على المعلومات البيئية وان مصادر معلوماتهم تؤكد ذلك الى حد ما.

ثانيا: مستوى المعلومات البيئية لدى الطلبة الذكور

اوضحت نتائج البحث الحالي ان المتوسط الحسابي لدرجات الطلبة الذكور في قسم العلوم بلغت (٤١.٥١٤) وبانحراف معياري (٨.٠٨٩) في حين ان المتوسط الحسابي لدرجات الطلبة الذكور في قسم اللغة العربية بلغ (٤٠.٥٣٨) وبانحراف معياري (٨.٣١٠) وباستخدام الاختبار التائي (T-test) تبين ان الفرق كان ذا دلالة احصائية ولصالح الذكور في قسم العلوم فقد كانت الدرجة المحسوبة البالغة (٤.٥٨٢) اكبر من الدرجة الجدولية البالغة (٢). والجدول (٤) يوضح ذلك.

جدول (٤) الفرق في مستوى المعلومات بين الطلبة الذكور في قسم العلوم وقسم اللغة العربية .

القسم	الجنس	العدد	المتوسط	الانحراف المعياري	درجة الحرية	الدرجة التائية المحسوبة	الدرجة التائية الجدولية
العلوم	ذكور	٣٥	٤١.٥١٤	٨.٠٨٩	٦٨	٤.٥٨٢	٢
اللغة العربية	ذكور	٣٥	٤٠.٥٣٨	٨.٣١٠			

المصدر: الجدول من اعداد الباحثين.

يلاحظ من الجدول اعلاه تفوق الطلبة الذكور في قسم العلوم في مستوى المعلومات البيئية على اقرانهم في قسم اللغة العربية.
ان النتائج اعلاه تتفق مع ماتوصلت اليه دراسة صابريني وجماعته (١٩٨٨) حيث اكد على وجود فروق ذات دلالة احصائية في مستوى المعلومات البيئية لدى الطلبة

تعود لنوع الكلية التي يلتحقون بها ولصالح الكليات العلمية. وكما تؤكد النتائج الحالية النتيجة التي توصل اليها مبارك والحدابي (١٩٩٢) بوجود فروقات بين اتجاهات الطلبة البيئية تبعاً لنوع التخصص ولصالح الطلاب في تخصصات الكيمياء ، الفيزياء ، الاحياء والجغرافيا. وتتفق نتائج الدراسة مع ما اكده كل من عساف (١٩٩٦) ، Madany & Bagahoos (١٩٩٨) بوجود فروق ذات دلالة احصائية في مستوى المعلومات البيئية والوعي البيئي لدى الطلبة تبعاً لمتغير التخصص ولصالح القسم العلمي. غير ان نتائج البحث الحالي لاتتفق مع نتائج دراسات حسنين (١٩٩١)، الحدابي والصانع (١٩٩٣)، الصباغ (١٩٩٩).
وقد يعكس تفوق طلبة قسم العلوم هذا في بعض جوانبه فعالية المقررات الدراسية في القسم كونه قسماً علمياً متخصصاً والكثير من مقرراته ذي صلة بالبيئة والتلوث وقضاياهما المتشابكة والواسعة. وهذا ما اكده اختيار طلبة القسم لمصادر معلوماتهم البيئية حيث جاء أساتذة الجامعة والمحاضرات الجامعية على قمة ترتيب مصادر المعلومات البيئية لديهم اضافة الى وسائل الاعلام المرئية. الا ان هذا لايلغي مهمة تطوير المناهج الدراسية وطرق تدريسها في القسم والكلية وتعزيزهما علمياً وتكنولوجياً.

ثالثاً: مستوى المعلومات البيئية لدى الطلبة الاناث

ان نتائج البحث الحالي توضح ان المتوسط الحسابي لدرجات الطلبة الاناث في قسم العلوم بلغ (٤١) وبانحراف معياري (٨.٢٨٢) في حين ان المتوسط الحسابي لدرجات الطلبة الاناث في قسم اللغة العربية بلغ (٤١.١٧) وبانحراف معياري قدره (٧.٦٨) ، وباستخدام الاختبار التائي (T-test) وحساب الدرجة التائية التي بلغت (٠.٨٢١) في حين ان الدرجة الجدولية (٢) اتضح ان الفرق لم يكن ذا دلالة احصائية .وبذلك تشير النتائج الى عدم وجود فرق ذا دلالة احصائية في مستوى المعلومات البيئية بين الطالبات في قسم العلوم والطالبات في قسم اللغة العربية والجدول رقم (٥) يوضح ذلك.

جدول(٥) الفرق في مستوى المعلومات بين الطلبة الاناث في قسم العلوم وقسم اللغة العربية

القسم	الجنس	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجة الحرية	الدرجة التائية المحسوبة	الدرجة التائية الجدولية
العلوم	أناث	٤٠	٤١	٨.٢٨٢	٧٨	١.٨٢١	٢
اللغة العربية	أناث	٤٠	٤١.١٧	٧.٦٨			

المصدر: الجدول من اعداد الباحثين.

كما ان النتائج الحالية وبعد الرجوع الى مناقشة الفقرة ثانياً، تؤكد نتائج دراسة حسنين (١٩٩١) حيث وجد بان التخصص لم يساهم في نمو الوعي البيئي لدى طالبات شعب اللغة العربية ، الكيمياء ، الطبيعية في كليات البنات في جامعة عين شمس. كما تتفق مع ما توصل اليه الحدابي والصانع (١٩٩٣) حيث اكدا على عدم وجود فروق في مستوى الوعي البيئي والصحي لطلبة التخصصات العلمية والادبية بالرغم من وجود بعض المقررات ذات العلاقة لاسيما في تخصص علوم الحياة. كما اكد الصباغ (١٩٩٩) الى عدم وجود فروق ذات دلالة احصائية في مستوى الوعي البيئي يرجع الى التخصص لدى طلاب كلية المعلمين بالمدينة المنورة. غير ان الدراسة الحالية لاتتفق مع دراسات كل من صابريني وجماعته (١٩٨٨)، مبارك والحدابي (١٩٩٢)، عساف (١٩٩٦) ، Madany & Bagahoos (١٩٩٨).

وقد تعزى نتائج البحث الحالي الى تشابه الظروف التي تمر بها الطالبات في كلا القسمين، وهي ظروف لاتخفى على احد من حيث تشابه ظروف البيت والكلية واللذان هما المتنفس الشائع لديهن حيث يتعذر عليهن الاستفادة من المجالات الاخرى لمصادر المعلومات كمقاهي الانترنت مثلاً. ومصادر معلوماتهم البيئة تؤكد ذلك، حيث احتل المنزل والاسرة احد المصادر الخمسة الرئيسة لمصادر المعلومات.

رابعا: مستوى المعلومات البيئية وفقا لمتغير الجنس

تم استخدام المتوسط الحسابي والانحراف المعياري لكل من الذكور والاناث في قسمي العلوم واللغة العربية ، وتم استخراج الفروق باستخدام الاختبار التائي (T-test) والجدول (٦) يوضح ذلك.

جدول (٦) قيم المتوسط الحسابي والانحراف المعياري وقيمة (ت) والدرجة التائية المحسوبة والجدولية لعينة الدراسة وفقا لمتغير الجنس.

القسم	الجنس	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجة الحرية	الدرجة التائية المحسوبة	الدرجة التائية الجدولية
العلوم	ذكور	٣٥	٤٢,٣١٨	٧,٧٤٢	٧٨	٠,٥٧٩	٢,٠٢١
	اناث	٤٥	٤٠,٩٠٢	٧,٧٠٦			
اللغة العربية	ذكور	٤٠	٤١,٥١٤	٨,٠٨٩	٧٨	٠,٥١٧	٢,٠٢١
	اناث	٤٠	٤٠,٦	٧,٧٠٥			

المصدر: الجدول من اعداد الباحثين.

ومن الجدول اعلاه يتضح عدم وجود فروق ذات دلالة احصائية في المتوسطات الحسابية باختلاف الجنس (ذكور، اناث) في كلا القسمين (العلوم ، اللغة العربية). وبعبارة اخرى يمكننا القول ان متغير الجنس لا علاقة له بمستوى المعلومات البيئية، وتتفق هذه النتيجة مع نتائج دراسة كل من (Moyer 1977 ، صباريني وجماعته ١٩٨٨، عبد العال ١٩٩٨، عساف ١٩٩٦، Mohanty & Bidula 2012). بينما تختلف مع دراسات اخرى وجدت ان مستوى المعلومات تختلف باختلاف الجنس فهي لصالح الذكور (Richmond & Morgan 1970 ، Gamro & Switsky 1994) وفي صالح الاناث (Liggett 1976 & Hounshell ، Hart 1977، Blum 1984، الديب والرشيدي ١٩٨٤، شعبان ١٩٩٠، ابو لطيفة ١٩٩١،الحدابي والصانع ١٩٩٣، عساف ١٩٩٦) كما ان منشد ٢٠٠٤ اكد وجود فروق ذات دلالة احصائية مع متغير الجنس.

ونظرا للتباين في نتائج الدراسات المختلفة فان متغير الجنس في هذا المجال يحتاج الى المزيد من البحث للوقوف على الاسباب الحقيقية وراء هذه الاختلافات.

خامسا: مصادر المعلومات البيئية التي اعتمد عليها الطلبة

تم ايجاد التكرارات والنسب المئوية لكل من الطلبة الذكور والاناث لقسمي العلوم واللغة العربية بالنسبة لكل مصدر من مصادر المعلومات البيئية، والجدول رقم (٧) يوضح النتائج . حيث يلاحظ من الجدول ادناه ان ترتيب اكثر خمسة مصادر للمعلومات البيئية اختارها طلاب القسمين كانت كالتالي : التلفزيون ٢٨ %، برامج الكمبيوتر والانترنت٢٦%، حضور ندوات علمية ٢٥%، اساتذة ومحاضرات الكلية٢٤ %، التقارير والبحوث في الكلية ٢٣%. في حين جاءت اختيارات الطالبات لمصادر المعلومات البيئية كالاتي: اساتذة ومحاضرات الكلية ٣٤%، التلفزيون٢٩%، الصحف والمجلات٢٨%، مكتبة الكلية٢٧%، الاسرة والمنزل ٢١%. ورغم اختلاف نسبة تفضيل طلاب القسمين وطالباتهم لكل من المصادر الخمسة الا ان هناك اجماع بان التلفزيون اضافة الى اساتذة ومحاضرات الكلية تتصدر المصادر التي يرجع اليها كلاهما للحصول على المعلومات البيئية، وتتفق هذه النتيجة مع دراسة كل من (Richmond & Morgan 1970 ، Ostmen & Parker 1987 ، Alaimo & Doran 1980 ، Murch 1971 ، عبد العال ١٩٩٨). وقد يعزى سبب ذلك الى المميزات التي ينفرد بها التلفزيون دون غيره من مصادر المعرفة حيث نجد انه لا يكاد يخلو منزل من هذا المصدر حيث يقضي امامه الفرد الساعات الطويلة يتابع ما يقدمه دون عناء يجده في قراءة صحيفة او كتاب. كما ان تغطية التلفزيون والصحف والمجلات للمشاكل البيئية ازداد بشكل كبير في السنوات القليلة الماضية (Hausbeck,et al., 1992) .

غير ان الباحث McKibben 1992 اوضح بانه عندما يكون التلفزيون المصدر الاول للمعلومات البيئية فان الافراد يميلون الى اختيار الوعي البيئي ولكن القليل من المعلومات البيئية الاساسية. وفيما يتعلق باساتذة ومحاضرات الكلية فهو الاخر احتل واحدا من مصادر الصدارة لمصدر المعلومات البيئية مما يؤكد الدور الكبير لمحاضرات الاساتذة التي تلقى لمختلف المستويات الدراسية للقسمين وبالتالي يتطلب اغناءها الدوري بغية زيادة فعالياتها. ومن الجدير بالذكر ان الاسرة والمنزل احتلا احد المصادر الخمسة الرئيسة التي اختارتها الطالبات دون الطلاب لمعلوماتهم البيئية، مما يؤكد ما تم الاشارة اليه سابقا في (ثالثا) حيث ان الطالبات وللواقع الذي نعيشه في مجتمعنا يقضين اكثر اوقاتهن في المنزل.

وجدول رقم (٨) يوضح التكرارات والنسب المئوية لاختيارات طلبة قسم العلوم من الذكور والاناث لمصادر معلوماتهم البيئية حيث نلاحظ ان اختيارات الطلاب للمصادر الخمسة الاولى جاءت بالشكل التالي: التقارير والبحوث في الكلية ١٩% اولا، حضور ندوات ومحاضرات علمية، التلفزيون، الصحف والمجلات، برامج الكمبيوتر والانترنت جاءت جميعها بنسبة١٦% وفي المرتبة الثانية، اساتذة

ومحاضرات الكلية ١٤% ثالثا، الاصدقاء والمعارف١٣% رابعا، في حين جاء اختيارهم لمكتبة الكلية خامسا وبنسبة منوية١٢%. غير ان اختيارات الطالبات للمصادر الخمسة الاولى جاء تنازليا وبالشكل التالي : مكتبة الكلية ٢٣% اولا، اساتذة ومحاضرات الكلية ٢١% ثانيا، الصحف والمجلات ١٦% ثالثا، التقارير والبحوث في الكلية ١٣%رابعا، في حين جاء الاصدقاء والمعارف وكذلك برامج الكمبيوتر والانترنت وبنسبة ١٣% خامسا.

يبين جدول رقم (٩) التكرارات والنسب المنوية لاختيارات طلبة قسم اللغة العربية لمصادر معلوماتهم .ونلاحظ بان اختيارات الطلاب الخمسة الاولى جاءت بالشكل التالي : التلفزيون١٢ % اولا، وكل من برامج الكمبيوتر والانترنت، اساتذة ومحاضرات الكلية١٠ % ثانيا، حضور ندوات ومحاضرات علمية ٩% ثالثا ، الاسرة والمنزل٦ % رابعا، وجاءت الصحف والمجلات خامسا وبنسبة٦ %. بينما نلاحظ ان هناك بعض الاختلافات في مصادر معلومات الطالبات في القسم حيث جاء بالمصدر الاول اساتذة ومحاضرات الكلية وبنسبة١٣% ، الصحف والمجلات ثانيا وبنسبة١١ %، الاسرة والمنزل وحضور ندوات ومحاضرات علمية ثالثا وبنسبة١٠ %، الاصدقاء والمعارف رابعا وبنسبة ٨%، واحتل منهاج الدراسة في المرحلة الثانوية التسلسل الخامس وبنسبة ٨%.

جدول (٧) التكرارات والنسب المنوية لأستجابات افراد العينة (ذكور واناث) لمصادر المعلومات البينية

المصادر	ذكور			اناث		
	التكرار	النسبة المنوية%	الترتيب	التكرار	النسبة المنوية%	الترتيب
المناهج والخطط الدراسية						
منهاج الدراسة مماثل مرحلة الثانوية	٩	٦	١٦	٧	٤	٢٠
مضمو الدراسة مماثل مرحلة الثانوية	١٣	٨	١٣	١٠	٦	١٧
الانشطة والرحلات المدرسية مماثل مرحلة الثانوية	١١	٧	١٤	١١	٧	١٦
منهاج الدراسة في مرحلة الثانوية	١٠	٦	١٥	٢٧	١٧	٩
مدرسي مرحلة الثانوية	١٨	١١	١١	١٨	١١	١٠
الانشطة والرحلات المدرسية في مرحلة الثانوية	١١	٧	١٤	٨	٥	١٩
مكتبة الكلية	٢٧	١٧	٧	٤٣	٢٧	٤
اساتذة ومحاضرات الكلية	٣٨	٢٤	٤	٥٥	٣٤	١

التقارير والبحوث في الكلية	٣٧	٩٣	٥	٢٩	١٨	٧
حضور ندوات ومحاضرات علمية	٤٠	٩٥	٣	٣٣	٢١	٦
جمعيات حماية البيئة	١٤	٩	١٩	١٣	٨	١٥
<u>النشاطات والمجتمع</u>						
حضور محاضرات خارجية	١٦	٧	١٤	١٧	١١	١١
زيارة المتاحف والمعارض العلمية	١٠	٦	١٥	١٦	١٠	١٢
الاندية والجمعيات العلمية والبيئية في المجتمع	٧	٤	١٧	١٥	٩	١٣
السياحة والسفر	١٤	٩	١٢	١٤	٩	١٤
<u>الاعلام والمجتمع</u>						
الاسرة والمنزل	٢٢	١٤	٩	٣٤	٢١	٥
الاصدقاء والمعارف	٢٦	١٦	٨	٣٣	٢١	٦
الراديو	١٩	١٢	١٠	١٧	١١	١١
التلفزيون	٤٤	٢٨	١	٤٧	٢٩	٢
الصحف والمجلات	٣٤	٢١	٦	٤٤	٢٨	٣
برامج الكمبيوتر والانترنت	٢٩	٢٦	٢	٢٨	١٨	٨

المصدر : الجدول من اعداد الباحثين.

جدول (٨) التكرارات والنسب المئوية لأستجابات افراد العينة (قسم العلوم) لمصادر المعلومات البيئية

المصادر	ذكور			اناث		
	التكرار	النسبة المئوية%	الترتيب	التكرار	النسبة المئوية%	الترتيب
<u>المناهج والخطط الدراسية</u>						
منهاج الدراسة ماقبل مرحلة الثانوية	١	١	١٤	٢	١	١٧
معلمو الدراسة ماقبل مرحلة الثانوية	٦	٤	١١	٦	٤	١٥
الانشطة والرحلات المدرسية ماقبل مرحلة الثانوية	٤	٣	١٣	٥	٣	١٦
منهاج الدراسة في مرحلة الثانوية	٤	٣	١٣	١٥	٩	٨
مدرسي مرحلة الثانوية	١١	٧	٨	١٠	٦	١١

الانشطة والرحلات المدرسية في مرحلة الثانوية	٨	٥	١٠	٣	٤	١٤
مكتبة الكلية	١٩	١٧	٥	٣٦	٢٣	١
اساتذة ومحاضرات الكلية	٢٢	١٤	٣	٣٤	٢١	٢
التقارير والبحوث في الكلية	٣٠	١٩	١	٢٩	١٣	٤
حضور ندوات ومحاضرات علمية	٢٥	١٦	٢	١٧	١١	٧
جمعيات حماية البيئة	١٠	٦	٩	٨	٥	١٣
<u>النشاطات والمجتمع</u>						
حضور محاضرات خارجية	٨	٥	١٠	٩	٦	١٢
زيارة المتاحف والمعارض العلمية	٨	٥	١٠	١٣	٨	٩
الاندية والجمعيات العلمية والبيئية في المجتمع	٤	٣	١٣	١١	٧	١٠
السياحة والسفر	٥	٣	١٢	٨	٥	١٣
<u>الاعلام والمجتمع</u>						
الاسرة والمنزل	١٢	٨	٧	١٨	١١	٦
الاصدقاء والمعارف	٢٠	١٣	٤	٢٠	١٣	٥
الراديو	١٣	٨	٦	٧	٤	١٤
التلفزيون	٢٥	١٦	٢	٣٩	٢٣	١
الصحف والمجلات	٢٥	١٦	٢	٢١	١٦	٣
برامج الكمبيوتر والانترنت	٢٥	١٦	٢	٢٠	١٣	٥

المصدر : الجدول من اعداد الباحثين.

جدول (٩) التكرارات والنسب المئوية لأستجابات افراد العينة (قسم اللغة العربية) لمصادر المعلومات البيئية

المصادر	ذكور			اناث		
	التكرار	النسبة المئوية%	الترتيب	التكرار	النسبة المئوية%	الترتيب
<u>المناهج والخطط الدراسية</u>						
منهاج الدراسة ماقبل مرحلة الثانوية	٨	٥	٦	٥	٣	١٩

معلمو الدراسة ماقبل مرحلة الثانوية	٧	٤	٧	٤	٣	١٣
الانشطة والرحلات المدرسية ماقبل مرحلة الثانوية	٧	٤	٧	٦	٤	١١
منهاج الدراسة في مرحلة الثانوية	٦	١	٨	١٢	٨	٥
مدرسي مرحلة الثانوية	٨	٥	٦	٨	٥	٩
الانشطة والرحلات المدرسية في مرحلة الثانوية	٢	٢	١٠	١	١	١٥
مكتبة الكلية	٧	١	٧	٧	٤	١٠
اساتذة ومحاضرات الكلية	١٦	١٠	٢	٢١	١٣	١
التقارير والبحوث في الكلية	٧	٤	٧	٨	٥	٩
حضور ندوات ومحاضرات علمية	١٥	٩	٣	١٦	١٠	٣
جمعيات حماية البيئة	٤	٣	٩	٩	٦	٨
<u>النشاطات والمجتمع</u>						
حضور محاضرات خارجية	٣	٢	١٠	٨	٥	٩
زيارة المتاحف والمعارض العلمية	٢	١	١١	٣	٢	١٤
الاندية والجمعيات العلمية والبيئية في المجتمع	٣	٢	١٠	٤	٣	١٣
السياحة والسفر	٩	٦	٥	٦	٤	١١
<u>الاعلام والمجتمع</u>						
الاسرة والمنزل	١٠	٦	٤	١٩	١٠	٣
الاصدقاء والمعارف	٩	٤	٨	١٣	٨	٤
الراديو	٦	٤	٨	١٠	٦	٧
التلفزيون	١٩	١٩	١	١١	٧	٦
الصحف والمجلات	٩	٦	٥	١٨	١١	٢
برامج الكمبيوتر والانترنت	١٦	١٠	٢	٨	٥	٩

المصدر : الجدول من اعداد الباحثين.

التوصيات والمقترحات

- تفعيل دور كلية التربية الاساسية في العزيزية في التوعية البيئية نحو المجتمع بشكل عام وطلبة المدارس الابتدائية والمتوسطة والثانوية والكليات بشكل خاص باعتبارهم اللبنة الاساسية في مستقبل المجتمع.
- قيام وزارة التربية، تضمين المفاهيم البيئية في المناهج الدراسية وللمراحل كافة، وان يواكب ذلك تدريب المعلمين على كيفية التعامل مع البعد البيئي في المناهج الدراسية لاسيما ما يتعلق منه في النشاطات غير الصفية والفعاليات التطبيقية.
- قيام وزارة التربية بتقويم كتب العلوم في مراحل الدراسة المختلفة وتضمينها المفاهيم البيئية المناسبة لأعمار التلاميذ والتوسع في المواضيع البيئية عند الانتقال من مرحلة لأخرى.
- قيام وزارة التعليم العالي والبحث العلمي بادخال المقررات ذات الصلة بالبيئة ومواضيعها في كليات الجامعة ولكافة المستويا ت الدراسية .
- الاهتمام بالدور البيئي الكبير الذي من الممكن ان تلعبه وسائل الاعلام المختلفة في المجتمع وفي مقدمتها التلفزيون والراديو والصحف والمجلات واشاعة مفاهيم الوعي البيئي الحضاري.
- تبني قسم العلوم في كليتنا مشروعا بحثيا وبالتنسيق مع مديرية تربية العزيزية لاجراء دراسة لمستوى المعلومات البيئية لدى طلبة المراحل المتوسطة والثانوية في مناطق مختلفة من مدينة العزيزية.
- تبني قسم العلوم في كليتنا مشروعا بحثيا طموحا وبالتنسيق مع قائم مقامية العزيزية ومجلسها البلدي لاجراء دراسة لمستوى المعلومات البيئية لدى شرائح مختلفة من المجتمع في مدينة العزيزية.
- قيام كلية التربية الاساسية في العزيزية وضمن نشاطاتها لخدمة مجتمع المدينة بعقد ندوات وورش عمل وحلقات دراسية لاداراة المدارس الابتدائية والمتوسطة والثانوية ومعلمي ومدرسي مقرر العلوم فيها لتعزيز المفاهيم والمواضيع البيئية ومفاهيم التنمية المستدامة. ونقترح ان يشمل هذا النشاط ربات الاسر في مجتمع القضاء لما له من تاثير مهم على افراد الاسرة والمجتمع.

المصادرالعربية Arabic References

- البدري ، مجيد عيسى هاشم (٢٠١٢) : دراسة اولية على التلوث البيني في مدينة العزيزية . ندوة اقيمت في كلية التربية الاساسية في العزيزية، جامعة واسط.
- الكرمي ، زهير (١٩٧٨) : العلم ومشكلات الانسان المعاصر .عالم المعرفة . الكويت.

- أبو لطيفة ، بسنت حسن محمد (١٩٩١) : اتجاهات طلبة المرحلة الاساسية نحو البيئة وعلاقتها بمستوى التعليم والتحصيل في العلوم (رسالة ماجستير غير منشورة). كلية الدراسات العليا ، الجامعة الاردنية ، عمان ، الاردن.
- اسماعيل ، حبيب علي وغانم ، عدنان محمود (٢٠٠١) : مقدمة في الاحصاء منشورات مركز الامين ، صنعاء ، اليمن.
- الحدابي ، داؤد عبد الملك والصانع ، محمد ابراهيم (١٩٩٣) : مستوى الوعي البيئي والصحي لدى عينة من طلبة كلية التربية بجامعة صنعاء.بحث مقدم للمؤتمر العلمي الاول لنقابة اعضاء هيئة التدريس بجامعة صنعاء وعدن (١٥-١٩) نوفمبر ، صنعاء ، الجمهورية اليمنية
- الدمرداش ، صبري (١٩٨٨) : التربية البيئية (النموذج والتحقيق والتقويم). الطبعة الاولى ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر .
- الديب ، فتحي و الرشيدي ،بشير (١٩٨٤) : اتجاه طلبة جامعة الكويت نحو تلوث مياه الخليج (بقعة الزيت) . دراسات الخليج والجزيرة العربية ، السنة (١١) ، العدد (٣٨) جامعة الكويت ص (٩٣-١٢١) .
- السعدي ، حسين (٢٠٠٨) : علم البيئة . الطبعة العربية ، دار اليازوري للنشر والتوزيع ، عمان ، الاردن .
- السيد ،يسرى مصطفى (١٩٩٦) : مدى معرفة طالبات كلية التربية لبعض مشكلات تلوث البيئة . كلية التربية . بسوهاج ، جامعة جنوب الوادي ، مصر.
- الشوادرة ، علي سالم (٢٠١٢) : المدخل الى علم البيئة . دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة ، مصر.
- الصباغ ، حمدي (١٩٩٩) : الوعي البيئي لدى طلاب كلية المعلمين بالمدينة المنورة ،المؤتمر التربوي الثالث لاعداد المعلم ، كلية التربية ، جامعة ام القرى ، وزارة التعليم العالي ،المملكة العربية السعودية.
- القاسمي ، خالد محمد و البعيني وجيه جميل (٢٠٠٨) : حماية البيئة الخليجية ، المكتب الجامعي الحديث.
- المسح البيئي في العراق لسنة ٢٠١٢. جمهورية العراق ، منظمة الامم المتحدة .
- المعلوي ، ريمون (٢٠٠٩) :مناهج التربية البيئية المعرفة والممارسة لدى المدرسين (دراسة ميدانية في مدارس التعليم الاساسي \حلقة ثانية من مدينة دمشق). مجلة جامعة دمشق ، العدد (١+٢).
- باسويد ، سعيد حاج وباموسى ، احمد سبيت (٢٠٠١) البعد البيئي في كتاب الاحياء في مدارس التعليم الاساسي (١-٩) في الجمهورية اليمنية . حضرموت للدراسات والبحوث، المجلد الاول العدد الاول ص (٣٣-٤٥).

- حسان ، حسن احمد حسن (٢٠٠٠) : التلوث البيني واثره على النظام الحيوي والحد من أثاره. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، مصر.
- حسنين ، فاطمة صابر (١٩٩١) : الوعي البيني لدى الفتاة الجامعية بكلية البنات . رسالة ماجستير غير منشورة ، معهد الدراسات والبحوث البيئية ، جامعة عين شمس ، القاهرة ، مصر.
- درياس ، سهير انيس (١٩٨٩) : الوعي البيني لدى طلاب كلية التربية . رسالة ماجستير غير منشورة ، معهد الدراسات والبحوث البيئية ، جامعة عين شمس ، القاهرة ، مصر .
- ديري ، عبد الامام نصار والمرياني ، عباس زغير محيسن (٢٠١٢) : تاثير العوامل البيئية في التباين المكاني للاصابة بامراض حساسية الجهاز التنفسي والربو في محافظة ذي قار لعام ٢٠٠٩ . مجلة اداب ذي قار ، العدد ٥ المجلد ٢.
- شعبان ، ليديا ضرار محمد (١٩٩٠) : المشكلات البيئية العالمية لدى طلبة الجامعات الاردنية ومصادر معلوماتهم عنها . رسالة ماجستير غير منشوررة ، كلية التربية والفنون، جامعة اليرموك اربد الاردن .
- صباريني ، محمد سعيد ، عودة ، احمد سليمان والخليلي ، خليل يوسف ، (١٩٨٨) : المعلومات البيئية لدى طلبة طلبة جامعة اليرموك . مجلة العلوم الاجتماعية ، جامعة الكويت ص (٢١-٤١) .
- صبيح ، جاسم كاطع ، راند ، محسن حسن وحسين علي خضير (٢٠٠٨) : تلوث الهواء ومخاطر البيئة الناتجة من عوادم المركبات في محافظة البصرة ,مجلة ميسان للدراسات الاكاديمية ، الجلد ٧ العدد ١٣ ص ١٢٨ .
- توفيق ، عبد الجبار (٢٠٠٨) : الاحصاء وتطبيقاته في العلوم التربوية والنفسية ، ص (١٢٢) دار اثراء للنشر والتوزيع ، عمان ، الاردن .
- عبد العال ، تحية حامد (١٩٩٨) : المعلومات والاتجاهات البيئية لدى طلاب جامعة اسيوط . مجلة اسيوط للدراسات البيئية ، العدد الرابع عشر (٥٩-٨٣) .
- عبد الله ، عبد الخالق (١٩٩٢) : المشكلات البيئية العالمية المعاصرة . مجلة شؤون اجتماعية ، العدد (٣٤) ، السنة التاسعة ، ص (٦٧-٩٥) .
- عساف ، عمر محمد (١٩٩٦) : الوعي البيني لدى طلبة المرحلة الثانوية بمدارس امانة العاصمة صنعاء . رسالة ماجستير غير منشورة. كلية التربية ، جامعة صنعاء، صنعاء ، الجمهورية اليمنية .
- مبارك، فتحي يوسف والحدابي، داود عبد الملك (١٩٩٢) : الاتجاهات البيئية لدى طلاب كلية التربية بجامعة صنعاء. الجمعية المصرية للمناهج وطرق التدريس، العدد (١٦)، يوليو، القاهرة ، مصر.

- مديرية احصاء البيئة (2011) : (مؤشرات البيئة والتنمية المستدامة ذات الاولوية في العراق ٢٠١١). جمهورية العراق ، وزارة التخطيط ،الجهاز المركزي للاحصاء .
- مقيلي ، محمد عياد (٢٠٠٢) : التلوث البيئي . دار شموع للثقافة ،مصر.
- منشد (٢٠٠٤) : معيار الوعي البيئي لدى اقسام الجغرافية في الجامعات العراقية، بناء وتطبيق. رسالة دكتوراه مقدمة الى كلية التربية ، جامعة البصرة.

English References المصادر الانكليزية

- Alaimo, S.J., and Doran, R.L. (١٩٨٠) :student's perception of environmental problems and Sources of Environmental Information. J .of Environmental Education, 13 (١): 17-22 .
- Aminard, Z., (2009): Environmental Awareness and Attitude among Iranian Students in Malaysian University. University Putra Malaysia. Selangor, Malaysia.
- Bidula , S. and Mohanty , R.K. (2012) : Environmental Knowledge among Secondary School student of Kamrup district , Comparative study . Indian streams Research Journal. 11, issue July.
- Blum, Abraham (1984) : What Do Israel High School Students know and Believe about Environmental (issues) and Information, Environmental Education. ٣ , (٤): 338-348.
- Gambro, J.S. And Switzky, H.N. (1996): A national survey of high schools students' Environmental Knowledge. The J. Environmental Education, 27 (3): 21-33
- Gambro, John S. and Switsky, Sarvey N. (1994): Anational Survey of Environmental Knowledge in High School Students Level of Knowledge and Related Variables. Paper Presented at the annual of the American Educational Research Association (New or Learn).(Ed 146-379).
- Hart, E. P. (1997) : Examination of Basic Biology and Non biology students Ecology Comprehension Environmental in Formation Level , and Environmental Attitude , Journal of Research in Science Teaching. 15(1) :73-78.
- Hausbech , K.W. ,Milbrath , L.W. and Enright , S.M. (1992) : Environmental Knowledge , Awareness and Concern Among 11th – grade Students : New York state . Journal of Environmental Education, 24 (1): 27-34.

- Hawkins, E.D. Vinton, A.D. (1973): The Environmental Classroom. Prentice Hall, Inc., Englewood Cliffs, New Jersey U.S.A.
- Hounshell, Paul B, and Larry Liggett. (1976): Environmental Education One Year Later. The j. Environmental Education .8 (1): 32-35.
- Leeming , F.C. Dwyer , W.O. ,Porter , B .E. and Cobern , M.S. (1993) : Outcome research in Environmental Education : A critical Review . The J. Environmental Education, 22 (4): 8-21.
- Madany, I. M. and Bugahoos, K . A. (1998): An Assessment of 6th, 9th and 12th grade student's Environmental knowledge in Bahrain. J. Environment International 24 (3): 325-330.
- McKibben, W. (1992): The age of missing Information, New York: Random House.
- Moyer. R.H. (1971) : Environmental Attitude Assessment Another Approach, Science Education .6 (3) : 374-356 .
- Murch, A.W. (1971): Public Concern for Environmental Pollution. Public Opinion Quarterly, 35: (100-106).
- Murphy, T.P. (2002): The Minnesota Report Card on Environmental Literacy. Minnesota office of Environmental Assistance. Hamline University Minnesota,U S.
- Ostman ,R.E. and Parker , J.L. (1987) : Impact of Education ,Age, Newspaper ,and Television on Environmental Knowledge ,Concerns, and Behaviors .J. Environmental Education , 19 (1): 3-9.
- Richmond, J. and Morgan, R.F. (1977): A National Survey of Environmental Knowledge and Attitudes of Fifth Year Publics in England. Unpublished Doctoral Dissertation. Ohio State University.
- Rosta, H., Lim, K.H. and FadhiLah, 0. (2011): Environmental Knowledge and Attitude among Student in Sabah. Science Journal, 14 (Exploring Pathways to Sustainable Living in Malaysia: Solving The Current Environmental issues), (83-87).
- Stapp, B.W., Preservic Teacher Education In; Mclnnie, D. (1975). What Makes Education Environmental, Environmental Educators, Inc.? Washington D.C. and Data Courier, Inc.

التوسع العمراني وأثرة في استعمالات الارض الزراعية في ريف ناحية الصقلاوية مقاطعة (أبو اسديرة) أنموذجا.

د. اسماعيل محمد خليفه العيساوي
جامعة الانبار / كلية التربية للعلوم الإنسانية / قسم الجغرافية

المستخلص
تناول البحث دراسة التوسع العمراني على حساب الارض الزراعية في ريف ناحية الصقلاوية (مقاطعه ابوسديرة) وقد تم اختيار هذه المقاطعة نموذجا للدراسة نظرا لاهميتها ومساحتها وموقعها المهم وتم ابراز صور التوسع العمراني عبر ثلاث مراحل للفترة من (١٩٧٧_٢٠١٢)وقد اعتمد البحث على ابراز النسبة المؤية للتغير في اعداد السكان ومساحات الاراضي الزراعية وعدد الوحدات السكنية وعدد الاسر .
من اجل توحيد المقياس لمعرفة حجم الفجوة ما بين التغيرين ،وذلك لان اختلاف وحدات المقياس من خلال استخدام معدل النمو السكاني ،ونسبة التغير للمساحات الزراعية لا يمكن معها عمل الجداول ورسم الاشكال البيانية التي توضح الصور .

وقد تم التوصل من خلال البحث الى النتائج التالية :
١- ان التوسع العمراني بجميع اشكاله كان عشوائيا باتجاه الاراضي الصالحة للزراعة .
٢- تقلصت مساحات الاراضي الزراعية ما بين عامي ١٩٨٧_٢٠١٢بنسبه كبيرة وصلت الى (-١٦.٢٢)% .
٣- ازدادت اعداد الوحدات السكنية بشكل كبير وصلت النسبة المئوية الى (١١٤%) ما بين عامي ١٩٨٧ _١٩٩٧ و٧١%مابين عامي ١٩٩٧ _٢٠١٢،مما ادى الى اقتطاع مساحات واسعه من الاراضي الصالحة للزراعة وتحويلها الى الاستعمال السكني .

Urban expansion and its impact on the use of agricultural land in the Countryside of qlawiyah Township Abu Sedira County as model

Dr . Ismaeel Mohamed Khalifa Al-Isawi

Abstract

The research deals with the impact of urban expansion at the expnse of agricultural land in the countryside . Al Saqlawiyahs Township Abu Sedira.County has been chosen as a model for study because of its importance, being a wide area and important location .The study highlighted . Urban expansion across three stages for the period of 1977-2012 .The poper is set to highlight the percentage of the change in population numbers and areas of agricultural land and the number of houses in order to unify the scale to see the size of the gap between the two changes , be cause different units of measure through the use of the population growth rate and the rate of change of agricultural areas cannot make tables and draw graphs that show the change rates.

The paper has come up with the following results:

1 .Urban expansion in all its forms was random in agriculturd areas .

2 .The agricultural land areas shrunk between the years 1987 to 2012 by a large margin (-16.22%)

3 . The number of housing units increased significantly and reached the percentage to 114% between 1987-1997 and 71% between 1997 to 2012 resulting in truncating a large areas of arable land and nverted to residential purposes .

المقدمة

انطلاقا من أهمية وضرورة اعتماد الدراسات العلمية الدقيقة أساسا لأعداد الخطط التنموية ، وتطوير الاساليب التخطيطية ،مدخلا رئيسيا للتصدي الحازم لبعض المشاكل والثغرات القائمة في الانشطة الاقتصادية والخدمية ،فقد تمت المبادرة في اعداد هذا البحث الذي يستهدف تحقيق بعض الغايات والخطط التي تتصدى لإحدى اهم المشاكل التي يعاني منها القطاع الزراعي كأحد أهم النشاطات الاقتصادية في هذا البلد ،وهي مشكلة التوسع العمراني على حساب الاراضي الزراعية .

ولا يمكن الأدعاء بأن هذه الدراسات هي حديثة بمفهومها العام ،حيث سبقت الاشارة في مثل هذه الدراسات منذ الثلاثينيات من القرن الماضي الى مشكلة الزحف العمراني في دراسة ددلي ستامب (DUdly stamp)[١] الذي كان أستاذ الجغرافية بجامعة لندن ،أذ قام بأول مشروع شامل لمسح استخدام الارض والذي ركز فيه على مسح وتصنيف أنماط استخدام الارض ،وحدد مشكلة الزحف العمراني والصناعي على الاراضي الزراعية في بريطانيا ، ونبهت هذه الدراسة الى ضرورة العمل السريع لحل المشاكل الاقتصادية والعمرانية والاجتماعية في هذا البلد .

وقد تبعت هذة الدراسة دراسات عديدة ، لكن أهمها دراسة لمنظمة الغذاء والزراعه الدولية (F.A.O) أذ أسهمت هذه الدراسة في وضع الاسس لمسح وتصنيف الاراضي وفقا لنظام محدد من اجل سد الثغرات والمشاكل الناجمة عن سوء استخدام الارض وتجاوز الاستعمالات المختلفة على بعضها ومنها زحف الاستعمال الحضري باتجاه الاراضي الزراعية التي تعد الاساس الاقتصادي للمجتمعات الحضرية المجاورة[٢].

واذا أخذنا بنظر الاعتبار مشكلة توفير الغذاء للأعداد المتزايدة من السكان والتي يعدها العالم أحد ابرز المشاكل التي تواجه العالم في الوقت الحاضر ، فأننا نصبح أمام مشكلة مركبة يزداد تأثيرها يوم بعد يوم وهي مشكلة الفجوه الكبيرة بين زيادة السكان وزيادة انتاج الغذاء .

ولعل أوائل من أشار الى هذه المشكلة هو(توماس مالتس)[٣]الذي أشار الى أن الزيادة في السكان تجري وفقا لمتوالية هندسية أما زيادة أنتاج الغذاء تجري وفقا لمتوالية حسابية مما يجعل الفجوة واسعة جدا مع تقدم السنوات وازدياد السكان بشكل هائل .

وبالنظر الى هذه الاهمية التي تتمتع بها الزراعة فقد تناول البحث دراسة استعمالات الارض في منطقة الدراسة (مقاطعة ابو اسديرة) بأنماطها الثلاثة ،الاستعمالات الزراعية ، والاستعمالات السكنية ، والخدمات ، لغرض تبيان حصة كل استعمال وفقا لفترات زمنية محددة وتوضيح الزحف الحاصل

للاستعمال السكني على حساب الاستعمال الزراعي ،بهدف الكشف عن حجم المشكلة التي تعاني منها الاراضي الزراعية في هذه المنطقة .

مشكلة البحث

إن طبيعة المشكلة القائمة في منطقة الدراسة تتمثل في وجود استيطان عشوائي لم يخضع لأسس علمية صحيحة قائمة على التخطيط من قبل المؤسسات الحكومية او القطاع الخاص .لذلك فان مشكلة البحث سوف يتم عرضها على شكل تساؤلات تبحث عن اجابة وكما يلي :

١- هل كان للعوامل الجغرافية الطبيعية والبشرية أثر في التوسع العمراني باتجاه الاراضي الزراعية .؟
٢- هل ادى التوسع العمراني الغير مخطط الى انحسار مساحة الاراضي الزراعية خلال مدة البحث ؟
٣- هل هناك أفق مستقبلي للحد من هذه المشكلة والمحافظة على أغلى ثروة وهي الارض الزراعية ؟

فرضية البحث

المقصود بالفرضية :هي الحل الافتراضي للمشكلة القائمة ، لذلك لابد لكل بحث من فرضية تمتاز بالدقة ، وسعة الافق ، ذلك أن الفرضية الصحيحة تقود الى نتائج صحيحة والعكس الصحيح .

يعتمد البحث على فرضية رئيسية هي ان زيادة أعداد السكان تؤدي الى زيادة رقعة الارض المعمورة عل حساب الاراضي الزراعية وقد كان لبعض العوامل الطبيعية والبشرية أثر واضح في التوسع العمراني داخل هذه المقاطعة وكما سيتضح لاحقا .

هدف البحث

يهدف هذا البحث الى تحليل استعمالات الارض داخل مقاطعة ابو اسديرة وتفسير اسباب الوضع القائم ، والكشف عن الخصائص لتلك الاستعمالات وبيان اثرها في انحسار مساحة الاراضي الزراعية في منطقة الدراسة ،ومحاولة الكشف عن الاسباب التي ادت الى التوسع العمراني الكبير في هذه المقاطعة .

اما اهم مبررات البحث لهذه المنطقة فقد تمثلت بالاتي :

١- تعد منطقة الدراسة (مقاطعة ابو أسديرة) الظهير الريفي لمدينتي الفلوجة والصقلاوية باعتبارها تقع ضمن نطاق المناطق السهلية ذات الاراضي الخصبة والمنبسطة .

٢- احتواء المنطقة على أمكانيات تنموية يمكن أن تقوم عليها الخطط المستقبلية للتنمية وتطوير استعمالات الارض الزراعية وفقا للتكامل الزراعي الصناعي .
٣- افتقار منطقة الدراسة الى دراسات وبحوث تفصيلية تعنى بالتطرق الى المشاكل التي تعاني منها ولعل أهما المشكلة التي نحن بصدد دراستها مع بحث الافاق المستقبلية التي تضع الحلول المناسبة لهذه المشكلة .

أهمية البحث

تأتي أهمية هذا البحث من أهمية الاراضي الزراعية التي يمكن عن طريقها توفير الغذاء ، اذ ان مسألة الامن الغذائي وقلة مساحة الاراضي الصالحة للزراعية ، وربما سوء استغلال هذه الاراضي ، جعلت الجغرافيين يهتمون بعمليات المسح الشامل لكل ما هو قائم على سطح الارض من ظواهر طبيعية وحضارية لذلك فقد اهتم هذا البحث بالتعرف على حجم التوسع العمراني مقاطعة (أبو سديره) ضمن ريف ناحية الصقلاوية وما يمثله من خطر حقيقي تنعكس آثاره السلبية على الاقتصاد الوطني والأمن الغذائي للسكان بشكل عام .

حدود منطقة البحث

الحدود المكانية : تقع ناحية الصقلاوية ما بين دائرتي عرض ٣٣.٢٠شمالا و٣٣.٤٢ شمالا وما بين خطي الطول ٤٣.٢٢و٤٣.٤٥ شرقا . خارطة رقم (١) .
ومنطقة الدراسة (مقاطعة ابو اسديرة) التي تبلغ مساحتها ١٤.٦٥٤ دونم تقع في الجزء الجنوبي الشرقي من ناحية الصقلاوية ويحدها من الغرب مقاطعتي البوعكاش والزغاريت ، ومن الشمال يحدها مقاطعتي العكيلي والعنازي ومن الشرق والجنوب يحدها مقاطعتي الجغيفي والازركية التابعتين لمركز القضاء الفلوجة .خارطة رقم (٢) وتبعد منطقة الدراسة حوالي (١١) كم عن مركز مدينة الفلوجة وتقع محاذية للخط السريع الذي يمر في الجزء الجنوبي منها كما تبعد عن مدينة بغداد بحوالي ٧٧كم وعن مدينة سامراء ٩٠كم .
وتقع هذه المقاطعة (أبو اسديرة) ضمن الاراضي السهلية المنبسطة ، وذات الخصوبة العالية ، والتي تمثل البدايات الشمالية لمنطقة السهل الرسوبي في العراق ، ويقع الى الغرب من مقاطعة (ابو اسديرة) جدول الكرمة الاروائي الذي يستمد مياهه من نهر الفرات وتعتمد عليه المقاطعة في ري الاراضي الزراعية فيها ، كما يوجد في المقاطعة شبكة جيدة من مشاريع البزل التي تعد غير كفوة في الوقت الحاضر بسبب الاهمال وعدم الصيانة كما تم تنفيذ مشاريع ري متكاملة في هذه المنطقة الا انها لم تعمل لحد الان بسبب الظروف الامنية التي يمر بها البلد .

إضافة الى ذلك فأن موقع منطقة الدراسة الذي يكون وسطا بين مدن الفلوجة وسامراء والصقلاوية وكذلك أرتباطها بالطريق السريع مع مدينة بغداد وكذلك ارتباطها بشبكة جيدة من طرق النقل ، كل ذلك أدى الى سهولة عملية تسويق منتجاتها الى الاسواق في المدن انفة الذكر.

الحدود الزمانية :

تم تحديد مدة البحث بين عامي ١٩٧٧ -٢٠١٢ ويعود السبب في ذلك الى توفر البيانات المطلوبة من الدوائر الرسمية هذا من ناحية ومن الناحية الاخرى يمكن من خلال استعراض الزيادة السكانية مقارنة بزيادة الارض الزراعية الكشف عن الفجوة الهائلة بين النمو السكاني وزيادة الاراضي الزراعية التي تعد محدودة مقارنة مع الزيادات السكانية .

خريطة رقم (١)

موقع منطقة الدراسة بالنسبة لمحافظة الانبار والعراق

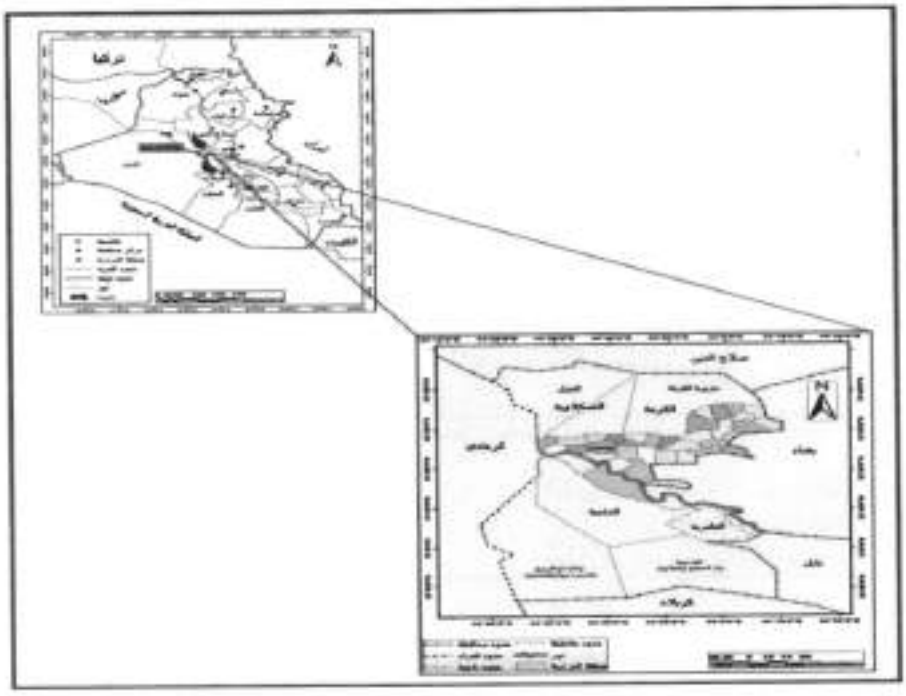

المصدر : جمهورية العراق وزارة الري ، الهيئة العامة للمساحة ،فهرس مقاطعات الانبار ، مقياس ، 1:500000 .

وقع منطقة الدراسة بالنسبة لناحية الصقلاوية
خريطة رقم (٢)

المصدر : جمهورية العراق وزارة الري ، الهيئة العامة للمساحة ، فهرس مقاطعات الانبار ، مقياس ، 1:500000 .

المبحث الاول :

العوامل المؤثرة في التوسع العمراني في منطقة الدراسة :

من أجل توضيح صورة التأثير للعوامل المختلفة وبيان ملامح أبعادها في موضوع البحث فقد تم تقسيمها الى قسمين : عوامل طبيعية وعوامل بشرية

أولا العوامل الطبيعية:

تعد الخصائص الطبيعية لأي منطقة ذات تأثير كبير في استعمالات الارض وذلك أن هذه الخصائص تتداخل في بعضها من حيث التأثير ، سواء كان ذلك في صالح الانسان المستثمر أم في غير صالحة

واستنادا الى ذلك ، فأنه من الصعوبة الفصل بين تأثير كل عامل على حدة بعيدا عن تأثير العوامل الاخرى فلو أخذنا عامل التضاريس على سبيل كعامل طبيعي له تأثيره الواضح في درجة استثمار الارض الزراعية ، فقد يكون مشجعا على تفاعل الانسان مع الارض او قد يحرم ذلك الانسان من استثمارها ، وحتى لو كان اثر العامل ايجابيا ، فأنه يتوقف أيضا على صلاحية التربة للإنبات من حيث تركيبها ونوعيتها ، ومدى غناها بالمواد والعناصر الغذائية الملائمة لحاجة النبات .

ويمكن تصنيف الخصائص الطبيعية المؤثرة في التوسع العمراني على حساب الاراضي الزراعية وحسب درجة تأثيرها الى عدة خصائص وكالاتي :

١- **أشكال السطح** : يعد هذا العامل من أبرز العوامل الطبيعية المؤثرة في استعمالات الارض وعلى نحو خاص الاستعمالين الزراعي والسكني ، لذلك لجأ الانسان ومنذ اقدم العصور الى استغلال الارض السهلية المنبسطة قبل أن يستثمر الجبال والهضاب [٤]. تشكل منطقة الدراسة (مقاطعة ابو أسديرة) جزءا من ريف ناحية الصقلاوية الذي تشكل فيه قسمين رئيسين من اقسام سطح العراق على السهل الرسوبي الذي تكون بفعل الترسبات التي جلبها نهر الفرات اثناء مواسم الفيضانات والمنطقة المتموجة ، حيث تغلب صفة الاستواء أغلب أجزاء المقاطعة لكونها تعد جزءا من منطقة السهل الرسوبي في المنطقة ، ما عدا أجزائها الجنوبية فأنه تقع ضمن المنطقة الهضبية المتموجة والتي يمر خلالها الخط السريع الذي يربط غرب العراق بوسطه وجنوبه .

وبناءا على ما تقدم تعد منطقة الدراسة من ناحية انبساط الارض وسهولة التنقل واستثمار الارض بالزراعة وسهولة بناء الوحدات السكنية من المناطق الجاذبة للاستعمالات الزراعية والاستعمالات السكنية على حد سواء.

٢- المناخ

يعد المناخ من اهم العوامل الطبيعية التي تؤثر بصوره مباشره في تشكيل مظاهر سطح الارض سواءا كانت مظاهر التضاريس وتكوينها او تكوين التربة او حياة النبات والحيوان(٥).

وبالنسبة لمناخ منطقة الدراسة فإنه صحراوي جاف تغلب عليه الصفة القارية اذ يتراوح معدل درجة الحرارة ما بين ٣٤,٥صيفا" و ٩,٧ شتاء" كما يتصف المناخ با رتفاع المدى الحراري اليومي والسنوي وطول الفصل

الحار وقصر الفصل البارد واعتدال المناخ لعدة اسابيع خلال الفصلين القصيرين المتمثلين بفصل الربيع والخريف .(٦)

لذلك فأن مناخ المنطقة يتيح ظروفا" ملائمة تسمح بتنوع فرص استعمالات الارض الزراعية ويعد عاملا" مشجعا" للاستعمالات السكنية كذلك .

٣- التربة:

هي عباره عن جسم طبيعي على سطح الارض لها صفات متاتية من التأثير المتداخل للمناخ والمادة الحيه (الحيوان والنبات) والتي تعمل على المادة الام المتأثرة بالانحدار خلال فتره من الزمن (٧).

اما مفهوم التربة عند الفلاح فهو يعد اكثر واقعيه ،فهي بالنسبة له الوسط الذي ينمو فيه النبات ، لذلك فالتربة تعتبر من المتغيرات التي لها علاقه وثيقه في تباين استعمالات الارض المختلفة في منطقة الدراسة .

وفي منطقة الدراسة (مقاطعة ابوسديرة) فأن الترب حديثة التكوين نتيجة الفيضانات المتكررة لنهر الفرات والرياح ، لذلك فهي تربه منقولة نتجت عن الانتقال من اماكن نشئتها وترسبت في أماكنها الحالية .

ويوجد في منطقة الدراسة نوعان من الترب هي ترب احواض الانهار التي تنتشر في معظم اجزاء منطقة الدراسة وهي ذات نسجه مزيجيه او مزيجية غرينيه ،والترب الصحراوية التي توجد في الاجزاء الجنوبية من منطقة الدراسة وهي لا تشكل الا جزء" قليلا" تم استغلاله في مد الطريق السريع الذي يمر بالمنطقة مع شريط ضيق محاذي للطريق استغله بعض السكان في اقامة منازلهم عليه .

وتخلو منطقة الدراسة من ترب كتوف الانهار ذلك انها بعيده نسبيا" عن ضفاف نهر الفرات .

٤- الموارد المائية:

تلعب الموارد المائية على مختلف اشكالها السطحية والجوفية دورامهماً ومؤثرا في استعمالات الارض الريفية بمختلف انماطها في منطقة الدراسة ،ولعل اهم مجال يمكن ان تلعب فيه الموارد المائية دورا" مؤثرا" هو الزراعة الذي يعد اهم الانماط السائدة في المنطقة ،اذ يتضح ان العلاقة بين الموارد المائية والزراعة علاقه طرديه ،فاذا ما توفرت المياه بصوره جيده فأن تأثيرها سيكون مباشرا" على قيام الزراعة وتوسعها ،وبالتالي توسع المستوطنات الريفية .

وبما ان الامطار ليس لها دور يذكر في الزراعة ضمن منطقة الدراسة ذلك انها تقع ضمن المناخ الصحراوي الجاف كما سبقت الإشارة الى ذلك ،فقد تم التطرق الى المياه السطحية في منطقة الدراسة والمتمثلة بنهر الفرات والجداول المتفرعة منه ،لذلك تعتمد منطقة الدراسة (مقاطعة ابو سديره) على جدول الكرمة المتفرع من نهر الفرات في سقي الاراضي الزراعية والاستخدامات المنزلية والصناعية المختلفة ، اذ ان هذا الجدول يعد احد اهم العوامل التي ادت الى استقرار السكان في هذه المنطقة واستغلال الارض لأغراض الزراعة ثم السكن فيها تبعا" لذلك .

ثانيا" العوامل البشرية :

يتجلى دور العوامل البشرية في استعمالات الارض المختلفة من خلال تفاعل العلاقات المكانية للتوزيعات الطبيعية والبشرية في اي أقليم على سطح الارض ،وهذا التفاعل ينحصر في الانسان ، فهو يعد صانع القرار في رسم هذا التفاعل على نحو سلبي او ايجابي .

وسيتناول هذا المبحث دراسة العوامل البشرية التي رسمت صورة التوسع العمراني وأثره على المساحات المزروعة في منطقة الدراسة والتي شملت الجوانب التالية :

١- النمو السكاني :

يعد هذا العامل من أهم العوامل البشرية التي ادت الى بروز مشكلة التوسع العمراني على حساب الاراضي الزراعية ضمن منطقة الدراسة، وهذه المشكلة دعت العالم الى الانتباه الى مشكلة لا زالت اخذة" في التوسع والانتشار على نحو" يهدد بالقضاء على الاراضي الزراعية بشكل كامل ،اذ ان زيادة عدد السكان يتطلب المزيد من الحاجات كالغذاء وبناء الوحدات السكنية والخدمات العامة الاخرى ، فضلا" عن اقامة المؤسسات الصحية والتعليمية والصناعية ، والتي غالبا ما تنشأ فوق الاراضي الخصبة القريبة من مصادر المياه وهذا ما نراه بأوضح صورة" في منطقة الدراسة .

فقد ازداد عدد السكان في منطقة الدراسة ما بين عامي ١٩٧٧ _ ١٩٧٨ حيث أصبح (٢٠٥٨) نسمة في عام١٩٨٧بعد أن كان عام (١٦٩٥) نسمة في عام ١٩٧٧بزيادة

مطلقة بلغت (٣٦٣)نسمة وبنسبة ٢١.٤ % أما الفترة ما بين ١٩٨٧ و ١٩٩٧ فقد بلغت الزيادة ٢١٣٧نسمة بنسبة ١٠٣,٨% اما الفترة ما بين ١٩٩٧ ـ ٢٠١٢ فقد بلغت الزيادة السكانية فيها من ٤١٩٥ نسمة الى ٦٩٣٧ نسمة على التوالي بزيادة مطلقة بلغت ٢٧٤٢ نسمة وبنسبة زيادة بلغت ٦٥.٣% نلاحظ الجدولين رقم (١و٢)

ان هذه الزيادة المستمره في اعداد السكان لا شك انها سوف تأثر في شكل سلبي على مساحات الاراضي الزراعيه في منطقة الدراسه حيث نلاحظ تراجعاً واضحا" من المساحات المزروعة بالمحاصيل كما يلاحظ من جدول رقم أثنين مع زيادة" واضحة في أعداد السكان وعدد الوحدات السكنية التي لا شك في انها سوف تكون على حساب الاراضي الزراعية كما سنلاحظ عند دراستنا للمبحث الثاني من هذا االبحث.

٢- العوامل الاجتماعية:

تعد هذه العوامل ذات تأثيرافعال في استعمالات الارض المختلفة خصوصا الاستعمالات الزراعية منها.

وتشمل العوامل الاجتماعية الاعراف والتقاليد والعادات الاجتماعية والعقائد الدينية والوضع الحضاري والمستوى الثقافي والفكري ،وغيرها من العوامل التي تأثر في سلوك المجتمع وعلاقة افراده بالارض وببعضهم البعض .

وهذا يعني أن انماط الزراعة ترتبط بالتنظيمات الاجتماعية السائدة، اي ان أختلاف مستوى الجماعات البشرية الثقافي وتباين تركيبهم الاجتماعي من مكان لاخر يصاحبه أختلاف في نوع المنتجات الزراعية وطريقة انتاجها .

وبالنسبة لمنطقة الدراسة فقد كان لهذه العوامل تأثير كبير في عقد الثمانييات من القرن الماضي بفعل سيطرة العادات والتقاليد انذاك ،الا ان تأثيرها انحسر بفعل ارتفاع المستوى الثقافي والعلمي في هذه المنطقة .

فقد كانت زراعة البطاطا أنذاك فيها محاذيرا بفعل تردد الفلاحين في زراعتها وتأثير بعضهم على البعض الاخر وحتى بالنسبة لزراعة بعض انواع الخضراوات على رغم ملائمة جميع الظروف لزراعتها ،

جدول رقم (١)

زيادة اعداد السكان والاراضي الزراعية للفترة من ١٩٧٧_٢٠١٢ في مقاطعة ابوسديرة

(ريف ناحية الصقلاوية)

ت	السنوات /المتغيرات	١٩٧٧	١٩٨٧	١٩٩٧	٢٠١٢
	الزيادة السكانية نسمة	١٦٩٥	٢٠٥٨	٤١٩٥	٦٩٣٧
	زيادة الاراضي دونم	٦٩٢٥	٩١٤٢	٨٦٣٠	٧٢٣٠
	عدد الوحدات السكنية	١٥٤	١٨٧	٣٩٠	٦٦٧
	عدد الاسر	٢٢١	٢٩٤	٥٩٩	٧٣٩

المصدر :

١- جمهورية العراقية، وزارة التخطيط،الجهاز المركزي للاحصاء،نتائج التعداد السكاني ل محافظة الانبار عام ١٩٧٧ ص[٢٤_٢٥].

٢- الجمهورية العراقية ،وزارة التخطيط،الجهاز المركزي للاحصاء.،نتائج التعداد العام لسكان محافظة الانبار عام ١٩٨٧ ص[٢٤].

٣- جمهورية العراق ،هيئة التخطيط،مديرية احصاء الانبار ،النتائج الاولية لتعداد السكان ١٩٩٧،بيانات غير منشورة .

٤- جمهورية العراق ،وزارة التخطيط والتعاون الانمائي ،الجهاز المركزي للاحصاء وتكنولوجيا المعلومات ،مديرية أحصاء السكان والقوى العاملة ،تقديرات سكان العراق لعام ٢٠١٢،ص[٣٨].

٥- جمهورية العراق ، وزارة الزراعة ، مدرية زراعة محافظة الانبار ، شعبة زراعة الصقلاوية ، المساحات المزروعة بالمحاصيل الزراعية المختلفة لاعوام من ١٩٧٧-٢٠١٢ ، بيانات غير منشورة .

جدول رقم (٢)

الزيادة المطلقة ونسبتها المئوية للسكان والاراضي الزراعية في مقاطعة ابو سديرة ريف ناحية الصقلاوية لفترة ١٩٧٧ _ ٢٠١٢

	١٩٧٧-١٩٨٧		١٩٨٧-١٩٩٧		١٩٩٧-٢٠١٢	
الزيادة السكانية (نسمة)	٣٦٣	٢١,٤%	٢١٣٧	١٠٣,٨	٢٧٤٢	٦٥,٣
زيادة الاراضي الزراعية (دونم)	٢٢١٧	٣٢,٠١	٥١٢-	٥,٦٠-	١٤٠٠-	١٦,٢٢-
عدد الوحدات السكنية	٣٣	١٢,٤٢	٢٠٣	١١٤,٠٤	٢٧٧	٧١,٠٢
عدد الاسرة	٧٣	٣٣,٠٣	٣٠٥	١٠٣,٧	١٤٠	٢٣,٣٧

المصدرمن عمل الباحث بالاعتماد على معطيات جدول رقم (١)

الا انها لازالت تزرع على نطاق ضيق جدابفعل تأثير هذه العوامل الاجتماعية ،اما بالنسبة للسكن الريفي فقد كانت العادات والتقاليد السائده سابقاً تقتضي ان تبقى العائله موحدة على الرغم من توسعها وزواج الابناء وتكوين العوائل داخل البيت الكبير ، الا ان ذلك انحسر بفعل التقدم الحاصل بالمستوى الثقافي والعلمي ، مما ادى الى انشطار العوائل وبناء الوحدات السكنية المتعددة داخل المزرعة الواحدة ،فقد تبين من خلال الجدول (١) الزيادة الكبيره في عدد الوحدات السكنية وعدد الاسر ما بين عامي ١٩٧٧ _ ٢٠١٢ مما اثر بشكل كبير على تناقص المساحات الزراعية بشكل ملحوظ .

ومن العوامل الاجتماعية الاخرى والتي اسهمت في التوسع العمراني هي عامل الارث ، الذي ادى الى تفتيت الملكيات الزراعية بحيث تحولت وظيفة الارض من

الاستعمال الزراعي الى الاستعمال السكني بشكل كامل وخصوصا" في العوائل الكبيرة حيث لم يتبقى للعائلة الواحدة سوى حديقة منزلية فقط.

٣-الانماط الزراعية:

يلاحظ من خلال الجدول رقم (١) ورقم (٢) ان المساحات المزروعة بمختلف المحاصيل الزراعية قد تقلصت نسبتها المئوية بشكل كبير ما بين عامي ١٩٨٧_٢٠١٢ حيث كانت هذه المساحات تشغل ٩١٤٢ دونم عام ١٩٨٧ فقد اصبحت ٧٢٣٠ دونم عام ٢٠١٢ وهذا التناقص في مساحة الارض الزراعية صاحبه زيادة كبيرة في عدد السكان وعدد الوحدات السكنية التي ادت الى تحويل الكثير من الاراضي الزراعية الى وحدات سكينة .

أما بين عامي ١٩٧٧_١٩٨٧ فقد شهدت الاراضي الزراعية زيادة في المساحات المزروعة بفعل تشجيع الدولة ودعم الفلاحين بالأسمدة والبذور المحسنة واستلام الناتج من قبل الدولة كلها عوامل ادت الى زيادة رقعة الارض المزروعة في هذه الفترة .

أما الانماط الزراعية الخاصة بالثروة الحيوانية فأنها تكاد تكون محدودة وذلك بفعل صغر حجم الحيازات الزراعية حيث تقتصر تربية الحيوانات على اعداد قليلة من الابقار ضمن الحيازة الواحدة واعداد قليلة من الاغنام نظراً لعدم وجود المساحات المخصصة لزراعة الاعلاف بشكل كبير وقد لوحظ من خلال الدراسة الميدانية ان هناك عدد كبير من المزراعين يمارسون تربية العجول والخراف لغرض التجارة ذلك بسبب قرب المقاطعة من مدينتي الفلوجة والصقلاوية ذات الاستهلاك العالي لمادة اللحم وكذلك وقوع هذه المقاطعة على الطرق الرئيسية التي تشجع مثل هذه التجارة بين المدن الرئيسية .

المبحث الثاني :
التوسع العمراني على حساب الاراضي الزراعية في منطقة الدراسة

يرتبط التوسع العمراني على حساب الاراضي الزراعية بموضوع النمو السكاني ،اذ انه يعد نتيجة حتمية لزيادة عدد السكان ،وما يرتبط لهذه الزيادة من طلب على الاراضي لأقامة الوحدات السكنية والمرافق الخدمية الاخرى .

وغالباً ما تكون الارض الزراعية محاذية للمستوطنات الريفية من ما يجعلها عرضة للتوسع بأتجاهها على حساب الاراضي المنتجة التي توفر غذاءً للسكان ومصدراً للمعيشة ان الهدف الرئيسي من أعطاء صورة عن الزحف العمراني

وتوسعه والمساحات التي فقدت وسوف تفقد بالمستقبل هو لتوضيح مدى خطورة هذه المشكلة ولا يعني ذلك وقف التوسع العمراني لانه جزءً من حياة الانسان ولكن توجه هذا التوسع نحو الاراضي غير الزراعية لانه يعد شكلاً من اشكال التصحر بل هو اخطر اشكاله ليس بسبب خفض انتاجية الترب وانما لانه يسبب تدهوراً كاملاغير قابل للعلاج او الاصلاح .

واستناداً الى ما سبق فسوف نتطرق الى التوسع العمراني في منطقة الدراسة عبر تناوله من خلال عدة محاور لتبيان مدى التوسع في كل محور من هذه المحاور ثم ثم بيان توسع الخدمات والمرافق الاخرى تبعاً لذلك .

أولا: مراحل النمو:

في هذا المحور سوف يتم التطرق الى تناول التوسع العمراني من خلال ثلاث مراحل لتبيان مدى التوسع في كل مرحلة من هذه المراحل وكما ياتي :

١- المرحلة الاولى :١٩٧٧-١٩٨٧ م.

شهدت منطقة الدراسة خلال هذه الفترة زيادة في عدد السكان رافقها زيادة في مساحة الارض الزراعية وبشكل متقارب ، اذ يتضح من خلال الجدول رقم١ و٢)والشكل رقم (١) أن عدد السكان كان عام ١٩٧٧ (١٦٩٥) نسمة وأزداد عام ١٩٨٧ ليصبح ٢٠٥٨ نسمة بزيادة مطلقة قدرها ٣٦٣نسمة وبنسبة ٢١.٤% وهذه الزيادة انعكست على زيادة عدد الاسر وبالتالي زيادة عدد الوحدات السكنية .

فقد بلغ عدد الاسر عام ١٩٧٧ (٢٢١) اسرة يسكنون في١٥٤وحدة سكنية شغلت مساحة (٢٨) دونم بينما بلغ عدد الاسر عام ١٩٨٧ (٢٩٤) اسرة يسكنون في (١٨٧) وحدة سكنية شغلت مساحة حوالي (٣٨) دونم .

وبذلك زادت مساحة التوسع العمراني من (٢٨) دونم الى (٣٨) دونم اما مساحة الاراضي الزراعية فقد زادت هي الاخرى في نفس الفترة من ٦٩٢٥ دونم عام (١٩٧٧) الى (٩١٤٢) عام ١٩٨٧ بزيادة مطلقة قدرها (٢٢١٧) دونم وبنسبة (٣٢.٠١)% ويلاحظ ان هذه الزيادة في اعداد السكان المرافقة لزيادة المساحات الزراعية يعود سببه الى سياسة التنمية الانفجارية التي اتبعتها الدولة في جميع مرافق الحياة لذلك شهدت منطقة الدراسة توسعاً في بناء المرافق الخدمية والمدارس وتعبيد الطرق كما شهدت هذه الفترة قيام سياسة الدولة على تشجيع الانجاب وبالتالي زيادة اعداد السكان .

وفي هذه الفترة بفعل الارتفاع المستوى المعاشي والاقتصادي للسكان فقد شهدت منطقة الدراسة الابتعاد تدريجياً عن طراز البناء المتمثل (بالحوش)والاتجاه نحو الطراز الغربي الخالي من الفضاءات الداخلية واسهم في صغر حجم الوحدة السكنية التي كانت تزيد على ١٠٠٠ م في بعض الاحيان

٢- المرحلة الثانية (١٩٨٧-١٩٩٧)

شهدت هذه المرحلة زيادة سكانية كبيرة وصلت الى أكثر من ضعف اذ كان عدد السكان عام ١٩٨٧(٢٠٥٨) نسمة واصبح ٤١٩٥ عام (١٩٩٧) بزيادة مطلقة بلغت ٢١٣٧ وبنسبة بلغت (١٠٣,٨)اما عدد الاسر فقد ازداد ليصبح ٥٩٩ اسرة عام ١٩٩٧ بعد ان كان ٢٩٤ اسرة فقط عام ١٩٨٧ .

وقد بلغت عدد الوحدات السكنية (٣٩٠) وحدة سكنية شغلت حوالي (٧١دونم) من مساحة الاراضي الزراعية ، اما المساحات الزراعية فقد شهدت انخفاضا واضحا في مساحة الاراضي الزراعية اذ يتضح من خلال الجدولين رقم ١و٢ والشكل رقم (١) فقد بلغت ٨٦٣٠ دونم عام ١٩٩٧ بعد ان كانت ٩١٤٢ دونم عام ١٩٨٧محققه بذلك انخفاضا مطلقا (٥١٢-)دونم وبنسبة (٥,٦-%) ويعود السبب في ذلك الى زيادة حجم السكان بتوسع الوحدات السكنية على حساب الاراضي الزراعية بالاضافة الى بداية تاثير الاحصار الاقتصادي على الفلاحين في هذه الفترة مما أدى الى أشتغال بعض الفلاحين في مهن الاخرى غير الزراعة .

٣- المرحلة الثالثة ١٩٩٧-٢٠١٢ :

شهدت هذه المرحلة انخفاضا طفيفا بمستوى النمو السكاني مقارنة بالمرحلة التي سبقتها اذ بلغت نسبة الزيادة (٦٥)% بينما كانت (١٠٣%) في الفترة السابقة اذ يتضح من خلال الجدول رقم (١) والجدول رقم (٢) والشكل رقم ١والشكل رقم ٢ أن الزيادة المطلقة بلغت (٢٧٤٢) نسمه اما عدد الاسر فقد بلغت ٧٣٩ اسرة عام ٢٠١٢ تسكن ٦٦٧ وحدة سكنية شغلت حوالي (١٤٧) دونم محققه زيادة في مساحة الاراضي التي تم اقتطاعها من الاراضي الصالحة للزراعة قدرها (٧٦) دونم مقارنة بالفترة السابقة وبنسبة قدرها (١٠٧%) بالمقارنة مع المرحلة الثانية .

هذا التوسع الكبير في العمران باتجاة الاراضي الزراعية ينذر بتفاقم المشكلة مالم يتم التوجية نحو معالجتها بشكل جذري .

اما مساحات الاراضي الزراعية فقد شهدت انخفاضاً أخر في هذه المرحلة اذ يتضح من خلال الجدولين المذكورين والشكلين رقم ١ والشكل رقم ٢ ان المساحات الز راعية قد حققت أنخفاضاً مطلقاً قدره (١٤٠٠_) دونم وبنسبة قدرها (١٦,٢٢_%) مقارنة بالمرحلة السابقة، وهذا يدل على حجم التأثير الكبير للزيادة السكانية الكبيرة والتي تنتج عنها زيادة في عدد الوحدات السكنية بلغت نسبته اكثر من (١٠٠%)ينظر شكل رقم (١) أضافة الى ذلك فقد لوحظ من خلال الدراسة الميدانية ان الكثير من اصحاب الاموال في مدينتي الفلوجة والصقلاوية قد قامو بشراء مزارع خاصه في هذه المنطقة وتخصيصها للراحة قرب هذه المنطقة وتخصيصها للراحة وقضاء اوقات الفراغ ،وذلك بفعل قرب هذه المقاطعة من مركز المدينتين ، اذ ان ارتفاع اسعار الاراضي وقلة المردود الاقتصادي المتأتي

منها دفع الكثير من المزارعين الى بيع اجزاء مهمة من اراضيهم للتجار واصحاب الاموال .

ثانيا : الخدمات التجارية :

لا يخفى ما للخدمات التجارية من اهمية كبيرة بالنسبة للمستوطنات البشرية سواء كانت حضرية ،ام ريفية اذ انها توفر لهذه المستوطنات المساحات الاساسية كما توفر على الساكنين الجهد والوقت في عمليات التسوق والتبضع .

واستنادا الى ما سبق فان الزيادة في اعداد السكان وتوسع المستوطنات البشرية في منطقة الدراسة قد ادى الى ظهور الخدمات التجارية كحاجة لتلبية الاحتياجات السكان لذلك تبين من خلال الدراسة الميدانية وجدود حوالي (١٧٥) محلا تجاريا وهي من النوع محلات البيع بالمفرد على اختلاق انواعها واحجامها فقد شغلت حوالي ٤.٥دونم على اعتبار مساحة المحل مابين ٥٠ – ٦٠ متر وقد كان سبب التوسع في بناء المحلات التجارية في منطقة الدراسة على رغم من قربها من مراكز التوسق الرئيسية في مدينتي الفلوجه والصقلاوية هو الظروف الامنية الغير مستقرة بسب الاحتلال الامريكي وما تبعه من ظروف أمنية مظطربة وانقطاع الطرق في اغلب الاحيان لذلك عمد الكثير من اصحاب الاراضي المواجه للطرق الرئيسة في بناء المحلات تمتد بشكل شريطي متخصص في بيع مختلق المواد ومنها الغذائية والانشائية وغيرها كما عمد بعض اصحاب الاراضي بناء مساحات كبيرة لايواء السيارات المخصصة للنقل (الاتريلات) بجانب الخط السريع وخصوصا في ايام انقطاع الطرق وتوجه السائقين للمبيت في هذه الساحات.

ثالثا:الخدمات الصناعية :

وتمثلت هذه الخدمات بالمحلات والورش الصناعية التي بلغ عددها (٤٠) محلا" شغلت حوالي (٤) دونم وتركزت هذه الورش والمحلات في اغلب الاحيان على الخط السريع لتلبية احتياجات سالكي هذا الطريق اما في داخل المقاطعة الزراعية فان هذه المحلات قليلة ومتباعدة.وتختص هذه الورش والمحلات بتصليح المكائن الزراعية وسيارات الحمل ب الاضافة الى ورش عمل الابواب والشبابيك الحديدية والخزانات وغيرها.

٤- الخدمات الصحية والتعليمية:

تتمثل هذه الخدمات بالمدارس الابتدائية والثانوية والمراكز الصحية والعيادات الخاصة والمجمعات الطبية . فقد بلغت عدد المدارس ضمن اراضي هذه المقاطعة (٦) مدارس ابتدائي والثانوي عدد(٢) ويكون الدوام فيها بالتناوب للبنين والبنات وقد شغلت هذه المدارس حوالي (١٠) دونم من المساحات الصالحة للزراعة وهناك حاجة ملحة لفك الاكتظاظ ببناء مدارس جديدة مما ينذربأقتطاع اراضي زراعي جديدة .اما الخدمات الصحية فقد تمثلت بمركز صحي واحد يشغل

(٨٠٠م٢) وعيادات خاصة عددها (١٠) بالاضافة الى صيدليات عدد (٢) شغلت حوالي (٤٠٠٠)م٢ على حساب الاراضي الصالحة للزراعة .اما الخدمات الدينية فقد تمثلت بالمساجد والجوامع التي يؤدي فيها السكان فروضهم الاسلامية والتي بلغ عددها (٦) جوامع شغلت حوالي (٧) دونم من مساحة الارض الصالحة للزراعة. وبالنسبة للخدمات الاخرى فقد تمثلت بمواقع المولدات الاهلية التي ظهرت بسبب انقطاع التيار الكهربائي وعدم كفايته ، اذ يوجد في هذه المقاطعة (١٠) مولدات تشغل حيزا" كبيرا" من الأراضي الزراعية ،الا انها لا تثير المخاوف في المستقبل للتوسع على حساب الاراضي الزراعية لأنها سوف تختفي مع استقرار التيار الكهربائي في البلد .

المبحث الثالث:
الافاق المستقبلية للتوسع العمراني في مقاطعة (أبو أسديرة) وسبل معالجته

١- التوجهات المستقبلية للتوسع العمراني في منطقة الدراسة .

من خلال ما تقدم من هذه الدراسة تبين ان هناك توسعا كبيرا للعمران بمختلف انواعه سواء كان سكنيا أم تجاريا أم صناعيا أم خدمات ، هذا التوسع العمراني جاء نتيجة للزيادة المستمرة في أعداد السكان مما ادى بالتالي الى الحاجة الى بناء وحدات سكنية أخذت مواقعها على أجود الاراضي الزراعية وهي اراضي السهل الرسوبي العراقي ، حيث تأكلت أغلب الاراضي الزراعية الخصبة بسبب ان الفلاح عند اختياره لموقع بناء الوحدة السكنية يذهب الى اجود القطع الزراعية ليحولها الى الاستعمال السكني .

ولما كان سكان منطقة الدراسة بزيادة مستمرة كما اتضح ذلك من معطيات الجدولين رقم (١) ورقم (٢) فأنه لا شك سيكون بحاجة الى المزيد من الوحدات السكنية لتستوعب تلك الزيادة ، فعند تطبيق معادلة الاسقاطات السكانية (معادلة الاسقاطات السكانية) اتضح ان سكان منطقة الدراسة سيصل تعدادهم عام ٢٠١٧ الى ٩٦٧٩ نسمة مما يتطلب ضرورة التخطيط لمواجهة المخاطر التي تواجه الاراضي الزراعية اذا ما استمرت عملية بناء الوحدات السكنية بهذا الشكل .

ان التوسع العمراني وبناء الوحدات السكنية يأخذ شكلا" افقيا" في غالب الاحيان مما يعكس الاثر السلبي من خلال الاسراف في توزيع القطع السكنية ذات المساحات الواسعة التي قد تصل (١٠٠٠م٢) اذا ما اخذنا ملحقات الوحدة السكنية بنظر الاعتبار .

وقد اتضح من خلال الدراسة الميدانية ان المساكن ذات الطابق الواحد تشكل النسبة السائدة في منطقة الدراسة اذ بلغت نسبتها (٨٥%) اما النسبة الباقية فلم تمثل تلبية

للتخطيط بالبناء العمودي ، وانما جاءت تلبية للرغبات الشخصية او التعبير عن المباهات بالبناء .لذلك فأن التخطيط المستقبلي [٨]يتطلب توفير الاتي :

أ- العمل على توفير مجمعات سكنية في اراضي غير صالحة للزراعة ،حيث يمكن اقامتها في منطقة الدراسة ضمن الجزء الهضبي في جنوب المنطقة بمحاذاة الخط السريع.

ب- العمل على وضع تصاميم تخطيطية للقرى القائمة حاليا" للحد من العشوائية التي تظهر فيها القرى.

ت- ضرورة تحديد مساحة الوحدة السكنية بحيث لا تتجاوز (٢٥٠م٢)

ث- العمل على سن القوانين التي تعمل على تنفيذ ما ورد (أ،ب،ت)

ج- التوعية وتفعيل دور الارشاد الزراعي حول مخاطر التوسع العمراني على حساب الاراضي الزراعية .

ح- اعادة بناء وتأهيل المدارس القائمة بحيث تكون بعدة ادوار لاستيعاب الاعداد المتزايدة من الطلبة .

خ- تشجيع السكان على العمل في الزراعة من خلال دعم الدولة والسياسات الزراعية الهادفة .

د- التوجه لخلق تكامل زراعي صناعي :

يعد هذا التوجه احد اساليب الزراعية الحديثة التي تهدف الى تحقيق الاستخدام الامثل للارض ضمن الاقاليم الزراعية المختلفة وذلك من خلال القيام بجملة من الاجراءات :

أ- تخصيص مساحات معينة لزراعتها بمحاصيل الاعلاف المختلفة

ب- تربية حيوانات الحليب

ت- اقامة مصانع للالبان

ث- تربية حيوانات اللحوم

ج- انشاء مخازن مبردة لحفظ التقاوي والبذور.

ان الحاجة لمثل هذه الاجراءات تفرضها ضرورة ملحة هو ان المنتجات الزراعية النباتية والحيوانية تتعرض للتلف اذا لم تحفظ بشكل جيد لذلك فأن المزارعين في هذه المقاطعة بحاجة لمثل هذه الخطط بغية المحافظة على الاراضي الزراعية والتوسع بها مستقبلا" بالاضافة الى ايجاد فرص عمل للايدي العاملة الموجودة حاليا" في منطقة الدراسة .

فضلا" عن ان اصحاب الحيازات الزراعية الصغيرة يجب عليهم التوجه نحو (البيوت البلاستيكية) المحمية لما توفره من مردود اقتصادي عالي للفلاحين .

٢- التوجهات المستقبلية لتنمية الثروة الحيوانية :

ان التخطيط الاحادي الجانب في العملية الزراعية لن يكون ذا جدوى ما لم يأخذ بنظر الاعتبار الجانب الاخر في هذه العملية وهو تطوير الانتاج الحيواني لما له من تأثير كبير في توفير الدخل للفلاح وتوفير المواد الغذائية للمربين .
ففي مجال تربية الماشية يرى الباحث ان هناك امكانية لتربية الماشية لأغراض التسمين واللحم فقط وذلك ان معظم الحيازات في هذه المقاطعة صغيرة لا تكفي لتربية الماشية بأنواعها وعدم امكانية زراعة محاصيل الأعلاف بشكل كبير .
اما بالنسبة لتربية الدواجن فانه بالإمكان التوسع في تربية الدواجن لأغراض اللحم والبيض لا نها لا تستهلك مساحات كبيرة من الاراضي الزراعية عند انشاء الحقول بالإضافة الى انها تشكل مصدر دخل عالي نسبيا" مقارنة" بالاستعمالات الزراعية الاخرى .
ومن ناحية تربية الاسماك يمكن استحداث هذا الاستعمال ضمن الاجزاء الجنوبية في المقاطعة اذ ان هذه المناطق هي اراضي متملحه غير صالحة للزراعة حيث يمكن استغلال هذه الاراضي لتربية الاسماك لما لها من عوائد اقتصادية كبيرة بالإضافة الى عدم وجود عوائق تحول دون استحداث وتطوير مثل هذه الاستعمال .
وبناء" على ما تقدم وبهدف زيادة أهمية الاستعمالات للأرض بنوعيها النباتي والحيواني فأنه يمكن التوسع في الزراعة المختلطة والتي يقصد بها الجمع بين تربية الحيوانات وزراعة المحاصيل وذلك بسبب صغر حجم الحيازات الزراعية في منطقة الدراسة وهذا التوجه يجب ان يرافقه تخطيط مسبق بغية الحد من التوسع العمراني باتجاه الاراضي الزراعية التي تعد عصب الحياة للقرى الريفية .

الاستنتاجات والتوصيات

في ضوء ما تقدم في هذا البحث تم التوصل الى عدد من الاستنتاجات تبعتها جملة من التوصيات وكما يلي :

أولا : الاستنتاجات :

١- لقد كان لظواهر السطح أثر في التوسع العمراني في منطقة الدراسة نظرا لما توفره الاراضي السهلية المنبسطة من سهولة البناء والتنقل والزراعة .
٢- تبين من خلال البحث وجود مقومات طبيعية وبشرية تساعد على الانتاج الزراعي بشكل كفوء .

٣-تبين من خلال البحث ان هناك تفريط واضح بالتربة الخصبة لحساب أنشاء الوحدات السكنية دون الرجوع الى اي جهة رسمية واستحصال الموافقات الرسمية.
٤-لقد أثر التوسع العمراني سلبا على مساحات الاراضي الزراعية وأدى الى تقلصها بشكل واضح .
٥-عزوف الكثير من المزارعين في منطقة الدراسة على الاعمال الزراعية بسبب وجود اعمال الاخرى في أجهزة الدولة كالوظائف والاجهزة الامنية وغيرها .
٦-ساهم عامل الارث على تفتيت الملكيات الزراعية وتحويلها الى الاستعمال السكني بدلا من الاستعمال الزراعي .
٧-تبين عدم وجود اي قوانين تحد من عملية البناء العشوائي مما شجع المزارعين لزحف نحو الاراضي الصالحة للزراعة .

ثانيا التوصيات :

١-العمل على وضع خطه الزراعية متكاملة لاستصلاح الاراضي الزراعية المستخدمة حاليا والقابله للزراعة بغية زيادة الانتاج والحفاظ على المساحات الاراضي الزراعية الحالية.
٢-محاولة تفعيل القوانين التي تحد من التوسع العمراني على حساب الاراضي الزراعية والاشراف على تنفيذها من قبل الجهات الرسمية .
٣-ضرورة التوعية والارشاد لسكان الريف في القطر ومن ضمنه منطقة الدراسة باهمية وقيمة الارض الزراعية باعتبارها من الموارد الغير قابلة لتعويض في حال ضياعها .
٤-الحد من ظاهرة بناء الوحدات السكنية الواسعه التي تتجاوز (٤٠٠ م^{2}).
٥-توفير الدعم المادي والمعنوي لفلاح وتشجيعه على الاستثمار في المجال الزراعي .
٦-التوجه نحو الاراضي المرتفعة اوالغير الصالحة للزراعة لاقامة المستوطنات الريفية عليها .

المصادر والهوامش :

1- dudiy stomp .land of Britain ,its use and misuse. London .1948

١- د.سامي عبود العامري ،جغرافيا المياه واستخدام االاراضي ، ط ١ مكتبة الرشد للطباعة والنشر والتوزيع ،الرياض ، ١٩٨٨ ،ص٢٢٢،

٢- _وارين س.ثومسون ،دايفيد لويس ،ترجمة دال .راشد البراوي ، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر ، القاهرة ،١٩٦٥ .ص٢٤_٥٧ .

٣- نوري خليل البرازي ،ابراهيم عبد الجبار المشهداني ،الجغرافية الزراعية ، مطابع التعليم العالي ،بغداد ،١٩٨٠ ، ص٤٥ .

٤- عبد العزيز طريح شرف ، الجغرافية المناخية والنباتية ، الطبعة السابعة،١٩٧٧،ص٥ .

٥- د. علي حسين شلش ، القارية سمه اساسية من سمات مناخ العراق ،مجلة الجمعية الجغرافية العراقية ، العدد ٢١، مطبعة العاني ،بغداد ،١٩٨٧ ،ص٤٠ .

٦- د.غوث ودل م تورك، ترجمة د.صالح محمود ود. عبدالله نجم العالي ،اساسيات علم التربة ، مطبعة جامعة بغداد ،١٩٧٨ ص٥ .

٧- جمهورية العراق ، وزارة التخطيط ، هيئة التخطيط الاقليمي ،قسم الاسكان والمستوطنات الريفية،اسس معايير الاسكان الريفي ،تموز ،١٩٧٧،ص٣٥_٥١.

٨- المصدر : جمهورية العراق وزارة الري ، الهيئة العامة للمساحة ، فهرس مقاطعات الانبار ، مقياس ، 1:500000 .

٩- الدراسة الميدانية للمنطقة خلال عامي ٢٠١١_٢٠١٢.

$$Yt=yo+C.(t1-tO)$$

$$C=Y1-YO-(t1-tO)$$

حيث أن :

التعداد الثاني YO

= مقدار النمو سنوي المنتظمC

)= الفرق بين التعدادين(t1-tO

المصدر : د. يونس حمادي علي ، مبادى علم الديمغرافية ، مطابع جامعة الموصل ، مديرية مطبعة الجامعة ، بدون سنة طبع ، ص.٤٣

مقارنة الريادة المهنية ممثلة بالرحلة المرزومة لتوماس كوك بالابتكارات النظرية كما تعكسها تفاضلية الحاجات الانسانية لإبراهام مازلو

أ.د. مثنى طه الحوري
جامعة الزيتونة الأردنية / عمان- الأردن

المستخلص
رغم أن اكثر من قرن من الزمن فصل بين ما ابتكره إبراهام مازلو من ترتيبات للحاجات و ما سبق به توماس كوك بطرحه للرحلة المرزومة كترتيبات مبتكرة للسفر ورغم أن أوجه عديدة للتشابه تظهر بينهما كرواد و بين ما قدماه من ابتكارات، تظهر في ذات الوقت العديد من الفروقات والاختلافات حيث كان الأخير عملي – واقعي بينما اتجه الأول نحو المفاهيم النظرية – الفكرية و في الأنموذج الذي طرحاه للتصدي للمشكلة و لمعالجتها آنيا (آنذاك) و لاحقا (مستقبليا) في الأزمان الاحقه.
لقد اتسمت الرحلة المرزومه بالثابتية النسبية و بالمقدرة على الاستمرارية لفترة تزيد على القرن و النصف وتميزت بقدرتها على أخذ ما طرأعلى السفر بشكله العام و السفر السياحي بشكل خاص من تغيرات بحيث انها مازالت يعتد بها و يعتمد عليها كأساس في مجال السفر المنظم منذ طرح النموذج بشكله الأولي و البسيط عام ١٨٤٦.
أما أنموذج تفاضلية الحاجات و رغم قصر عمره نسبيا حيث صدر كتاب مازلو عام ١٩٦٩ فقد تعرض لسيل مستمر من النقد والتعديل بل و حتى التغيير و تبين منذ وقت مبكر انه سيحتاج الى تطوير دائم ليواكب حاجات استجدت و أخرى لم تكن أصلاً موجوده اصبحت موجودة بل و شائعه.
فهل جاءت الفروقات بين النموذجين بسبب سعة الابتكار و الفعل الاستكشافي؟ أم هي في مدى عملاتية و مهنية الابتكار مقارنة بالمستوى النظري للريادة ؟. ام انها تكمن في التباين في التحسب مسبقاً لوقت الوصول الى التطبيق والقدره الذاتيه للنموذج على التعاطي مع التغييرات التي لابد ان يكون المبتكرين قد توقعاها أصلاً ؟
لوضع اجابات لهذه الأسئلة جاءت هذه الدراسة و كذلك لاستنباط حاجات انسانية جديدة نجدها ظرورية لتطوير نموذج مازلو بحيث يصبح اكثر فاعلية في استقصاء وفهم السلوك السياحي – الترويحي للإنسان بالذات و نؤشر كيف يمكن لنموذج كوك عن السفر المنظم في إشباع الحاجات التي ستظهر للعيان بتطور و تتابع أجزاء الدراسة.

الكلمات المفتاحية
الحاجات الانسانية، تفاضلية الحاجات الأنسانية، إبراهام مازلو، ترتيبات السفر، السفر المنظم، الرحلة المرزومة- الشاملة، توماس كوك، الريادة المهنية، الابتكارات النظرية.

A Comparison of Professional Pioneering as Exemplified by Thomas Cook`s Packaged Tour to the Theoretical Innovation of Abraham Maslow`s Hierarchy of Human Needs

Abstract

Despite the fact that more than 100 years had separated the time when Thomas Cook introduced the Packaged Tour (1846) and the time Abraham Maslow chose to present the Hierarchy of Human Needs (1960), they shared numerous similarities and at the same time differed vastly especially in respect to the nature of each proposed innovation and its ability to endure the impact of social, economic, cultural and temporal changes. The Packaged Tour as an organized form of travel was able to continue to be utilized – with some limited alterations and adjustments, whereas the Hierarchy of Human Needs almost lost its original unique allure and many attempts have been made to alter, modify and even disregard it.

Could these differences be attributed to the position of each innovative model on the practical- theoretical continuum? Or the innovative scale employed? Or maybe caused by both persons exploring the frontier of knowledge of their respective field or the practical extent of the travel model as compared to the theoretical dimensions of the needs model?

Any of these matters could count for the differences between the two innovations and this study was designed to investigate this and come up with explicit answers to these questions and propose new, contemporary human needs to improve the questioned accuracy of Maslow's model and also show how travel as provided by the Packaged Tour could fulfill and satisfy these new human needs and help individuals reach the highest of the five originally proposed needs.

Key Words:

Travel arrangement, Packaged Tour, Thomas Cook, Human Needs, Hierarchy of Human Needs and Abraham Maslow.

المقدمة

بقدر ما تتعرض منشآت اعمال الضيافة ذات التصنيف الواحد وضمن القطاع الواحد (فنادق خمسه نجوم في قطاع الايواء مثلا) الى المنافسة الشديدة من بعضها البعض للوصول الى والحصول على ذات الزبون، فإن صناعة الضيافة ككل تتعرض الى المنافسة الحادة من صناعات اخرى تتنافس على المال الفائض والقابل للأنفاق والوقت الحر الخالي من الالتزامات الاقتصادية والمتاحة لبعض الافراد في المجتمع لجعلهم ينفقون مالهم الفائض ووقتهم الحر في شراء منتجاتهم وليس منتجات صناعة الضيافة. و امام هذه المنافسة الشديدة كان لابد لصناعة الضيافة ككل وقطاعاتها الرئيسية والمنشآت المتخصصة ضمن كل قطاع وتلك المنشآت ذات الطبيعة الواحدة والتصنيف الواحد ان تنتج وتعرض منتجات (تركيبة سلعية – خدمية) قادره على اشباع حاجات والاستجابة لرغبات لدى افراد من المستهلكين المحتملين وضمن قدارتهم الشرائية وصولا لأعلى اشباع واحسن استجابة بحيث تجعلهم يميلون الى شراء منتجات صناعة الضيافة والانتفاع بها والافادة منها وعدم التوجه الى انفاق ما لديهم من مال ووقت فائضين لدى صناعات اخرى.

وفي هذا السعي كان لابد لهذه الصناعة من ان تحدد اولا الحاجات والرغبات لدى جمهور زبائنها المحتملين- بعد ان تكون قد عرفتهم مبدئيا- ثم ان تحدد المنتج /المنتجات المتاحة لديها والقادرة على انتاجها التي يمكن ان تشبع هذه الرغبات باقل تكلفه وباعلى اشباع وبدون ان يؤدي ذلك الى الإضرار بالبيئة الطبيعية .

ويبدو في هذا الصدد أن البعض من أوائل الرواد في هذه الصناعة (أجداد هذه الصناعة بحق) قد أشروا ومن منطلق التخمين والحدس - استنادا الى معطيات افرزتها المدينة الجديدة مع بدايات القرن التاسع عشر- هذه الرغبة وتلك الحاجه بكونها تتمثل في الغالب في الابتعاد ولو مؤقتا عن المدينة المعاصرة وسلبياتها ومساوءها وصولا للحصول على التغيير المؤقت في البيئة الحياتية من قبل بعض الافراد من تتيح لهم ظروفهم الاقتصادية - بشكل رئيسي- تحقيق هذه الرغبة وخاصه اولئك ممن لديهم فائض في المال والوقت بحيث يتاح لهم تحقيق هذه الرغبة، فطرق هؤلاء الرواد على هذا "الحديد الساخن" بان عرضوا منتجاً فريداً وجديداً (نسبيا) ومتميزاً وقادر على اشباع هذه الحاجه وتحقيق هذه الرغبة ..... الا وهو السفر.... وبالذات السفر المنظم .

الا ان لا السفر ولا التنقل وشد الرحال ظواهر مستجدة في حياة الانسان بل هي ممارسات قديمة بقدم الانسان ذاته وصاحبته ومازالت وسوف تستمر، فماذا اذا كانت طبيعة الأضافات الجديدة على تلك الممارسات التي تقدم بها (اجداد صناعة الضيافة أولئك) بحيث نطلق عليها تسمية ابتكار ونضفي عليهم صفة المبتكرون؟

ان الجديد في عمل هؤلاء هو ادخالهم لصنف جديد من ترتيبات السفر (تجاوز تلك التي كان المسافر يرتب فيها كل رحلته بنفسه) وقدموه له بشكل متدرج ومتتابع - سفر منظم ومتكامل وموحد يفي باحتياجات المسافر ويساعده على تحقيق جل رغباته و يشبع معظم حاجاته.

وكذلك هو الحال مع الحاجه التي شخصها هؤلاء الرواد الاوائل والتي وضعوا ابتكارهم لإشباعها، فهي الاخرى ليست بالظاهرة الجديدة ولاهي تشيع للمرة الاولى في حياة الافراد حيث ان الحاجه كظاهره نفسية فردية قديمة هي الاخرى بقدم الانسان وعلى هذا فمن ذا الذي سيقبل القول بأن هؤلاء الرواد قد شخصوا حاجه إنسانية جديدة يستجيب لها ابتكارهم الجديد ؟ هل لأنها ببساطة تمثل أضافة فكرية جديدة و ابتكار نظري حديث - اؤسس على مفاهيم و حقائق قديمة لكنه جديد بتعامله مع الحاجات الإنسانية من منطلق ابتكاري ابداعي وذلك بتشخيصها اولا وبوضح تراتبية محدده لتتابعها وصولا لفسح المجال امام الفرد للدخول في معترك اشباعها .

والسؤال الذي لابد من طرحه هنا هو كيف تطورت النظرة الى الحاجات الإنسانية بحيث وصلنا الى مرحلة الابتكار النظري (Theoretical Innovation) التي تقدم بها مازلو من خلال المراحل الخمسة لهذه الحاجات وكيف تطورت اساليب الاستجابة للبعض من هذه الحاجات بحيث وصلنا الى حالة الريادة المهنية والعملية (Professional Pioneering) فيما يقدم من منتجات لغرض إشباع هذه الحاجات و كما عرضها كوك في الرحلة المرزومة؟ ثم أن علينا أن نسأل كذلك هل هذان المسعان (تحديد الحاجات الانسانية والسبل المبتكرة لاشباعها) سارا على مسار واحد من التطور و التطوير و تمكنا من التفاعل و التواصل مع المستجدات الأجتماعية، الأقتصادية، الثقافية و الزمانية و التكيف معها و التأثر بها و التأثير فيها وصولا الى نهاية واحده متمثلة بالتشابه في الاستمرار و الديمومة والثابتية أم أن كل واحد منهما أخذ منحى مختلف و مسار مغاير بحيث أفترقى في النهايات التي وصلا أليها في أيامنها المعاصرة ؟ هل منهما من هو اقوى على التعامل المستمر والتكييف والمرونة بحيث تمكن من المواصلة والاستمرار في الاستجابة لتغيرات الزمان والمكان والانسان ام هما تمكنا من ذلك سوية كذلك ؟ أن أهمية البحث في وضع أجابات لهذه الأسئلة لا تتمثل في الكشف النظري- الأكاديمي فقط بل فيما ستنطوي عليه من فوائد عملية- تطبيقية في تطوير أي من الأنموذجين وجد بأنه قاصر عن المواصلة

[1] للوقوف على أنواع ترتيبات السفر و أصنافها و تطورها قديماً والى الوقت الحاضر أرجو الرجوع الى: الحوري، 2012 الإرشاد السياحي الطبعة الثانية، مؤسسة الوراق، عمان، الأردن

والأستمرارية و المرونة الموصلة للثابتية التي يسعى لها المبتكرون فيما يقترحوا من نماذج و مبتكرات و تطويرات. و هذا مانسعى اليه من خلال هذه الدراسة.

اولا :الحاجات الإنسانية - النفسية
(تطور النظرة لها ومحاولة ترتيبها وصولا الى تفاضليه مازلو للحاجات)

بشكل مختصر جدا فان الحاجه (Need) هي شيء ضروري للفرد - الكائن الحي لكي يعيش حياة صحيه وهي تتميز في كون ان النقص فيها والحرمان منها ممكن ان يؤدي الى نتائج سلبيه وصولا لنهاية حياة الفرد. والحاجات الإنسانية على مستوى الفرد ممكن ان تكون موضوعيه (Objective) وفيزيائية (Physical) وممكن ان تكون شخصيه - ذاتيه (Subjective) او نفسيه (Psychological). اما على المستوى المجتمعي فان الحاجات ممكن أن تكون موضوعة شائكة ومثيرة للجدل وينطوي فهمها على مدارك في علوم السياسة والاجتماع والفلسفة. ويتفق معظم علماء النفس على ان الحاجه شيء مطلوب و انها سمة نفسية تدفع و تثير الكائن الحي للعمل وصولا الى هدف وانها السبب للفعل وتعطي للسلوك غرضا وهدفا. و رغم الاعتقاد الشائع ومنه ما تعكسه كثير من الكتابات المختصة من ان ما تقدم به العالم النفسي - البشري مازلو Abraham H. Maslow, (1908-1970) هو جديد كليا وليس فقط في التراتبية التي طرحها للحاجات الإنسانية بل في تصديه لهذه الموضوعة الشائكة ، فان الحقائق التاريخية والوثائق العلمية لا تسند هكذا اعتقاد. وبدون الحاجه للعودة كثيرا الى الوراء فان اهتمام عالم النفس المرموق هنري ميوري Henry A. Murray, 1893-1988) بموضوع الحاجات الإنسانية بشكل خاص تجلى في كتابه (Explorations in Personality, 1938) كان قد سبق به مازالو بحوالي عشرين عاما ، حيث سعى لوضع تصنيف للحاجات بهدف وصف الشخصية، ومن اهم ما جاء به في هذا الصدد :

١- كل الافراد من البشر لديهم حاجات انسانيه لكن لكل فرد أولوياته الخاصة نحو هذه الحاجات أي ان حاجة معينه ممكن ان تكون اكثر أهميه عند البعض مقارنة بالآخرين
٢- هذه الحاجات مترابطة ببعض الطرق و الاوجه
٣- ان بعض الانماط السلوكية ممكن ان تعتني بأكثر من حاجة و أن تشبع اكثر من حاجة.

ثم يقسم موررري الحاجات الى خمسة نطاقات (Domains) واسعه و حقول رئيسيه تشكل مجاميع من الصفات الشخصية للفرد وكل نطاق يحتوي على حاجات معينه وكما يلي (بشكل مختصر) :

١- الطموح (Ambition) وهي الحاجه الفردية الاولى
٢- الممتلكات المادية (Materialism) معبراً عنها بالحصول على و الأحتفاظ بالأشياء
٣- القوه (Human Power)
٤- المحبة بين الناس (Affection Between People)
٥- تبادل المعلومات (Exchange of Information)

ويورد عبيدات في كتابه (سلوك المستهلك) وجهة نظر آخري للحاجات تركز على ثلاثة حاجات أساسيه هي (عبيدات، ٢٠٠٤) :

١. حاجة بعض الافراد للسيطرة على البيئة المحيطة بهم
٢. الحاجه الى الانتساب و الرغبة في تكوين الصداقات وللتقبل الاجتماعي و الانتماء
٣. الحاجه الى الانجاز

ويطرح باحثان آخران (العلاق و الطائي،٢٠٠٢) تصنيف آخر ينطوي على ثلاثة اصناف للحاجات :

١- حاجات يدركها الفرد ومستعد للبوح بها
٢- حاجات يدركها الفرد ولكن دون الاستعداد للإفصاح عنها
٣- حاجات لا يدرك وجودها عنده / لديه ولا يعي أنها تحتاج الى أشباع [٢]

و بالرجوع لما جادت به ذهنية مازلو من ابتكار فكري (Theoretical Innovation) المتمثل في التفاضلية التي اقترحها للحاجات الانسانية- النفسية (The Hierarchy of Human- Psychological Needs) والتي هي بالأساس من نتاج انجذابه الى فكرة و مفهوم تحقيق الذات (Self-Actualization) [٣] خلال وجوده في جامعة براندیز (Brandeis University) التي عمل فيها رئيس لقسم علم النفس خلا الفترة (١٩٥١-١٩٦٩) حيث بدأت حملته نحو علم نفس انساني Humanistic (Psychology) وكان في مقدمة افكاره بهذا الصدد ان الحاجات تؤخذ اولوية

[٢] هنا تكمن فرصة نادرة و دور كبير لمنتجي السفر في الترويج و على تشجيع الأفراد على استهلاك منتجاتهم باعتبارها تشبع حاجات موجودة لديهم لكن دون أدراكهم لها

[٣] التي كانت قد قدمت بالأصل من قبل كورت كولدشتاين (Kurt Goldstien) في عمله المشهور (The Organism , 1934)

(Priority) في اشباعها من خلال حقيقة ان بعض الحاجات تؤخذ أولوية على حاجات أخرى (تحتاج الهواء قبل الماء والماء قبل الطعام وهكذا...) والتي لاحظها في عمله مع القردة ومنها كوّن (Created) تفاضليته الشائعة /المشهورة عن الحاجات ذات المستويات الخمسة والتي سنوضحها أدناه بسرعة مع اشارة خاصة الى الرابعة والخامسة بخصوصية أكثر لربطها – فيما بعد - مع السفر كمنتج مشبع لكل منهما وبالذات الاخيرة :

١. الحاجات الفسيولوجية Physiological Needs

٢. حاجات الامن والسلامة Safety and Security Needs

٣. الحاجة الى الحب والتقارب /الانتماء Love and Belonging Needs

٤. التقدير والاحترام Esteem Needs (Self Eteem)

سواء من قبل الاخرين الذي يسميه مازلو بالمستوى الواطئ - سهل المنال- أو من قبل الذات البشرية وهي الاصعب والتي تنعكس في الثقة بالنفس والقدرة والكفاءة الذاتية والانجاز والحرية [٤]

٥. تحقيق الذات Self- Actualization

وهي الحاجة الاهم والابعد والاصعب تحقيقاً وهي كذلك من محفزات النمو (Growth Motivation) وتعني الحاجة لكون الانسان موجود. أن اهتمام و تعلق مازلو بهذا المفهوم (تحقيق الذات) هو اساس تكوُّن ونضوج اهتمامه بتفاضلية الحاجات الانسانية على اساس ان هذه الحاجة هي الاعلى والاصعب على الاشباع وليست متاحة الا لبعض الافراد و التي يعتبرها حاجة للبقاء (Being Need) بينما ما سبقتها من حاجات هي حاجات نقص (Deficit Needs)

لقد طرح مازلو هذه النظرية في علم النفس واقترحها اولا عام 1943 في بحثه (A Theory of Human Motivation) وطورها لاحقا لحين التعبير عنها

[٤] هذه كلها بالإمكان تحقيقها من خلال انجاز رحلة شاقة الى منطقة غريبة / صعبه / مجهولة بحيث تؤدي ليس فقط الى احترام الذات بل الى احترام الآخرين كذلك، والتي من الممكن أن نطلق عليها التسمية المعاصرة – سياحة المغامرة (Adventure Tourism)

بشكل كامل في كتابه (Motivation and Personality) عام 1954 وذلك من خلال دراسته للأصحاء والمشاهير [أولاءك الأفراد الذي أعتقد أنهم نجحوا في تحقيق ذاتهم أمثال أينشتاين و زوجات رؤساء سابقين وبالذات (Eleanor Roosevelt) زوجة الرئيس الأمريكي روزوفلت] عوضا عن المرضى عقلياً والاشخاص المصابين بالأمراض العصبية (Neurological Diseases) حيث قال " أن دراسة المعاقين والمنحرفين وغير الناضجين والنماذج غير السعيدة لا تنتج سوى علم نفس معاق هو الآخر و فلسفة معاقة " [٥] وبسبب من انشغاله وشغفه بمفهوم تحقيق الذات ولكي يثبت أن البشر يحاولون الوصول الى أشياء أكبر وليس فقط لإنجاز حالة محددة فقد اتجه لدراسة الاشخاص الأسوياء والصحيين نفسيا (Mentally Healthy Individuals) بدلا من أولاءك الذين يعانون من قضايا نفسية جبرية.[٦]

وكان من اهم ما توصل اليه مازلو في هذا الصدد هو ان هؤلاء الاصحاء يشعرون ويتحسسون نقاط من التجربة العالية - قمة التجربة "Peak Experience - والتي هي نقاط ومستويات عالية من التحسس والشعور وذلك حينما يكون الفرد في توافق مع ذاته ومحيطه، وان الافراد الذين نجحوا في تحقيق ذاتهم قادرون أكثر من غيرهم على هذه المشاعر والاحاسيس بل هم يصلوا الى اكثر من نقطة ذروة واحدة في تجاربهم اليومية بينما يتحقق هذا لدى غيرهم بتواتر أقل. ولكي يوضح هذه النظرية فقد كون مازلو مساعدة بصرية (Visual Aid) سماها تفاضلية الحاجة – هرم يعكس الحاجات الانسانية النفسية- الفيزيائية بحيث كلما يرتقي الفرد على درجات هذا الهرم كلما يكون اقرب الى تحقيق ذاته. فكل النظرية اذن هي موصّلات ومقرّبات ومداخل الى لب الموضوع ألا وهو مفهوم تحقيق الذات والذي كان قد شغله كثيرا وتعلق به واعتبره انجازا لما بعد نظرية فرويد (Beyond-Freud Theory) وأبعد من نظرية فرويد السلوكية (Freud Behaviorism) بحيث أطلق على دراسته تسمية القوة الثالثة (The Third Force) و تسمية النظرية الانسانية لتحقيق الذات (Humanistic Theory of Self- Actualization)

---

٥ "The study of crippled, slanted. Immature and unhealthy specimen can yield only crippled psychology and philosophy"

٦ وكتب مازلو في هذا الصدد

It is if Freud supplied us with the sick half psychology and we must fill it out " with the healthy one "

و أضاف

"There are two faces of human nature- the sick and the healthy- so there should be two faces of Psychology

لكن كيف يصل الفرد الى أن يحقق ذاته وينجح في الوصول الى هذا المستوى العالي والراقي؟

يجيب مازلو على أن الفرد يحقق ذاته ويصل الى هذا المستوى العالي بعد أن يتمكن من اشباع حاجاته الانسانية الأساسية – الفسيولوجكية (Basic-Physiological Needs) في اسفل الهرم وحاجات الامن والاستقرار(Security and Stability) التي تأتي بعدها وكلاهما مهمان للبقاء الفيزيائي - المادي للفرد ثم المستوى الثالث من الهرم والمتمثل في الحاجة للحب والارتباط (Love and Belonging) حيث يقول مازلو: "بعدما يعتني الفرد بنفسه ويهتم بها و بحاجاتها يتجه نحو مشاركة الاخرين بها". ثم لابد لهذا الفرد ان ينجح في تحقيق المستوى الرابع وذلك بان يكون على وفاق وارتياح مع ما انجز (The Esteem Level) بحيث يكون على اعلى مستوى من النجاح (Success) والموقع الاجتماعي (Social Status). أما الوصول الى قمة الهرم فيحدث حينما يصل الفرد الى حالة من الانسجام (Harmony) والتفهم (Understanding).

لكن هنا يجب أن يثار السؤال التالي: من هو هذا الفرد – الذي ممكن أن يصل الى قمة الهرم ؟ وما هي مواصفاته ؟

من دراسته للأفراد الأصحاء من المشاهير ومن غيرهم وخاصة الطلبة المتفوقون جدا [٧] توصل الى وضع ملامح شخصية خاصة بهم مثل : كونهم يركزون في اهتمامهم ، قادرون على التمييز ما بين ما هو أصيل عن المفبرك (غير الاصيل والاحتيالي) ، لديهم القدرة والاستعداد على مواجهة صعاب الحياة واعتبارها مشاكل تحتاج وقابلة للحل ، يشعرون بالراحة لوجودهم لوحدهم رغم تمتعهم بعلاقات شخصية صحيحة لكن محدودة ، متعتهم لا تتأتى من الممتلكات المادية ، يهتمون ويركزون على مشاكل خارج أنفسهم ، و أن لديهم احساس واضح لما هو صحيح وخاطئ ، و أنهم عفويون (Spontaneous) و مبدعون (Innovators) وغير ملتزمين بالمحددات الاجتماعية. أما بعد الوصول الى قمة الهرم فسيشعر هؤلاء (النخبة من الأفراد) بلحظات من الحب والتفهم و السعادة او النشوة أثناء وخلال تجربة القمة (The Peak Experience) حيث يتم اشباع قمة الحاجات وأعلاها واصعبها وحيث يشعر واحدهم بتوحده بحياته وبشبع شخصي لكن في ذات الوقت يشعر بانه جزء من العالم ويعلم بالحقيقة والعدالة والتناغم والاصلاح.

و يضع مازلو للأشخاص هؤلاء- الذين نجحوا في تحقيق ذاتهم- حاجات / صفات في تقدير الجمال والجمالية بشكلها العام (Beauty Appreciation) والحيوية

[٧] يقال انه درس بشكل معمق فقط ١٠٠ طالب جامعي متفوق ممن شكلوا ما نسبته ١% من مجموعهم في جامعة هارفرد انذاك.

(Aliveness) والتفرد (Uniqueness) وأنهم مكتفين ذاتيا (Self-Sufficient)ويهتمون بمغزى الحياة وبحياة ذات معنى (Life Meaningfulness) وهذه كلها علامات ومزايا للترف وممكن الاستجابة لها واشباعها من خلال الترويح والترحال والسفر ولذلك فقد جاء السفر وبخاصة السفر لغرض الترويح ضمن حاجات تحقيق الذات على اساس أن السفر بحد ذاته وليس بالضرورة كوسيلة لإشباع حاجة انسانية هو حاجة عالية جدا ومكلفة جدا وليست ضرورية أو اساسية للفرد (Non- Basic Need) حيث يستطيع الانسان أن يحيى بدونها لكن توفرها له سيغني حياته و يطورها. وهكذا فقد اضحى السفر وتحقيقه من صفات أولئك القادرين على تحقيق ذاتهم [٨] وفي هذا ما يجعل السفر إما حاجة أو مشبع لحاجة عالية المستوى وليس ميسوراً إلا للقلة القليلة من الافراد في اعلى قمة الهرم ممن حققوا ذاتهم أو في طريقهم لذلك والذين هم في غالب الحال من المقتدرين ماليا على أيام مازلو.كذلك فأن الصفات الديموغرافية التي وضعها مازلو لمن هو قادر على تحقيق ذاته كلها من مؤشرات الترف (Leisure) والدعة (Complacency) والرفاهية (Well-Being)، ولان السفر كان آنذاك مكلفاً ، ولأن السفر نشاط قادر على إشباع العديد من الحاجات لدى هؤلاء " النخبة " من محققي الذات فقد ربط هذا النشاط (السفر) وحصره بالعدد القليل المقتدر على دفع تكاليفه وخاصة المنظم منه (Organized Travel) وبالذات الرحلة الشاملة – المستقلة - الفردية والشخصية (The Independent – Inclusive Tour) وخاصة تلك الرحلة الشخصية بمرافق(Escorted-Personal Tour) التي كانت الشكل الشائع من السفر آنذاك للأثرياء والميسورين .

لكن هل هكذا مكانة للسفر هو المكانة (Positioning) الصحيحة والمنزلة المناسبة ؟

آنذاك - منتصف القرن العشرين حين وضع مازلو تفاضليته - ممكن ان تكون وممكن أنها كانت كذلك أي قبل ما يقارب السبعين عاماً من السنين المثقلة بالتغييرات والمحملة بالتطورات لكن ليس في يومنا هذا. انه من هذا المنطلق جاء تساؤلنا هل تمكن هذا الابتكار النظري من الاستجابة للمتغيرات والتطورات وتمكن من التعامل معها وأقتدر على تحقيق الديمومة (Permanency) والاستمرارية (Continuity) والثابتية /الأستقرارية (Stability) في الفعل و في الاعتماد ؟

[٨] او بعض من هم ما زالوا في المستوى الرابع والساعين لتحقيق الاحترام ولتعزيز الذات من خلال السفر

رغم أصالة تفكير مازلو فقد انتُقدت هذه التفاضلية [1] حيث وجد العديد من المفكرين بذات الموضوع ما يستوجب النقد فيما يتعلق بوجود دلالات على تصنيف الحاجات كما جاء بها او حتى مجرد وجود تفاضلية أكيدة وواضحة لهذه الحاجات (Wahba & Bridwell, 1978) و آخرون (Manfred Max-Need, 1987) يجادلون أن الحاجات الانسانية الاساسية ليست تفاضلية (Non-Hierarchal) بل هي تتجمع كونياً وغير متغايرة بطبيعتها أي انها جزء من شروط وجود الانسان. وينتقد (Geert Hofstde, 1984) تتابع الحاجات كما يرتبها مازلو و خاصة وضعه لتحقيق الذات في الاعلى على انها منحازة أثنيا (Ethnocentric) وعلى أن هذه التفاضلية فشلت في توضيح الفرق ما بين الحاجات الاجتماعية والفكرية التي يطرحها الأشخاص الذين نشأوا في مجتمعات تؤمن بالفردانية (التفرد الشخصي) وتحث عليها (Individualistic Societies) وأولئك من المجتمعات الجمعية (Collectivist Societies) وعلى ان البعض ممكن ان يحققوا ذاتهم بمستويات ادنى من هذا المستوى العالي. ووجد آخرون أن تتابع مراحل هذه التفاضلية ممكن أن تختلف عبر المجاميع العمرية و أن الحاجات ذات المستوى العالي كتقدير الذات وتحقيق الذات ليست كونية و لا جامعة وممكن أن تتغير عبر الأنماط الثقافية للأفراد وذلك بسبب الفروقات الفردية ومدى وفرة الموارد لهم (Goebel & Brown, 1981). ويؤخذ على هذه النظرية كذلك بأن فرضياتها عمومية و ان مستويات الحاجات الفسيولوجية لا يمكن التحكم بها عند الاشباع ولا يمكن قياسها بالتجربة لعدم وجود مقياس واقعي وان اولويات الحاجات والاشباع تعتمد على عوامل بيئية عديدة (عبيدات، ٢٠٠٤). وتحليل مؤمن بالفرداينة يا واحصائياً فان التفاضلية هذه لا يمكن ان تصبح عملياتية ولا يمكن ان تقاس ويتم التثبت و التحقق منها. وفي النهاية لهذه المراجعة النقدية المقتضبة فلابد من الإشارة الى أن بعض الأبحاث المتأخرة تبدو وكأنها تؤيد وجود حاجات إنسانية كونية إلا أنها مازالت تشكك بتفاضلية هذه الحاجات التي يقترحها مازلو (Tay & Diener, 2011) و (Villarica, 2011).

ان تقادم الزمن على نظرية تفاضلية الحاجات الانسانية لم ينضجها و لم يطورها لكي تواكب ما طرأ من تغيرات و تغييرات فيما أثر و يؤثر في تكوين الحاجات التي أنبرى مازلو للتعاطي معها من خلال ذات التفاضلية من عوامل و متغيرات أجتماعية، أقتصادية و ثقافية و كما تبين من المراجعة التي عرضناها أعلاه. لقد بقيت التفاضلية جامده و صناعية (Artificially) وكما عرضها مازلو في

[1] لقد كان فكره اصيل بشكل مدهش حين انشغل معظم من سبقه من علماء النفس بغير الطبيعي من البشر وبالمريض بينما سعى هو لمعرفة ما يكون الصحة النفسية الايجابية ودرس الأصحاء من البشر.

الأصل على الرغم من تغير العوامل الفاعلة مجتمعيا والمؤثرة فرديا في إيجاد وتحديد الحاجات وعلى الرغم من تطور الحاجات ذاتها وتغير وسائل أشباعها (Need Satisfiers) في ضوء تطور المجتمعات وبمدى ما متاح لها ولأفرادها من موارد وفرص بشكل عام، وبشكل خاص ما طرأ على السفر كظاهرة وكمنفذ و مشبع لحاجة الأفراد من سكان المدن المعاصرة للتغيير المؤقت في بيئة الأقامة الدائمية و التي سببتها معطيات المدينة المعاصرة في أفرادها بسبب انقطاعهم فيها عن الطبيعة وندرة تفاعلهم مع مواردها و لضعف ما متاح أمامهم من فرص للأستمتاع بجمال الطبيعية و لرتابة حياة المدينة و روتينيتها ومحدودية عوامل و مسببات التغيير في الحياة اليومية.

ثانياً: تطوّر ترتيبات السفر (كمُنتج)
(من السفر المرتب والمنفذ شخصياً الى السفر المنظم من قبل مُنتج السفر وصولا الى الرحلة المنظمة-المرزومة)

حينما نفذ توماس كوك (Thomas cook 1808-1892) أول رحلة متكاملة - مرزومه لجولة في اسكوتلندا لعدد ليس بالقليل من مواطني مدينته الانكليزية (Leicester) عام 1846 فانه لم يكن قد ابتكر السفر - فهذا قديم قدم الانسان - لكنه ابتكر السفر المنظم والمنتج من قبل مختص بشؤون السفر وكان حقاً رائداً لهذه المهنة - مهنة انتاج وبيع السفر المنظم. الا ان كوك لم يصل الى هذا فجأة بل كان قد بدأ منذ عام 1841 بتنظيم نزهات نهارية قصيرة لمواطني مدينته وبالذات ممن كانوا منخرطين في حملة مناهضة لتناول المشروبات الروحية، ثم نظم جولات بالقطار للمتعة والنزهة مقابل نسبة من ثمن التذكرة تستقطعه شركة القطار من ثمن التذكرة لصالح كوك فحقق منها الكثير من المردود المالي.[١٠]
وجرب كذلك ترتيب رحلة اطول من لسيستر الى ليفربول عام 1845 قبل ان ينخرط في تنظيم الرحلات السياحية المنظمة التي اشتملت على النقل و الاقامة والطعام والشراب والمُرافق- الدليل (الذي كان هو) وبذلك حقق ريادة مهنية وانتج منتجا جديد وفتح الباب أمام مهنة جديدة . إلا أن الطفرة المهنية تحققت حينما نقل آلاف من الزوار الانكليز الى معرض لندن الدولي (London's Great Exhibition of 1851) للفترة ١-١٥/٥/١٨٥١ ثم بعد خمسة سنوات (عام 1856) نفذ اول رحلة خارج بريطانيا حيث اخذ مجموعة من لسيستر الى

[١٠] مما حدى بإدارة السكك الحديد الاسكتلندي لسحب دعمها له و ألغاء الاتفاق المبرم معه لتنفيذ هذه الحلات منذ عام ١٨٤٤
وذلك عام ١٨٦٢-١٨٦٣ في محاولة لدخول اصل الرحلات الشاملة هم انفسهم (!!)

مدينة كاليه شمال فرنسا للتزامن مع معرض باريس الدولي المقام آنذاك. وفي 1857 بدأ رحلاته العظمى لاوروبا (The Grand Circular Tours of Europe) وخلال عقد الستينات من القرن التاسع عشر اخذ مجاميع الى سويسرا وايطاليا و مصر والولايات المتحدة. أما نجاحه الاكبر فكان في تنفيذه ما أسماه (Inclusive Independent Tours) او (The Personal Tours) حيث يذهب السائح لوحده - مستقلا - وتحملت وكاله كوك السفر بالقطار و الطعام و الشراب لفترة محددة والى اي مكان وعلى اي مسار يختاره السائح (Over any chosen route)

واستمر في تطوير ابتكاره وتعزيز اعماله الريادية - المهنية ومبادراته الواقعية - العملية والمؤدية بالأخير الى تحقيق الارباح بحيث ينطبق عليه جزئياً المعنى القاموسي لمصطلح رائد الأعمال (Entrepreneur) [11] فادخل عام 1866 الكوبونات الفندقية (Hotel Coupons) حيث يسمح لحامله من خلال بطاقة تنزع من دفتر تبيعه اياه وكالة Cook لتناول وجبة طعام او ليلة مبيت في فندق يكون ضمن قائمة فنادق الوكالة . ونفذ عام 1872 أول رحلة حول العالم بالباخرة الى الساحل الشرقي للولايات المتحدة ثم بالباص الى الساحل الغربي ثم بالباخرة الى اليابان ثم رحلة برية عبر الصين والهند وهكذا العودة الى بريطانيا. وفي عام 1874 أدخل للمرة الاولى الشكل الأول من صكوك المسافرين التي أسماها (Circular Notes) منتج جديد كلياً وأضافة حقيقية للسفر المنظم، أطلقت عليه مؤسسة (American Express) فيما بعد تسمية صكوك المسافرين (Travelers Cheques)

وكان كوك قبل هذه ببضعة سنين (منتصف عقد الستينات من القرن التاسع عشر) أنتقل الى لندن و شكل وكالة للسفر مع أبنه الوحيد و أسس بذلك شركة (Thomas Cook & Son) حيث توقف عن ما كان يمارسه بشكل رئيسي وهو تنظيم رحلات سفر شخصية - مستقلة وتحول الى وكيل للسفر المحلي والخارجي (Agent for Foreign & Domestic Travel) وبذلك ابتكر مهنة وكيل/ منتج/ بائع للسفر (Travel Agent) وجعلها على القاموس اللغوي المهني وصك استعمالها (Coined the Phrase) لأول مرة. وبسبب روحه الريادية فقد ألحق بالمكتب في لندن معرض ومتجر صغير لبيع مستلزمات السفر ومكملاته الضرورية وكان فوق الوكالة فندق بسيط - بدون خمور طبعاً. واخيرا و في عام

[11] في البداية كان مسعى Cook اجتماعي – ديني حيث انه نظر الى تجربته – مغامرته بداية على انها خدمة اجتماعية – دينية فقط ولأهداف اجتماعية و دينية هي الأخرى .... لكن يبدو أن المردود المالي – رغم تواضعه في البداية – كان عامل حاسم في الأنتقالة. وفيما وجد كوك نفسه في الخدمة الدينية – الاجتماعية فقد وفر ولده الخبرة المالية- التجارية

1879 تقاعد كوك الاب وعاد الى ليسستر لحين وفاته عام 1892 ليصبح الجد الكبير (The Great Grand Father) للسفر المنظم ..... بحق وحقيقة ... تاركاً بعده مشروع ريادي طالت وستطول فترة اعتماده و الاقتداء به لسنين عديدة قادمة تتجاوز ما مر على اعتماده لحد الآن – أكثر من قرن و نصف. واستمرت هذه المؤسسة الرائدة بأبتكاراتها (Thomas Cook & Son) في اغناء سوق انتاج وبيع السفر فكان أن أصدرت بوقت مبكر جداً (عام ١٩٢٠) أول الكراريس الإرشادية على شكل دليل سياحي مطبوع (A Tourist Guide Book) و أرفق مع البعض منها معاجم لغوية للعديد من دول العالم ومنها البلدان العربية و نظمت مع بداية القرن العشرين رحلات منظمة واجمالية وشاملة الى مصر ثم الاراضي المقدسة ومنها الى بلاد وادي الرافدين.

وعلى عكس نموذج مازلو النظري فان مشروع كوك العملي لم تبتعد عنه الانتقادات فقط بل أثنى عليه وأمتدح ليس شفاهيا وبالكلمات بل بالأعمال الفعلية من خلال الالتزام بكل تفاصيله ومكوناته لحد الوقت الحاضر حيث مازالت مكونات السفر المنظم كلياً والمنتج من قبل منتج سفر والمباع الى المسافر من قبل وكيل سفر مازالت كما كونها (وانتجها حقا وفعلا) كوك قبل مئة وستون عاماً حينما نفذ و لأول مرة رحلة اجمالية وشاملة ومرزومه كلياً لبريطانيين يزورون معرض باريس الدولي عام 1856 وأسست الشركات الكبرى المنتجة للسفر الكثير من ابتكاراتها وابداعاتها واضافاتها في السفر وللسفر على ما كان كوك قد أوجده، فطورت الكوبونات الفندقية لتشمل معظم احتياجات المسافر السائح ووسعت استعمالات صكوك المسافر لتضحى بطاقات ائتمان (Credit Cards) يحملها المسافر لذات الغرض و راجت صناعة انتاج وبيع مستلزمات السفر ومكملاته حيث شملت وسائل الأرشاد والدلالة والتوضيح السياحي واصبحت صناعة عالمية متخصصة. وما زالت الرحلة الشاملة الفردية المستقلة (Independent- Individual Inclusive Tour) من مزايا السفر المنظم لكن من أنماطه الأقل رواجاً والأكثر كلفة بعد ان شاع السفر الجماعي المنظم كلياً (Group Inclusive - Packaged Tour) القليل الكلفة والأسهل والأمتع واصبح يشكل (٨٥%) من مجموع السفر الجوي لغرض السياحة بحسب احصاءات منظمة السياحة العالمية لبداية الالفية الثالثة (الحوري،٢٠٠٠)

ثالثا: أنماط جديدة من الحاجات الأنسانية
(حاجات جديدة يستجيب لها ويشبعها نمط قديم- جديد و آخر جديد - مبتكر من ترتيبات السفر)

بقدر ما تعرّض أنموذج كوك (The Cook's Model) الى التطوير والاضافات والمكملات وسواء من قبل من ابتكره و استعمله بداية وعلى مدى يقارب النصف قرن او من قبل آخرين تعاملوا معه على مدى المئة عام التالية لتقديمه كنموذج للسفر يفي ويشبع حاجات محددة لدى أفراد محددين، فقد تعرض نموذج Maslow ومنذ وقت مبكر للنقد السلبي على انه جامد ولم يُطور لا من قبل من ابتكره ((توفي مازلو بعد عقدين ونصف تقريبا من نشره للمقالة الاولى عن التحفيز الانساني وعقد ونصف بعد نشره للصورة المطورة للحاجات الانسانية حيث صدرت النسخة الاخيرة من النموذج ضمن كتابه (Motivation and Personality) الذي صدر عام 1954)) ولا من قبل من انجذب اليه من علماء النفس وخاصة المهتمين بالحاجات الانسانية، فعلى الرغم من إندهاشهم به وإنجذابهم إليه فقد وصفه كثيرون منهم بانه نموذج اكاديمي (An Academic Model) قد يصلح وقد لا يصلح للوقوف على الحاجات التي يدعيها او على انها (الحاجات) فعلا متتابعة أصلا وفعلا.
وفي الوقت الذي أستقى كوك نموذجه وطوره استنادا الى الواقع الذي كان يعيشه في أواسط القرن التاسع عشر حيث تمخضت فكرة النزهة المنظمة (The Organized Excursion and Day Picnic) التي تعتمد القطار كواسطة نقل (والذي كانت ماكنته البخارية قد أخترعت للتو) حينما كان ينتظر القطارفي المحطات على طريق لندن ونفذها بعد أن مُدت السكة الحديدية الى حيث كان يسكن (مدينة لسيستر الإنكليزية) ، فقد طور مازلو نموذجه عن الحاجات الانسانية من دراسته اولا لحاجات القردة وكيفية تصرفها مع ما يقدم لها من مُشبعات ثم انتقل لدراسة البشر من خلال دراسة سلوك منة طالب جامعي متميز بواسطة استبانة اعدت لهذا الغرض ثم عندما وصل الى مرحلة تحقيق الذات فقد اختار هو من اعتقد انهم افراد حققوا ذاتهم لكي يدرس سماتهم ويضعها كمميزات لهكذا شخصية - شخصية الفرد الذي حقق ذاته (Self- Actualized Person) فاختار عشرة من المشاهير والعظماء حاصرا بذلك من حقق ذاته بكذا افراد ومن شابههم في المجتمع الغربي - الرأسمالي ومعبرا عن تحقيق الذات بالنجاح (Success) والسمعة والموقع الاجتماعي (Status) ورأسماً صورة لهم من خلال الصفات الشخصية المميزة

(Personal Distinctive Characteristics) التي وضعها لهم. ولأنه ربط النجاح (بالمعيار الشخصي) بقدرة الفرد على تحقيق ذاته ولأنه وضع لمن حقق ذاته بضعة علامات ومزايا والتي منها استمتاعهم بالجمال والحيوية وبروحية اللعب وبالاكتفاء الذاتي وهي كلها من علامات ومؤشرات الترف والثراء ، فقد وضع السفر، وخاصة السفر للترويح، ضمن سبل اشباع حاجة تحقيق الذات على اساس ان السفر أو السعي الى التغيير المؤقت لحياة الفرد هي حاجة عالية جداً وليست من ضرورات الفرد العادي. وكان للتكلفة العالية للسفر خلال النصف الأول من القرن العشرين مُغذي لهكذا تصور وداعما لجعله من الحاجات المختصة بالقادرين على تحقيق ذاتهم من خلال السفرممن درسهم من الافراد المميزين. و وضع مازلو عدد من الصفات الديموغرافية لمن هو قادر على تحقيق ذاته كلها كذلك من مؤشرات الترف والدعة والرفاهية. ولأن السفر كان مكلف جدا وقادر على أشباع بعض من الحاجات لدى هؤلاء القلة - النخبة من محققي الذات فقد ربط هذا النشاط - السفر- وحصره بالعدد القليل القادر على تحمل تكاليف السفر المنظم (Organized Travel) الذي كان قد أبتكر من قبل Cook وبالذات الرحلة الشاملة الفردية-المستقلة (The Independent-Individual-Inclusive Tour) التي كانت الشكل الوحيد من السفر الرائج بين النخب آنذاك وزاد عليها تكلفة حين أستحدثت الرحلة الشاملة بوجود المرافق (The Escorted-Independent-Inclusive Tour) التي جاءت إستجابة لرغبات الأكثر قدرة والأعلى رغبة بالتميز من الأثرياء الساعين لتحقيق الذات بشكل أكثر تميزا عن سواهم.[١٢]

لقد وضع مازلو حاجاته على شكل هرم قاعدته الواسعة تمثل الحاجات الاساسية ثم تضيق المساحة كلما ارتقينا سطح الهرم وصولا الى القمة العالية والضيقة التي تمثل حاجات تحقيق الذات و هنا نستطيع ان نتصور أنموذج كوك للسفر المنظم كلياً من قبل منتج سفر والمتمثل بالرحلات المرزومة - الشاملة وكانه يقع في قمة هرم مفترض لترتيبات السفر(An Hierarchy of Travel Arrangement) ذو قاعدة هي الأخرى واسعة وتمتد صعوداً لتغطي معظم مساحة الهرم تمثل السفر المرتب شخصيا (Personally Arranged Travel) والذي كان الشكل الاكثر شيوعا لعامة الأفراد آنذاك - يتبعه على قمة الهرم العالية و الضيقة جدا السفر المنظم كليا من قبل المختص بالسفر (Completely and Fully

[١٢] تظهر هذا المرونة المتناهية لتراتبية السفر المقترحة من قبلنا بحيث كان بالأمكان الأستجابة لرغبات جديدة ومستحدثة لدى البعض من الساعين للتحقق ذاتهم عن طريق السفر لكن بشكل يميز هم عن الآخرين الساعين لذات الهدف لكن بقدرات مالية أقل وذلك بحجز رحلة شخصية مرزومة وشاملة لكل الخدمات المكونة لهكذا رحلة – كما سنجد لاحقا - وبضمنها المرافق/ الدليل.

(Organized Travel) والذي أبتدعه كوك والذي كان في ايامه الأولى مكلفاً جداً وليس بمقدور إلا العدد القليل من الافراد على تحمل تكلفته. وهكذا و ما دام السفر المنظم في قمة هرم ترتيبات السفر وحاجة تحقيق الذات على قمة هرم الحاجات فالنتيجة هي أن السفر المنظم هو فقط للنخبة التي حققت ذاتها كلياً أو جزئياً من خلاله و محصور بها .... وكما يعكسه المخطط الأفتراضي أدناه.

هرمية Cook لترتيبات السفر **هرمية Maslow لترتيبات الحاجات**

شكل ١
مخطط إنطباعي لترتيبات السفر (من إعداد الباحث) ولترتيبات الحاجات (كما هي شائعة) وللعلاقة الممكنة بينهما

إلا أن العقود الاخيرة من القرن الماضي شهدت سلسلة من التطورات بدأت بدخول الطائرة للخدمة المدنية بعد الحرب العالمية الثانية والتي شكلت الثورة الأولى في ظاهرة السفر الحديث، ومن ثم استخدام المحرك النفاث على طائرات النقل المدني- الثورة الأولى في السفر السياحي، والتناقص المستمر في تكلفة النقل وما صاحبها من انخفاض في تكلفة الايواء والطعام والشراب في مناطق القصد السياحي العالمية بفعل عامل الطاقة الاستيعابية العالية (Over Capacity) لمنشآت صناعة الضيافة وما نجم عن هذا الاستيعاب المبالغ فيه من منافسة شديدة تمثلت غالباً في خفض الأسعار، مما أدى الى إنخفاض مستمر في تكلفة المنتج السياحي. وفي مقابل هذا شهدت هذه العقود كذلك تزايد وتصاعد فيما هو متاح للأفراد (بشكل عام وليس للنخبة من المقتدرين فقط الذين أتجهوا نحو تحقيق الذات) من مال فائض عن الحاجات الاساسية وقابل للأنفاق على غيرها (الاقل اساسية والتي منها السفر لغرض التغيير) وكذلك ما حصل عليه الافراد من عطل مدفوعة الاجر وفرت وقت خالي من الالتزامات الاقتصادية فتصاعدت عوامل الطلب والتي سمحت للأفراد الذين كانت قد تكونت لديهم الحاجة الى ترك المدينة المعاصرة التي كانت قد اوجدت هذه الحاجة الى التغيير في الأصل وما يتبعها من رغبة للتغير المؤقت لبيئة السكن الدائمي للفرد (The need to temporary change one's living environment- or the need for change) . ثم جاء الانفتاح الكبير لوجهات ومقاصد سياحية عديدة ومتنوعة ومنتشرة على سطح الكرة الارضية عموما تتنافس هي الأخرى على الحصة السوقية المتاحة وصولاً لكلف أقل للسفر.

كل هذه التطورات غيرت صورة السفر بشكله العام والسفر السياحي بشكل خاص حيث دخلنا عصر السياحة الجماهيرية (Mass Tourism) القليلة التكلفة و أضمحلت سياحة النخبة (Tourism of the Elite) الغالية والمكلفة والمحصورة بعدد محدد من الناس فتضاعفت اعداد السياح عالميا بحيث ستتجاوز المليار سائح للعام (٢٠١٥) وهبطت اسعار النقل الجوي وكلف الرحلات السياحية الجماعية المرزومة (Group Inclusive- Packaged Tour) التي شاع اعتمادها للسفر بشكل مدهش ومتصاعد وسريع بحيث تضع مؤشرات منظمة السياحة العالمية أن (٨٥%) من السفر السياحي الجوي يتم الان من خلال الرحلات السياحية المرزومة والاجمالية والشاملة - تلك التي أسس لها وبدقة وموضوعية توماس كوك قبل قرن ونصف - وبالتالي اصبح حال الهرمية الافتراضية التي وضعناها أعلاه لترتيبات السفر معكوسة بما تحتويه من ترتيبات وموقع كل صنف. ثم ظهر ترتيب آخر من السفر بمساحة اقل وموقع أعلى على سطح الهرم هو السفر شبه المنظم من قبل منتج / وكيل سفر(Semi-Partially

Organized Travel) والذي ظهر كشكل مختصر للسفر المنظم كلياً وكاملاً (Fully & Completely Organized Travel) من قبل منتج/ بائع - وكيل السفر حيث يساعد المختص بالسفر الشخص المسافر في أجزاء محددة من متطلبات وترتيبات السفر فيوفر له مكون النقل فقط مثلاً ويترك له الأختيار الشخصي لوسائل الأقامة والطعام والشراب والجولات والرحلات المحلية في منطقة القصد وبما يفضي الى حرية أكبر للسائح في منطقة القصد وخاصة لصنف المغامرين من السياح فيكسب السائح التكلفة المنخفظة للنقل ويحقق الرغبة في المغامرة والأستكشاف التي يهواها الشباب من السياح وبالذات طلبة الجامعات من المستكشفين (The Explorer) وصنف الهائمين/ الجوالين (The Drifter) من السياح (Cohen,1974) أو أولائك السياح ذوي القدرة المالية المحدودة ممن يرغبون بمساعدة محدوده من منظم السفر. بعده أستنبط الرواد الجدد (The New Pioneers) في صناعة السفر السياحي الرحلات الجوية غير المجدولة والطارئة (Unscheduled- Chartered Flights) عاكسين بذلك قدرة المشاريع الريادية - المهنية على التطور والتجدد من خلال الأهتمام بالحاجات الجديدة للأفراد وبابتكار الجديد من الترتيبات للأستجابة لهذه الحاجات وأشباعها. ويعكس المخطط ادناه الشكل الجديد لهرمية وتراتبية السفر والتي يؤشر كل جزء منها الحصة النسبية لكل صنف من الأصناف/ الترتيبات الثلاثة للسفر و كما أستقرت مع بداية الألفية الثالثة.

شكل ٢
مخطط أفتراضي من أبتكار الباحث لما آلت إليه ترتيبات السفر مع نهاية الألفية الثانية

فالسفر المنظم وبالذات الرحلة المرزومة الجماعية أصبح رخيصا جدا واعداد الافراد الذين يملكوا المال الفائض والوقت الحر والمستعدين لإنفاقها على الاستجابة للحاجة للتغيير من خلال السفر في تزايد مطرد وهكذا فقد اصبح السفر في متناول النسبة العالية من الافراد بحيث أضحى حوالي (١١%) من سكان العالم يسافرون ولو لمرة واحدة في العام الواحد بحيث ان عدد من سافر لغرض السياحة وبدون اعتبار لتكرارات هذا السفر كان بحدود (٧٥٠) مليون سائح / رحلة في عام (٢٠١٤ م) وهكذا شاع هذا النمط من السفر السياحي (السفر المنظم كليا من قبل منتج / بائع سفر) وبشكل أضحت معه العبارة التالية من المسلمات: أن من يقوم بتخطيط وترتيب وتنفيذ رحلته السياحية بنفسه هو كمن يشتري اجزاء سيارة ويقوم بتجميعها بنفسه - عمل اصعب واغلى ومحفوف بالمشاكل والاخفاقات والمخاطر - مما لو لجأ الى شراء سيارة من مصنع للسيارات وهكذا فالافضل للسائح اللجوء الى منتج / بائع سفر لشراء رحلة جاهزة كاملة منظمة شاملة أو جزء منها حيث ستكون ارخص ثمنا واكفأ تنفيذا ومردودا. وهكذا يستمر السفر المنظم كليا وبشكل كامل أو المنظم جزئيا أو شبه المنظم بالشيوع والأتساع عام بعد آخر.

إلا ان أشباع الحاجة للتغيير من خلال السفر (The Need for Change Through Travel) رغم اهميتها وخصوصيتها ودورها الفاعل في تحفيز السفر لغرض السياحة والتي اوجدتها المدينة المعاصرة كنتاج لازدحامها وتلوثها ورتابة الحياة فيها ومجمل الضغوط المختلفة والمتعددة المصادر الفاعلة على الافراد من ساكنيها لم تكن الحاجة الوحيدة التي لم يؤخذها مازلو بنظر الاعتبار حينما وضع أنموذجه - ولو أن بعض منتقديه ومريديه أخذوا بها لاحقا. فقد تبلورت حاجة اخرى من افرازات فرص التعلم الواسعة الانتشار عالميا وخاصة في الحضر ألا وهي الحاجة للمعرفة (The Need to Know) او حاجة المعرفة (Knowledge Need) أو الحاجة الذهنية - الفكرية (Intellectual Need) والتي يمكن ان يسبقها حاجة الفرد للتعلم (The Need to Learn) وليس افضل من السفر من وسيلة لاشباع الحاجة للتعلم والمعرفة بحيث سبقت المقولة العربية (سافر تتعلم و سافر وتعلم) و المثل الشعبي الامريكي (Travel broadens one`s knowledge) ولأن الحصول على المعرفة يؤدي الى الرغبة في زيادة الحصول عليها وكمثل كرة الثلج المتدحرجة على سفح جبل (A Rolling Snow Ball)، ولان المعرفة تدعو وتحفز وتشجع على المعرفة فقد تزايدت هذه الحاجة لدى جماهير واسعة ليست بالضرورة ممن حققوا ذاتهم ولا من المحظوظين بمال ووقت فائضين كبيرين بل عموم سكان المدينة المعاصرة التي وفرت لساكنيها فرص التعلم والأستزادة منه وصولا لحب المعرفة.

وبسبب الحب الفطري للبيئة الطبيعية والحاجة الغريزية لدى الأفراد للتعامل معها [١٣] ولتأمل جمالياتها والتواجد في احضان الطبيعة والتعايش مع مكوناتها وعناصرها ولو لفترات قصار وبسبب ما ادت اليه المدينة المعاصرة من حرمان (والحاجة هي شعور الفرد بالحرمان) الفرد عن التواصل المستمر مع الطبيعة وانقطاعه عن التفاعل معها وعدم توفر فرصة التأمل التي توفرها رحلات زيارة الارياف والبوادي والمناطق الطبيعية الموحشة فقد تطورت ونمت وظهرت للعيان حاجة انسانية جديدة ثالثة الا وهي الحاجة الى العودة الى الطبيعة و التفاعل مع عناصرها و و الأستمتاع بمكوناتها (Return to Nature) و ظهرت كذلك الحاجة للتعرض للجمال الساند في البيئة الطبيعية (The Need to be Exposed to Beauty) والتمتع بالجمال والتمعن به (Enjoyment and Appreciation of Beauty) وبالذات ذلك الجمال المرتبط بالطبيعة (Natural Beauty) ومناطق التفرد النوعي والطبيعي وذات السمات الطبيعية المميزة (Areas of Unique Natural Features) والتي هي احد الاركان الاساسية لنمو سياحة البيئة والموارد الطبيعية (Natural Resource- Environment Tourism) او سابقتها – الترويح في الفضاءات المفتوحة (Outdoor Recreation). و لمجموع جوانب هاتين الحاجتين ليس افضل من السفر مُنفذا ومُرضيا (Satisfier) ومُشبعا (Satiate) وبالذات السفر المنظم والمخطط له والمنفذ من قبل منتجوا و منظموا السفر ووكلاء السفر بسبب قلة كلفته و يسر الحصول عليه.

و نظراً لتزايد اهمية المادة في حياة سكان المدنية المعاصرة والشعوب التي ارتبط ازدهارها الاقتصادي بالتفسير المادي للنمو والتي تأثرت حضارتهم الجديدة بما عبر عنه عالم الاجتماع المعروف ماكس فيبر (Max Weber 1864-1920) حين كتب عن الترابط بين الاخلاقية البروتستانتية وروح الراسمالية وازدهارها معاً في كتابه المشهور (The Protestant Ethics And The Spirit Of Capitalism) - الذي يبدو ان مازلو كان واقعا تحت تاثيره فجاء نموذجه ماديا كلياً (Materialistic) في حيثياته وتوجهاته وتفسيراته - فقد ظهرت الحاجة البديلة لهذه المادية الا و هي الحاجة الروحية الحقة والخالصة (Pure Spiritual Need) و السعي لتجاوز الفيزيائيات – الماديات والسمو و الرقي (Transcendence) لما هو روحاني و تجاوز الحدود المادية، والتي كان وما زال السفر يوفر جوانب من اشباعها

[١٣] يستعمل مازلو التعبير (Instinctoit) ليميز حاجات معينة وكانها غرائز تورّثت في الفرد جينيا وصولا الى تسمية الحاجات – الغرائز (Instinct-like Needs) ويحترها من حاجات المحافظة على الصحة (غالبا النفسية مثلما هي حسدية)

وبالذات السفر الترويحي في مناطق الارياف والغابات والبراري والقفار وما يطلق عليه اليوم (Wilderness Tourism) و (Back-country Tourism) وما تحققه من توحد للفرد ومن وحدة وعزلة (Solitude) وبما يعزز الجانب الروحاني في شخصيته وكينونته واختلاء الفرد مع ذاته. لقد اغفل مازلو هذه الحاجة النفسية – الروحية لدى الافراد وخاصة اولاءك القاطنون في المدن الكبيرة والمنغمسين في اعمالهم اليومية الروتينية – المادية والذين يقضون معظم اوقاتهم في التعامل مع المادة وبعيدا عن الروح الا ما قد يتاح للبعض منهم من مرتادي دور العبادة من التناغم المؤقت جدا و القصير جدا والنادر جدا مع الروحانيات في حياتهم، وهو لا يذكرها الا في الحاجات الاربع الاولى من هرميته التي يطلق عليها تسمية حاجات نقص (Deficit Needs) ولا يتطرق لها حين الحديث عن حاجة تحقيق الذات التي يسميها حاجات وجود (Being Needs) والمحفزات للنمو (Growth Motivation) لدى الفرد المحقق لذاته، ولا يضعها ضمن مواصفات او الصفات الشخصية للقلة من الافراد من حققوا ذاتهم بحسب ما طرحه من نموذج.

وتستكمل هذه الحاجة الروحية حاجة أخرى روحية أخرى أكثر إلحاح وأهمية وهي بقدم الأنسانية لكن لم تكن متاحة ألا للنخبة ألا وهي الحاجة لزيارة المراقد والمواقع الدينية حيث يتم دمج التفرغ الروحي (Devotion) ببعض من السياحة الدينية (Religious Tourism). وهنا يبرز السفر مرة أخرى - بالتأكيد الشكل المرتب منه في يومنا هذا - كوسيلة كفوءة لتحقيق الاشباع الملح لهذه الحاجة والتي قد تتقدم على غيرها من الحاجات على هرم مازلو رغم كلفتها وقد تكون للكثرين من الأفراد منفذاً مميزاً لتحقيق الذات إضافة لتحقيق الانتماء والمحبة والاحترام من خلال السفر وكذلك وسيلة لائقة لأغناء الذات وتطويرها والتي ممكن أن تتداخل لتصبح حاجة واحدة – مشتركة، واحدة يستطيع الفرد من أشباعها من خلال السفر بيسر ومرونة وذلك حين تجتمع هذه الحاجه مع المحفزات المالية (المال الفائض) والزمانية (الوقت الحر الخالي من الالتزامات الأقتصادية) وصولاً لسفر مشبع للحاجة بشكل رخيص وفاعل.

رابعاً: حاجات جديدة يجب أن تنطوي عليها أية تفاضلية وأي نظام هرمي للحاجات
(ما يجب أن يكون عليه أي نظام لتصنيف للحاجات الانسانية حتى يتماشى مع مستجدات الألفية الثالثة)

أذن نحن أمام خمسة حاجات جديدة أفرزتها وسببتها المدينة المعاصرة ألا وهي ما أستنبطناه في أعلاه والمتمثلة في:

١. الحاجة للتغيير،
٢. الحاجة للمعرفة،
٣. الحاجة للتفاعل مع الطبيعة،
٤. الحاجة للاستمتاع بالجماليات الطبيعية
٥. الحاجة الروحية - الدينية

و التي أصبح أشباعها اكثر أهمية و ألحاحاً من حاجة تحقيق الذات بل هي يسبقها أو أن يكون تحقيق الذات ناتج عن أشباعها. أن الفرد حين يقوم بأشباع حاجته الى التغيير فأنه في حقيقة الأمر يفتح لنفسه نافذة على بيئة جديدة وذات معطيات مختلفة عما تعود عليه في حياته الأعتيادية ويجد أمامه أفق أوسع. كذلك فحين يقوم بأشباع حاجته للمعرفة فهو يبسط و يوسع أفق معرفته ويزيد مدى أطلاعه و أدراكه لما حوله. وحين يقوم المرء بأرضاء حاجته للتفاعل مع البيئة الطبيعية ولتذوق الجمال الطبيعي و الأستمتاع به فهو- مرة أخرى- يضيف الى ذاته مُتعٌ ولذات تغنيها وتبهجها. وأخيراً وحين يتصدى للحاجة الأخيرة- حاجته الروحية- فأنه بقدر ما يغذي الحاجة الروحية فهو ينعش مشاعره ويداعب عواطفه بأتجاه أن ينعش ذاته. أن في كل هذه الخطوات التي يتخذها الفرد ما يؤدي الى أغناء لذاته (Self- Enrichment) وتطوير وتعزيز لحياته الشخصية (Improving The Quality of One's Life) وبما يوصله الى أحترامه لذاته (Self Esteem) وتقديره لها شخصياً (Self-Appreciation)، وهذا أمر ليس من السهولة نيله وتحقيقه [١٤]. وبالوصول الى إحترامه هو لذاته يكون الفرد قد أقترب كثيراً من تحقيق ذاته- وقد يصبح تحقيق الذات أمراً مفروغ منه بعد أن يكون الفرد قد أغنى ذاته وطورها وغطى جزء مهم وكبير من حاجته للأحترام الشخصي والأعتزاز بالذات. أن تحقق أشباع الحاجة للتمتع بالطبيعة وما ممكن ان تنطوي عليه من مغامرة ومجازفة ممكن أن يؤدي الى الأعتزاز بالذات ومن

[١٤] يعتبر مازلو الأعتزاز الشخصي بالذات وتقدير الفرد لذاته وثقته بنفسه أصعب من نيل الفرد لأعتزاز وثقة وأحترام الآخرين بل هو يسبقه ويشكل الأساس الذي يبنى عليه الأحترام والأعتزاز الآتي والمكتسب من الخارج. لاحظ رجاءً أعلى الصفحة رقم ٧.

الممكن أن يؤدي تحقيق الحاجة الروحية الى تعزيز للانتماء والموقع الاجتماعي للفرد وفيهما معاً سبيل واضح و أكيد لتحقيق الذات.
و بالأضافة الى ما أستنبطناه أعلاه من حاجات انسانية جديدة و معاصرة فان الأدبيات ذات العلاقة تزخر بأشارات الى حاجات نفسيه - اساسيه لم نجد أشارات واضحة لها عند مازلو منها:

١. ما هو على شكل حاجات فيزيائيه تتمثل بالتفاعل الجسدي مع بيئه الفرد و الذي يؤدي الى التحفيز النظري في الاجواء المفتوحه (Outdoor Visual Stimulation)
٢. ومنها كذلك حاجات أجتماعيه على شكل تفاعلات تنتقل من الحميمة (Intimate and Close Relationships) الى الوحدانيه والانعزال (Solitude)
٣. وكذلك الحاجات الذهنيه (Intellectual Needs) التي تتغذى بتبادل المعلومات و القراءات المحفزه
٤. أضافة الى حاجات فرديه تحفيزيه- اساسيه عند كل فرد لكن تختلف من فرد لأخر من أهمها الامن والأمان (Safety and Security) والمغامره (Adventure) و الحريه (Freedom).

كل هذه الحاجات الجديدة التي استنبطناها من خلال الدراسة هذه أو تلك التي وردت أشارات لها في الأدبيات التي راجعناها لغرض الدراسة - وسواء كان مازلو قد ذكرها لكن ليس بذات المحتوى والمضون أو لم يذكرها ولم يتطرق لها، يبدو أن السفر وسيله مناسبة لإشباعها و لأنه في متناول العدد الأكبر من الافراد فيضحى السفر منفذ سهل لأغناء الذات وتحسين نوعية الحياة وذلك من خلال التغيير المؤقت في حياة الفرد، بحصوله على المعرفة، تمتعه بالتفاعل مع البيئة الطبيعية والأستمتاع بجماليتها والإفاء بالمتطلبات الروحية كحاجات انسانية جديدة و دون الانتظار لاشباع الحاجات السابقه لهذه المرحله في تفاضلية مازلو ولابد لهذه الحاجات أن تظهر على سفوح هرم مازلو وكما يعكسها الشكل الأنطباعي – الجديد و لما يجب أن تكون عليه الهرمية في العقد الثاني من الألفية الثالثة ولتتماشى مع المعطيات المعاصرة و خاصة ما يتعلق منها بالسفر كمشبع لهذه الحاجات.

الشكل ٣

تمثيل تخطيطي من أعداد الباحث لما يجب أن تكون عليه تفاضلية مازلو للحاجات و لما يجب أن يظهر على هرميته مع بداية الألفية الثالثة مع الأشارة الى أن المستطيل الكبير والمؤطر باللون الأحمر يمثل الأضافة المطلوبة لأبراز أهمية الحاجات الأنسانية الجديدة

الخاتمة

وفي خاتمة هذا البحث نستعرض ماتوصلنا أليه من نتائج في مناقشاتنا للحاجات الأنسانية و سبل أشباعها – و خاصة الحاجات الجديدة المستنبطة – و بالذات من خلال السفر، فنقول:

رغم أتقان مازلو للوسيلة التوضيحية التي أعتمدها لتقديم و عرض أنموذجه للحاجات الأنسانية فأن المحتوى الفعلي و الواقعي للأنموذج تعرض الى كثير من النقد والعديد من التحفظات و حظى بعدد من التحويرات و الأضافات لكي يستطيع أن يؤشر و أن يؤخذ بنظر الأعتبار حاجات أنسانية جديدة هي لست أقل

أهمية و أضعف تأكيدا على الأنسان المعاصر لغرض أشباعها مما كان قد أشر هو في الأصل من حاجات بل قد تكون أكثر ألحاحا و طلبا للأشباع في الوقت الراهن. و برغم تعدد هذه الحاجات المستجدة فقد نبهنا و أشرنا لخمس منها هي الأهم و الأدق في الحاجة و الألحاح للأستجابة و الأشباع على المدى القصير و تأثيرها في سلوك الأفراد من سكان المدن المعاصرة الكبيرة و العملاقة وهي الحاجة للتغيير، الحاجة للمعرفة، الحاجة لتجديد التفاعل مع البيئة الطبيعية، الحاجة الى التمتع بالجمال الطبيعي و الحاجة الروحية- الدينية.

إن انموذج كوك العملي – التطبيقي أستطاع أن يصمد على مدى فترة طويلة و أن يتكيّف مع و يؤخذ بنظر الاعتبار المستجدات من عوامل و متغيرات الطلب و الجديد من الحاجات الأنسانية فحافظ على الأصل – الرحلة المرزومة والشاملة الشخصية و بمرافق أم بدونه - و توسع الى الرحلة الجماعية المرزومة والشاملة و من ثم للرحلات شبه المنظمة فأضحى بذلك قادر على الأستجابة لأشتراطات الطلب الجديدة من خلال توفير عروض بمواصفات قادرة على الاشباع و الاستجابة و على تحقيق الرضا لدى الأفراد من طالبيها.

أن على الذين سيعتمدون أنموذج مازلو للحاجات الانسانية و الذين سيستندون الى هرميته/ تفاضليته لتحديد مسار و تتابع هذه الحاجات أن يؤخذوا بنظر الأعتبار بأن حاجات أنسانية جديدة تظهر الآن على "سفوح هذا الهرم" من الممكن أن تكون الأستجابة لها مقاربة لتحقيق الذات و هي في ذات الوقت أيسر تنفيذا و أسهل أشباعا سواء بالوقت أو المكان أو التكلفة لدى عدد كبير من الأفراد في المجتمعات المعاصرة.

المراجع

١. الحوري ، مثنى طه ٢٠٠٠
الرحلات السياحية الاجمالية المنظمة داخل العراق: المنتوج ، المنتج - البائع
منشور : مجلة كلية المأمون الجامعة ، السنة الاولى ، العدد (١) ، ص (١٩١ – ٢٠٦) ، نيسان ٢٠٠٠ م

٢. عبيدات ، محمد إبراهيم ٢٠٠٤
سلوك المستهلك – مدخل إستراتيجي دار وائل للنشر. عمان، الردن

٣. د. حميد الطائي، د. بشير العلاق (٢٠٠٠)
سلوكيات السائح والطلب السياحي، دار زهران. عمان، الأردن.

4. Henry A. Murray 1938
Murray, H. A. (1938). Explorations in Personality. New York: Oxford University Press

5. Maslow, Abraham 1954
Motivation and personality. New York, NY: Harper. p. 236.

6. Hofstede, G. (1984).
The cultural relativity of the quality of life concept
Academy of Management Review 9 (3): 389–398.

7. Wahba, M. A.; Bridwell, L. G. (1976).
Maslow reconsidered: A review of research on the need hierarchy theory Organizational Behavior and Human Performance 15 (2): 212–240

8. Max-Neef, Manfred 1987
Human- Scale Development: an Option for the Future
http://www.rainforestinfo.org.au/background/maxneef.htm

9. Goebel, B. L.; Brown, D. R. (1981).
Age differences in motivation related to Maslow's need hierarchy
Developmental Psychology 17: 809–815

10. Villarica, H. (2011, Aug 17).
Maslow: A new and improved recipe for happiness. *The Atlantic.*

11. Tay, L.; Diener, E. (2011).
Needs and subjective well-being around the world
Journal of Personality and Social Psychology 101 (2): 354–365.

12.Erik Cohen
Who Is A Tourist? : A Conceptual Clarification1
The Sociological Review, Volume 22, Issue 4, pages 527–555, November 1974

نحو منظور شامل لإدارة رأس المال البشري خيارات الاستراتيجية والعمليات والقياس

أ.د. زكريا مطلك الدوري
عميد كلية العلوم الادارية والمالية / جامعة الاسراء

د. يعرب عدنان السعيدي
كلية الادارة والاقتصاد / جامعة بغداد

المستخلص

الغرض: تهدف هذه الدراسة إلى تقديم إيضاحات عن طبيعة مفهوم رأس المال البشري ، باتجاه تعزيز وعي الادارة في كيفية التعامل معه واستثمارة والمحافظة عليه في اطار ممارسات استراتيجية تضمن للادارة تحقيق عوائد مجدية من هذا الاستثمار.

المنهجية: ركز الباحثان على استعراض عدد من البحوث التي تحاكي مضامين رأس المال البشري في محاولة لتقديم تصورات تسهم في خلق نهج اداري في التعامل مع هذا المكون المهم، والتي قام الباحثان من خلالها بتقديم نموذج نظري يمكن منظمات الاعمال من الاستثمار في هذا المجال.

ابرز النتائج: لايمكن لمنظمات الاعمال ان تحقق نجاح في استثمارها برأس المال البشري بدون وجود فلسفة وقناعات متجذرة في ثقافة المنظمة باهمية هذا المدخل في تحقيق النجاحات المستقبلية.

الاصالة والقيمة: تقديم أنموذج لخيارات رأس المال البشري متعدد المستويات يمكن الادارة من استيعاب الممارسات المختلفة لهذا المفهوم وفق رؤية شمولية.

الكلمات المفتاحية: رأس المال البشري، نظريات رأس المال البشري، عمليات رأس المال البشري، استراتيجيات رأس المال البشري، قياسات رأس المال البشري.

Towards a Comprehensive Perspective of Human Capital Management Options, Processes and Measurement Strategic

Abstract

Purpose: The purpose of this study is to provide clarification on the nature of the concept of human Capital, towards enhancing the awareness of the management in how to deal with it invest it and maintain it as part of a strategy to ensure the practices of the management to achieve meaningful returns from this investment.
Methodology: The researcher focused on the review of a number of research that discusses the implications of human capital in an attempt to provide perceptions that contribute to the creation of a management approach in dealing with this important component. Here the researcher provided a theoretical model of which business organizations can invest in this area. Highlights: Business organizations cannot achieve success in investing in human capital without a philosophy and convictions rooted in the culture of the organization of the importance of this approach in achieving future successes-
Originality and Value: Providing a model for human capital options multilevel management that can accommodate different practices of this concept according to a comprehensive vision

Keywords: human Capital, theories of human capital, human capital, Operations human capital strategies· measurements of human capital.

المقدمة:

تسعى منظمات الاعمال على اختلاف انواعها إلى تحقيق التميز في الاسواق التي تقوم بخدمتها عبر استراتيجيتها الموجه نحو خلق ميزة تنافسية مستدامة. وفي اقتصاد المعرفة يعد العنصر البشري المكون الاثمن ضمن المنظمة، اذ يوجد مديرون لايقبلون بوزنهم ذهبا، وموظفون ينظر إليهم على انهم عمال معرفة والذين يحققون ثروة وهم في سن العشرينيات. وبكل تأكيد تتحدد واجباتهم الاساسية في تقديم الافكار الجديدة وتحويلها إلى ممارسات في ارض الواقع ومنتجات في

عالم الاعمال. لذلك فان هذه الفئة هي الاساس في استمرار المنظمة ونموها وتطورها ومواكبتها للبيئة التي تتصف بالتعقيد وسرعة التغير.

لذلك يؤكد المنظرين في مجال الفكر الاداري، وعلى رأسهم بيتر دركر على ضرورة تكيف منظمات الاعمال إلى هذه التحديات، لذلك فان الاستجابة لن تتحقق إلا بوجود فلسفة عمل متكاملة تتبناها منظمات الاعمال من اجل تكوين ادارة تعي حجم هذه التحديات، وتسعى إلى وضع ممارسات اعمال جديدة تنسجم مع هذه التحديات.

وفي هذا الاطار، فان جوهر الفلسفة التي ينبغي ان تتبناها منظمات الاعمال يتركز في كيفية النظر إلى الموارد البشرية التي تمتلكها المنظمة، وان تكون واعية بفكرة رأس المال البشري، وان تحدد المجالات الاساسية التي يمكن ان تتحرك بها ضمن هذا الاطار. وعند هذه النقطة سيظهر امام منظمات الاعمال مجموعة من التساؤلات، وهي من هم رأس المال البشري، وهل كل موارد المنظمة هي رأس مال بشرية،وما هي الاستراتيجيات التي يمكن ان تتبعها المنظمة، وهل يمكن ان نقدم نموذج يجري من خلاله توحيد وجهات النظر المختلفة.

لذلك فالفكرة الاساسية لهذا البحث ستتحدد بالقيام بإيضاحات حول هذه المفاهيم، ومن ثم القيام بالمحاولة للربط فيما بينها، وصولاً إلى تقديم تصور اجمالي يوضح لمتخذ القرار كيفية الترابط بين هذه الخيارات في اطار ادارة رأس المال البشري.

المبحث الاول : منهجية البحث

أولا: المشكلة

يعد حقل راس المال البشري من الحقول المعرفية التي حصلت على اهتمام وتركيز متزايد ضمن ادبيات الادارة المعاصرة. والسبب في ذلك يرجع إلى الدور المتزايد الذي يمكن ان تقوم به الموارد البشرية في الاقتصاد الجديد.

ففي عصر الفوضى والمنافسة الشديدة بين منظمات الاعمال، تسعى كل منظمة إلى جعل عملية المنافسة غير ممكنة مع المنظمات التي تعمل معها من خلال تطوير حزمة من الخصائص الفريدة التي تتميز بها عن المنافسين.

وبناءً على ماتقدم ومن اجل تمكين منظمات الاعمال من الاستثمار في مواردها البشرية وتطوير قدراتها ومعرفتها ومهارتها، باتجاه تكوين راس مال بشري يسهم في خلق ميزة تنافسية مستدامة، فان هذا التوجه ينبغي ان يكون مترابط مع التوجهات الاستراتيجية الاساسية ضمن المنظمة، ويتم وفق فلسفة عمل واضحة. لذلك فان المشكلة الاساسية للبحث تتجسد بالقيام بمحاولة لتوضيح الكيفية

التي يمكن من خلالها لمنظمات الاعمال ان تقوم بادارة كل رأس المال البشرية وكيفية تنميتها في اطار توجه استراتيجي متكامل.

ثانيا: اهمية البحث

يكتسب البحث اهمية في خلال توضيح المجالات الاساسية التي يمكن لمنظمات الاعمال ان تعتمدها في مجال تطوير ممارستها باتجاه ادارة راس المال البشرية ، اذ ينبغي على منظمات الاعمال ان تكون واعية في كيفية التعامل مع كل رأس المال البشرية والممارسات والعمليات التي تقوم بها المنظمة في هذا الاطار.لذلك عن طريق التكامل بين هذين الاتجاهين، في اطار ممارسات الادارة الاستراتيجية يمكن لمنظمات الاعمال ان تحقق فرص اكبر للنجاح في عالم الاعمال المتغير.

ثالثا: أهداف البحث

يهدف البحث إلى اثارة اهتمام ووعي مديري منظمات الاعمال بالتوجهات الادارة المعاصر في مجال ادارة رأس المال البشرية ، وتقديم الافتراضات الاساسية التي ينبغي ان تكون ضمن فلسفة عملهم، وتكون الاساس في تكوين ممارسات فاعلة ويعول عليها في هذا المجال.

المبحث الثاني: الاطار النظري للبحث

أولا: مفهوم رأس المال البشري The Concept of Human Capital

المعرفة اليوم هي التي تولد الثروة، وتسهم عقول الافرد في تكوين القيمة المضافة للمنتجات (Chen & Lin,2004:116). واشار Graham Ward رئيس مجلس المحاسبين في انكلترة وويلز Institute of Chartered Accountants for England and Wales (ICAEW) في عام ٢٠٠٠، بان المنظمات التي تتجاهل رأس المال البشري ستتقرض مثل الديناصورات، فمن المهم ان ندرك بان رأس المال البشري سيصبح ميزة تنافسية في اقتصاد المعرفة المعاصر ،لذلك فان قياس وتقديم التقرير عن راس المال البشرية هو الاساس في بناء النجاح الاقتصادي المستدام (Beattie & Smith,2010: 263). لذلك يوجد اهتمام متزايد للنظر إلى راس المال البشري كمصدر محتمل للميزة التنافسية المستدامة من قبل اغلب ادبيات الاكاديمية المعروفة. والتي يجري الاشارة إليها باستخدام عبارة مثل راس المال البشري، عمال المعرفة و انظمة الاداء العالي high-performance work systems (HPWS) ، اذ تشير كل هذه

المصطلحات إلى اهتمام جديد بالافراد، من خلال النظر إليها كمصدر للميزة التنافسية بدلاً من كونهم كلف ينبغي ان يتم تخفيضها (Becker & Huselid, 1998:54). ويعكس التركيز على راس المال البشري في المنظمة وجهة نظر القيمة السوقية التي تعتمد بشكل اقل على الموارد الملموسة وبدلاً منها تركز على الموارد غير الملموسة، وبشكل خاص الموارد البشرية(Stiles & Kulvisaechana,2007:2).

تؤكد ادبيات الادارة، وبشكل خاص الاستراتيجية على اساس الموارد الدور الجوهري لراس المال غير الملموس أو لرأس المال البشري في تكوين القيمة. ويوظر رأس المال البشري كل كفايات ومعارف قوى العمل الموجودة في المنظمة. وبهيكلة وادارة ومشاركة هذه المعرفة يمكن ان يجري تطوير كفايات يصعب تقليديها، وبذلك يمكن المحافظةعلى الميزة التنافسية المستدامة. لذلك يمكن ان تعد القدرة على ادارة رأس المال البشري احد عناصر النجاح الاساسية(Gates & Langevin,2008:112).

ويعد حقل الموارد البشرية الحقل المعرفي المتخصص في تناول هذا الموضوع وتطويره، اذ قدم الادلة على قيمة رأس المال البشرية ودورة في تكوين موارد بشرية خبيرة، اذ يمكن ان تقوم بدور كبير في صياغة الاستراتيجية وذلك في ادارة رأس المال البشري. ولسنوات عديدة جرى التركيز على تطوير عمليات الصفقات الادارية إلى شركات اعمال استراتيجية (Gates & Langevin,2008:112).

ادارة رأس المال البشري

يضم رأس المال الفكري (IC) Intellectual capital كل مكونات المعرفة على اساس الموجودات غير الملموسة التي تستخدمها المنظمة للحصول على الميزة التنافسية وتكوين القيمة. وعلى الرغم من تعدد مفاهيم راس المال الفكري، فتوجد ثلاثة مكونات تظهر بثبات: وهي رأس المال الهيكلي، العلاقات، ورأس المال البشري. ويشير راس المال البشري إلى المعرفة knowledge، الكفايات competencies، الخبرات experience، و الابدع لقوى العمل مضافاً إلى ذلك الاتجاهات attitudes و الدافعية motivation (Gates & Langevin,2008:113).

ويتفق كل من Schultz, (1959); Becker, (1964); Mincer, (1974) بان نظرية راس المال البشري تحافظ على تقديم المعرفة للافراد التي تمكنهم من زيادة الادراك والقدرات وتؤدي إلى ان تكون انشطتهم المحتملة اكثر انتاجية وكفاءة (Davidsson & et al,2003:7).

وينظر Blaug(1970) إلى راس المال البشري على انه القيمة الحالية للاستثمارات السابقة في مهارات الافراد.

ويرى كل من Hornbeck & Salamon(1991) بان راس المال البشري يشير إلى المعرفة والاتجاهات والمهارات التي تطور وتكون قيمة بشكل اولي للانتاجية

الاقتصادية economically productive. وتشير إلى الطاقة الانتاجية للبشر كالدخل والمنتجات التي تتحقق في الاقتصاد (Baptiste,2001:185).

ويرى (Tracey, 1991) ان مفهوم رأس المال البشري يغطي كل المبادرات التي ترتبط برأس المال البشري من استقطاب وتطوير والاحتفاظ بالموارد البشرية(Gates & Langevin,2008:113).

ويعرف Becker (1993) راس المال البشرية على انه استثمار تقوم به المنظمات في التعليم والتدريب لزيادة معرفة وخبرة ومهارات العاملين والذي سيسهم في النهاية في تعظيم مخرجات وانتاجية المنظمة (Khasawneh,2010:535).

بينما يركز Stewart (1997) على الغرض الاساسي للموارد البشرية وهو ابتكار سلع وخدمات وعمليات واعمال جديدة.

ويرى كل من Edvinsson and Malone (1997) بان راس المال البشرية عبارة عن مزيج من المعرفة والمهارات الابتكارية وقدرات افراد المنظمة(Gates & Langevin,2008:113).

ثانيا: التطور التأريخي لرأس المال البشري The Historical development of Human Capital

ان رأس المال البشري ليس مفهوم جديد في الاقتصاد أو في تقييم اداء المنظمة، وترجع جذوره إلى Adam Smith للقرن الثامن عشر واقتصادين اخرون، الذي ركز على الاسهامات البشرية في المنظمة اكثر من تركيزة على السلع المادية التي تستخدم ولا يبقى لها قيمة(White, 2007:109-110). حيث قدم Smith في القرن الثامن عشر الطبيعة البشرية كراس مال في كتابة ثورة الامم (١٧٧٦) (Baptiste,2001:185). وناقش ضمن هذا الكتاب الاختلافات في طرق عمل الافراد مع مستويات مختلفة من التعليم والتدريب التي تعكس اختلافات بالعوائد التي تكون ضرورية لتغطية كلف الحصول على هذه المهارات.(Baron& Armstrong,2007:8). وكذلك اسهم علماء الاقتصاد الاخرون امثال Alfred Marshall و Irvin Fisher (1906) واسهم Walsh, (1935) في المحافظة على هذه الفكرة (Baptiste,2001:185).

اذ ولمعظم السنوات المنتان بعد نشر كتاب ثورة الامم، اهمل الاقتصادين بصائر Smith's بشكل كبير وركزوا بدلاً من ذلك على دور الارض واسهام راس المال وساعات العمل كمكون حاسم للنمو الاقتصادي.

ولاحظ Walsh (1935) ذلك قبل منتصف ١٩٠٠، اذ قدم نقاش بشأن الافراد كراس مال، اذ اوضح ذلك وبشكل اساسي وبعبارات عامة، اشار إلى جعل كل الافراد كرأس مال، وكل انواع النفقات في مجال التطوير والتدريب كاستثمار (Baptiste,2001:185).

وصرحت وبشكل مبكر في عام ١٩٤٧ مجلة التدريب الصناعي إلى ان المنظمات تفتقر إلى إدراك المزايا التنافسية لتطوير وتقييم موجوداتها البشرية. والتوجه الاكثر حداثة لرأس المال البشرية في عام ١٩٦٠، هو اثبات بان رأس المال البشري هو ليس التعامل مع الثروة البشرية human worth، ولكن نجاح البشر في زيادة المعرفة وقيمة الكفايات إلى الاقتصاد الذي يعملون فيه. ومركز الابداع والابحاث التربوية Centre for Educational Research and Innovation يصف رأس المال البشري كمعرفة، مهارات، كفايات، وخواص اخرى كامنة في الافراد التي تكون ملائمة للنشاط الاقتصادي الذي يجسد وجهة نظر راس المال البشري ليكون مصدر للاستثمار والانتاج اكثر من كونه مصدر الاستخدام (White, 2007:109-110).

ولقد اسهم علماء الاقتصاد من مدرسة شيكاغو في موضوع رأس المال البشري في الستينيات من القرن العشرين، ولقد تركز انتباههم على بناء نظرية رأس المال البشري، والتي كانت مساهمات رئيسية في البحوث النظرية في مجال التعليم، والتي اصبحت ميزة لمدرسة شيكاغو(KUCHARÈÍKOVÁ,2011:60-61). والتاكيد الاولي توجه نحو الاستثمار العام في رأس المال البشري وسيطر عليه المناخ الطموح بشأن العلاقة بين التعليم والنمو الاقتصادي الذي تناوله Denison,(1962); Schultz, (1959, 1960, 1961) في البلدان الاكثر تطوراً (Baptiste,2011:187).

وان قائد هذه المدرسة هو Schultz الذي كتب في عام ١٩٨١: اذا اخذنا في نظر الاعتبار المهارات الفطرية والمكتسبة، التي تكون مهمة ويستثمر بها من اجل التوسع، فانها ستشكل راس المال البشري. وكما يعد G. Becker المؤلف الاكثر اهمية والذي روج لمفهوم راس المال البشري. في كاتبة راس المال البشرية الذي قدمة في عام ١٩٦٤، الذي قدمه من خلاله اساس نظري لكيفية الاستثمار في رأس المال البشري (KUCHARÈÍKOVÁ,2011:60-61).

وفي منتصف الثمانينيات بدأ علماء راس المال البشرية باستعارض افكارهم من جديد ولكن هذه المرة من اجل مواكبة موجة سياسات تعديل الهيكلة. لذلك، فان فترة الثمانينيات كانت مختلفة عن فترة الستينيات في عدد مجالات، اهمها، توسط التكنولوجيا وتوقع هذا التأثير Schultz (1975) (Baptiste,2011:188).

ثالثا: نظريات رأس المال البشرية The Theory of Human Capital

وتوجد العديد من الدراسات التي بحثت في تأثير كل من رأس المال البشري و ممارسات الموارد البشرية على الاداء (Gates & Langevin,2008:113).
يمكن ان نصنف الادبيات الحالية التي تتناول مفهوم راس المال البشري إلى ثلاثة مداخل

١. نظرية كلفة الصفقة الاقتصادية transaction cost economy theory.
٢. نظرية رأس المال البشري human capital theory.
٣. نظرية المنظمة على اساس الموارد resource-based view of the firm theory.

تفترض نظرية الكلفة الصفقة الاقتصادية بان المنظمة تختار الطريقة الاكثر كفاءة في استخدام الافراد. وعندما تستخدم الافراد، فالمنظمة أما ان تقوم بالحصول على الافراد من خارج المنظمة، او تقوم بتدريب او ترقية الافراد الموجودين، وان هذين المدخلين للاستخدام يمكن ان تختلف في الكلفة. وبالمقارنة بين هذين المدخلين تختار المنظمات المدخل الاكثر كفاءة على الاساس الكلف ذات العلاقة. ورأس المال البشري ضمن سياق هذه النظرية يجب ان يتعامل مع نوعين من الخواص هي موجودات محددة وموجودات غير مؤكدة(Chen & Lin,2004:118) (Yaping & Jingfang, 2007: 30).

تركز نظرية رأس المال البشرية على حقيقة قرارات المنظمة بشان كمية الاستثمار في رأس المال البشري الذي سيعتمد على المنافعة المستقبلية المحتملة. فرأس المال البشري ضمن هذا السياق يشير إلى التدريب التقني وتعزيز معرفة الافراد. ويقترح Flamholtz (1972a, b) بأن هذه الاستثمارات هي تركيز خاص لتدريب الافراد على مهارات خاصة وتجنب ان تكون مثل هذه المهارات مستخدمة في منظمات اخرى. فرأس المال البشرية ضمن هذه النظرية يشير إلى نوعين من خواص الموجودات هي مهارات خاصة وغير قابلة للنقل أو التحويل (Yaping & Jingfang, 2007: 30) (Chen & Lin,2004:119).

وتدعو نظرية المنظمة المعتمدة على الموارد إلى المهارات الجوهرية للميزة التنافسية الخاصة بالمنظمة، التي تكتسب من التطورات الداخلية ضمن المنظمة نفسها أو التكنولوجيا العامة التي يتم الحصول عليها من خارج المنظمة. وخصائص المهارات الجوهري هي: القيمة، الندرة، غير ملموسة وغير قابلة للتقليد. ويمتلك الموهوب مهارات جوهرية تستحق اهتمام واستثمار المنظمة. فالافراد مع المهارات الجوهري هم مصدر اساسي لزيادة كفايات

وارباح المنظمة. لذلك ينبغي ان تستثمر المنظمات في مثل هذا النوع من الافراد (Yaping & Jingfang, 2007: 30) (Chen & Lin,2004:119).

الكلف الاولية للاستثمار في راس المال البشري تتضمن (اجور الدورات التدريبية والتعليم، التخلي عن الارباح عندما يكونون في الدراسة أو انخفاض الانتاجية والاجور خلال فترات التدريب) حيث يأمل الافراد والمنظمة في الحصول على عائد في المستقبل. وبعبارة اخرى ، ان الافراد الذين يتملكون القيمة والتفرد فقط سيكونون مؤهلين كرأس مال بشري. فجودة الافراد مع المهارات الجوهرية ستكون مصدر مستمر لدعم المنظمة باتجاه زيادة قدراتها وارباحها (Yaping & Jingfang, 2007: 30).

رابعاً: هيكل رأس المال البشري framework of Human Capital

قدمت منظمة البرامج العالمية SAP في امريكا الشمالية في عام ٢٠٠٥، أطار لراس المال البشري يتكون من اربعة مستويات، وجرى اخذ رأي قادة الاعمال والموارد البشرية بهذا الاطار، وكما تم القيام باستطلاع للرأي عبر شبكة الانترنيت، للتعرف على رأي مدراء الموارد البشرية والعاملين عبر قطاعات مختلفة، على مستوى المنظمة وصناعتها. ولقد اظهرت البيانات التي جرى جمعها بان النظام لايعمل فقط عل مستوى عمليات رأس المال الاستراتيجي ولكنة يعمل ايضاً على مستوى المجالات الحرجة للاعمال. (Cantrell & et al, 2006:45).

ويبدأ الاطار مع عمليات رأس المال البشري مثل التعلم والتطوير المهني المستوى الرابع. بينما المستوى الثالث عبارة عن انشطة يمكن ان يستخدمها المدير من اجل تحسين اداء قدرات رأس المال البشري مثل احتواء العاملين أو اداء قوى العمل. والمستوى الثاني الذي يشير إلى ان عملية تحسين قدرات راس المال البشري يمكن ان تسهم في تحسين مجالات الاداء الاساسية مثل الابتكار، رضا الزبون والجودة. واخيراً فان مؤشرات الاداء الاساسية التي يستهدفها المدراء ستسهم في تحسين نتائج الاعمال مثل اجمالي العائد لحملة الاسهم أو نمو الايرادات (Cantrell & et al, 2006:45). والشكل الاتي يوضح ذلك

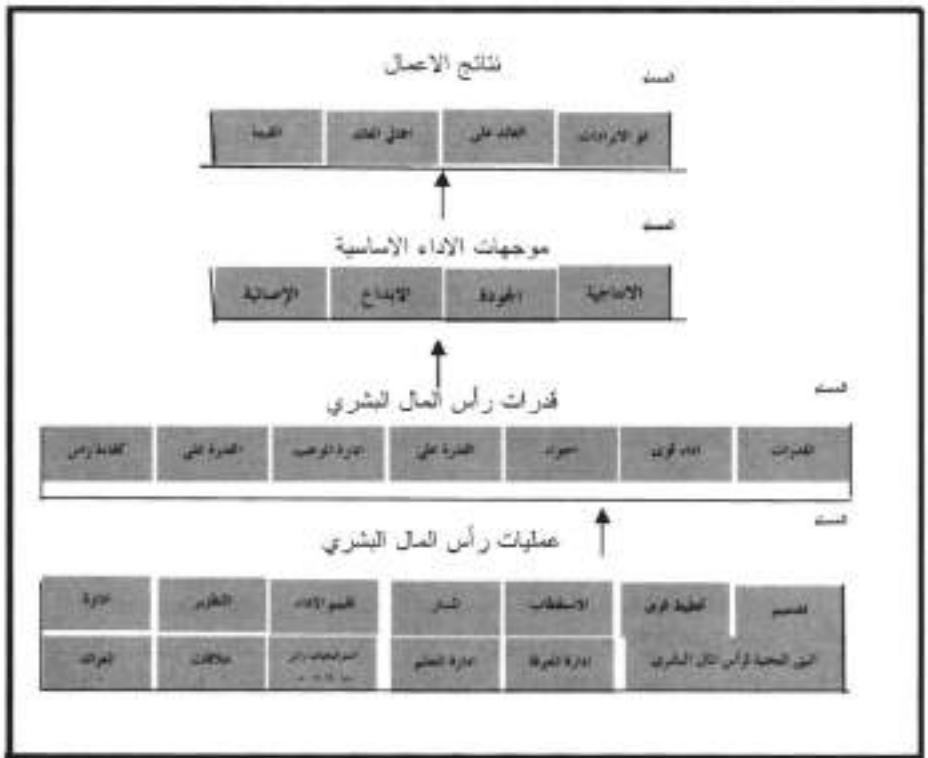

الشكل (1) اطار رأس المال البشري

Cantrell& Benton& Laudal& Thomas, (2006),"Measuring the value of human capital investments: the SAP case", Strategy & Leadership, Vol. 34 Iss: 2 pp. 43 - 52

خامساً: المراحل الاساسية لقياس رأس المال البشري

عندما تحاول المنظمات ان تقوم بادارة رأس المال البشرية فانها تواجه مدى واسع مع المداخل، وبشكل عام توجد اربع مراحل اساسية في قياس رأس المال البشري يمكن ان تعمل منظمات الاعمال على تبنيها.

١) المرحلة المبكرة The early phas: ينبغي على منظمات الاعمال ضمن هذه المرحلة ان تعمل على تطوير مقاييس بسيطة ترتبط باستراتيجية الاعمال ، وعلى سبيل المثال المنظمة التي تتبع استراتيجية التركيز على الزبون، ينبغي ان تكون قادرة على قياس الكيفية التي يسعى بها العاملين إلى تسحين علاقاتهم مع الزبائن(Young,2005:25).

٢) مرحلة المقارنة المرجعية The benchmarking phase
في المستوى الاخر، تحتاج المنظمة إلى ان تقارن قدراتها في مجال ادارة رأس المال البشري مع منظمات مشابهة في مجال العمل. وبدون عملية المقارنة المرجعية لن تتمكن المنظمة من معرفة فيما اذا كانت قدراتها في مجال ادارة راس المال البشري جيدة ام غير جيدة (Young,2005:25).

٣) مرحلة الترابط The linkage phase
يبدأ هذا المستوى مع ربط عدد مع قدرات رأس المال البشري مع بعضها البعض، باتجاه تكوين فهم عن اداء المنظمة. وعلى سبيل المثال يمكن ان يتم الربط بين وجهة نظر العاملين عن العلاقة بين قيادة المنظمة واداء الاعمال المتحقق(Young,2005:25).

٤) مرحلة النضج The mature phase
في هذه المرحلة تقوم المنظمة بتطوير مؤشرات عن اداء الاعمال المتوقع، والتي ينبغي ان تتكامل مع الادارة الاستراتيجية وعمليات اتخاذ القرار. والشكل في ادناه يوضح هذه المراحل (Young,2005:25).

الشكل (2) المراحل الاساسية لقياس رأس المال البشري

Young, S, (2005),"**10 steps to successful human capital management**", Strategic HR Review, Vol. 5 Iss: 1 pp. 24 - 27

سادساً: استراتيجيات ادارة راس المال البشري

تفترض توجهات ادارة الموارد البشرية الاستراتيجية بان ليس كل المعرفة والمهارات الموجودة هي استراتيجية، لذلك فان الخطوة الاولى تكمن في تحديد اشكال رأس المال البشري في المنظمة وكيف يمكن ان تكون مصدراً للميزة التنافسية. لذلك فالاسهام الذي قدمه Snell واخرون في عام ١٩٩٩، واسهمام Ulrich and Lake الذي جرى تقديمة في عام ١٩٩١، يستخدم لتحليل الامكانيات الاستراتيجية لرأس المال البشري في منظمات الاعمال، وبالاعتماد على بعدين هما القيمة والتفرد(perez & Pablos,2003:86). اذ قدم كل من Lepak and Snell,(1999) بحث بعنوان هندسة الموارد البشرية: باتجاه تخصيص وتطوير نظرية لرأس المال البشري نموذجاً نظرياً متكاملاً بشأن كيفية التعامل مع راس المال البشري والذي جرى تجسيدة في مصفوفة. والشكل الاتي يوضح هذا النموذج النظري.

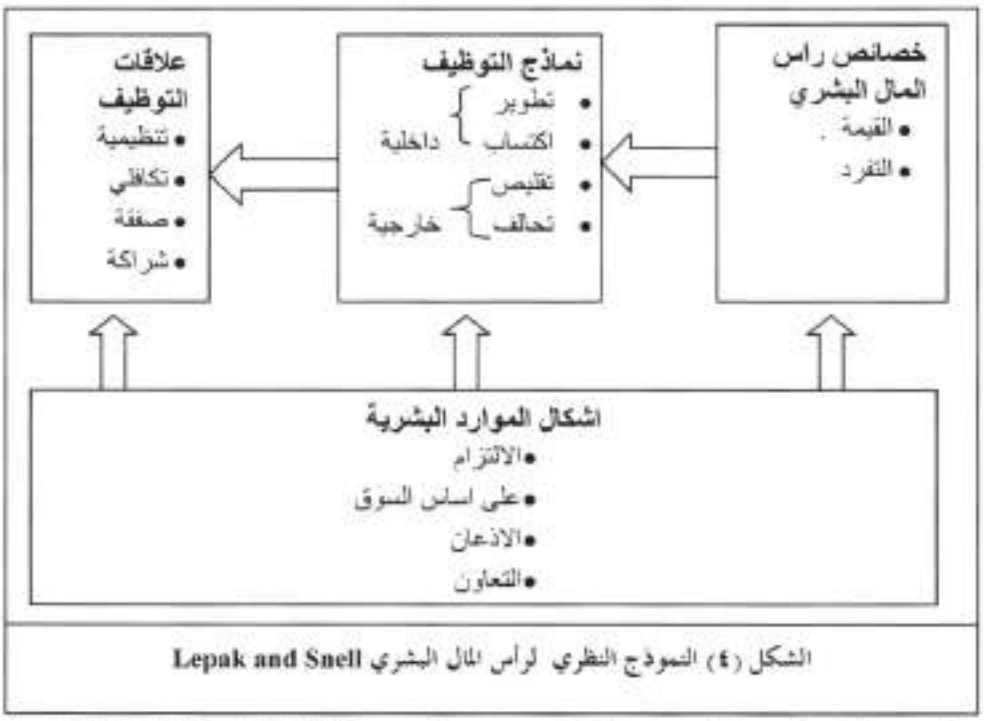

الشكل (٤) النموذج النظري لرأس المال البشري Lepak and Snell

Lepak & . Snell (1999) "**The Human Resource Architecture: Toward a Theory of Human Capital Allocation and Development**" The Academy of Management Review, Vol. 24, No. 1

وقام كل من Lepak and Snell بتطوير مصفوفة على اساس خصائص راس المال البشري، القيمة والتفرد، ومن ثم جرى ايضاح نموذج التوظيف وطبيعة العلاقات واشكال الموارد البشرية في كل خلية، من خلال التركيز على المفكرين الذين قدموا اسهامات في هذا المجال.

١. **قيمة رأس المال البشري The Value of Human Capital**

وتفترض النظرة المعتمدة على موارد المنظمة، بان الموارد تكون قيمة عندما تمكنها من صياغة استراتجيات تحسن الكفاءة والفعلية، واستكشاف فرص السوق، و/ أو تحييد التهديدات. وان قيمة راس المال البشري تتحد اصلا بامكانياتها المحتملة لتكوين الميزة التنافسية أو القدرات الجوهرية (Lepak and Snell,1999:35).

ويشير كل من Barney, (1991); Quinn, (1992) إلى ان مهارات الافراد يمكن ان يتم تصنيفها مثل موجودات المنظمة الاخرى على انها جوهرية core. والموجودات الجوهرية تكون حيوية لتكوين الميزة التنافسية للمنظمة، وغالبا ماتتطلب تطوير داخلي مستمر(Lepak and Snell,1999:35).

وضمن اطار الادارة الاستراتيجية ينظر تكوين للقيمة من خلال التركيز على زيادة نسبة ربحية الزبون بالمقارنة مع التكاليف التي ترتبط بها. فيمكن لرأس المال البشري ان يسهم في اضافة القيمة من خلال اسهامه في تخفيض الكلف وزيادة خصائص السلع والخدمات المقدمة للزبائن (perez & Pablos,2003:86).

٢. تفرد رأس المال البشري The Uniqueness of Human Capital

ويناقش المدافعون عن نظرية الموارد واقتصاديات كلفة الصفقة، بان الموارد المتميزة idiosyncratic resources تكون اساسية ويتكرر الحاجة إليها، وبسبب درجة التفرد أو تخصص في رأس المال البشرية فانها تؤثر في كلف الصفقة، اذ تمتلك تأثير كبير على قرار قبول التوظيف. وتفرد مهارات الافراد يمكن ان ينتج من عوامل متعددة، وعلى سبيل المثال عندما تستخدم مهارات العاملين في ظروف استثنائية او ترتيبات محتملة وان مثل هذه المهارات تتطلب معرفة ضمنية وخبرة والتي تكون مصدر لتفرد الافراد(Lepak and Snell,1999:35).

ومن جانب اخر اشار كل من Collis & Montgmery (1995) إلى ان درجة اهمية رأس المال البشري تعتمد على اسهامه في تكوين التميز التنافسي. فمن وجهة النظر الاقتصادية، اشارة إلى ان المنظمة تحصل على الميزة التنافسية عندما تمتلك موارد محددة لايمكن للمنافسين من تقليدها. وهكذا كلما ازدات طبيعة تفرد رأس المال البشرية، فستمتلك المنظمة الحافز للاستثمار مواردها في العمليات الادارية مع هدف تخفيض الكلف والحصول على الامكانيات الانتاجية المحتملة(perez & Pablos,2003:86). والشكل الاتي يوضح هذه المصوفة

الشكل (5) هندسة الموارد البشرية

Lepak & . Snell (1999) "**The Human Resource Architecture: Toward a Theory of Human Capital Allocation and Development**" The Academy of Management Review, Vol. 24, No. 1

الخلية رقم (١) تطوير رأس المال البشري:

يكون راس المال البشري في هذه الخلية قيم ومتفرد، وبشكل عام تميل المنظمات إلى توظيف الافراد داخلياً عندما تحتاج إلى مهارات خاصة. وعند تحديد المهارات التي تحتاجها المنظمة والتي لاتكون متوفر في سوق العمل، فيوجد عدد قليل من البدائل من اجل الحصول على الموارد المتفردة، لذلك تميل المنظمة إلى تطويرها داخلياً. وبالاضافة إلى التفرد بالمهارات في هذه الخلية ينبغي ان تكون قيمة، اي ان المنافع الاستراتيجية تتجاوز الكلفة البيروقراطية التي ترتبط بتطوير هذه المهارات(Lepak and Snell,1999:36).

أ) نموذج التوظيف: ضمن هذه الظروف تمتلك المنظمة كل من الدافع الاستراتيجي والمالي من اجل التطوير الداخلي. ويرى المنظرين في مجال راس المال البشري بان المهارات الخاصة التي يجري تطويرها تكون غير قابلة للتحويل، بالاضافة إلى ذلك ، فان التطوير الداخلي لرأس المال البشري سيساعد المنظمة على ادراك فائدة هؤلاء الافراد عبر القيمة المحتملة التي سيخلقونها. وان الافراد في هذه المجموعة من المهارات يمتلكون قدرات قيمة ومتفردة فيمكن ان يتم النظر إليهم كافراد جوهرين، الذين يكونون كمصدر للميزة التنافسية.

ب) علاقات التوظيف: ان مصطلح علاقات التوظيف لهذه الفئة من الافراد، استخدم التركيز المنظمة على العلاقات لوصف التبادلات غير المحددة open-ended exchanges، بين اصحاب العمل والافراد، فتركيز المنظمة على علاقات التوظيف يمكن ان ينظر إليه كتشجيع لتعدد الاستثمارات المؤثرة من جانب اصحاب العمل والافراد في تطوير المهارات الحرجة التي تحتاجها المنظمة. وأن الاستثمارات والاحتواء بعيد الامد هو السمة المميزة لهذا النوع من علاقات التوظيف. ويمكن ان تعتمد المظمات على التركيز على العلاقات من اجل استخراج مدى واسع من سلوكيات الافراد وزيادة حافز الافراد للمضي في التعلم التنظيمي(Lepak and Snell,1999:36).

ج) شكل الموارد البشرية: من اجل تكوين ودعم علاقات التوظيف التي تركز عليها المنظمة، فالمنظمات من المحتمل ان تلجأ إلى الالتزام على اساس نظم الموارد البشرية. الذي يساعد على احتواء العاملين ويعظم من العوائد التي تحققها المنظمة في الاستثمار برأس المال الاستراتيجي (Lepak and Snell,1999:37).

الخلية رقم (٢) اكتساب رأس المال البشري

تحتاج هندسة الموارد البشرية ان تركز على الانواع الاخرى من رأس المال البشري غير التي جرى تناولها في الخلية (١) من اجل الوصول بالاداء إلى الحد الاقصى، ورأس المال البشري في الخلية (٢) يكون قيم وبنفس الوقت متوفر في سوق العمل. وبسبب قيمة هذه المهارات، فالمنظمة يكون لديها حافز لتوظيف هؤلاء الافراد. وان هذه المهارات ضمن هذه الخلية لاتكون فريدة أو خاصة. ويفترض المنظرين في رأس المال البشري بان المدراء يكونوا مترددين في الاستثمار في التطوير الداخلي، اذ يفترض البعض ان الافراد مع المهارات العامة يمكن ان يتركوا المنظمة وبذلك يتحول استثمار المنظمة إلى منظمة اخرى.

أ) نموذج التوظيف: تسعى المنظمات إلى حل الضغوطات التي تواجهها من خلال الاكتساب من السوق. ويمكن نموذج الاكتساب المنظمات من الحصول على

منافع المهارات القيمة. وفي عملية الاكتساب تدرك المنظمة المنافع بشكل سريع من خلال معدلات الانتاج (Lepak and Snell,1999:38).

ب) علاقات الاستخدام: تعكس علاقات الاستخدام في الخلية (٢) طبيعة نمط الاكتساب، اذ ان الافراد يمتلكون اسهامات قيمة ولكن ليست متفردة. ولادارة هؤلاء الافراد تحاول المنظمات ان تؤسس علاقات استخدام تكافلية على اساس منافع متعددة. ومن المحتمل ان يكون هذا النوع من الافراد اقل التزاما بالمنظمة ويميلون إلى وظائف اخرى.

ج) شكل الموارد البشرية: في الموقف الذي يركز على نموذج اكتساب رأس المال البشري وعلاقات التوظيف على اساس تكافلي، فان هندسة الموارد البشرية من المحتمل ان تركز على التوظيف ونشر المهارات بشكل فوري للقيام بأسهامها(Lepak and Snell,1999:38).

٣) الخلية رقم (٣) التعاقد راس المال البشري

بينما تركز كل من الخلية (١) و (٢) على تطوير رأس المال البشري داخلياً ضمن المنظمة، فان الخلية (٣) و(٤) تمثل راس المال البشري الذي يكون من الناحية الفنية خارجياً. وتمثل الخلية الثالثة راس المال البشري الذي يكون عام ومحدود من حيث القيمة الاستراتيجية. اذ يصف معرفة عامة ومهارات يمكن الحصول عليها بسهولة من سوق العمل. ويؤدي التفرد المحدود لهذه المهارات إلى تقليل اندفاع المنظمات إلى استثمار مواردها في تطوير مثل هذه الفئة. وفي الحقيقة، وبسبب وجود مصادر بديلة لهذه المهارات، فان المنظمات تتجه نحو تقلص كلف التوظيف من خلال التعاقد الخارجي.

أ) نموذج الاستخدام: كلما تزداد كفاءة التجهيز وتنخفض المخاطر المتاصلة في الترتيبات التعاقدية فان المنظمة ستكون قادرة على التعاقد بدون المخاطرة بموقفها التنافسي. وعلى الرغم من اشتراط العلاقات التعاقدية على اداء العمل في مبنى المنظمة المتعاقدة، فيوجد تزايد في تعاقد الافراد للعمل في موقعهم. فالعمل المؤقت، والتأجير ، واشكال اخرى يمكن ان تظهر ضمن هذه الفئة(Lepak and Snell,1999:39).

ب) علاقات التوظيف: عندما يتحدد ارتباط الافراد بالمنظمة، وعندما تكون توقعات الاداء المطلوب واضحة،فان العقد النفسي يكون عبارة عن صفقة،فالتركيز يكون قصير الامد. فعلاقات التوظيف التي تركز على العمل فانها تصف المواقف التي بها يمتلك الافراد متطلبات اداء محددة ويكون ارتباطهم بالمنظمة محدود ايضاً.

ج) شكل الموارد البشرية: تتشابه علاقات التوظيف على اساس التكافلي مع الصفقة من حيث طبيعتها. والاختلاف يكمن في مدى السلوكيات والتوقعات المطلوبة من الافراد ومستوى اسهامهم. لذلك في عقود العمل التي تتخذ طبيعة الصفقة، ينبغي ان تركز انشطة الموارد البشرية على ضمان اذعان الافراد لشروط العقد مقابل تنفيذ المسؤوليات الواسعة والادوار التنظيمية المفترضة(Lepak and Snell,1999:39).

٤) الخلية رقم (٤) تكوين تحالفات لرأس المال البشري:

تحتوي هذه الخلية على راس مال بشري متفرد ولكن ليس له دور فاعل في تكوين قيمة للزبون، ويفترض منظري النظرة المعتمدة على الموارد بان الامكانية المحدودة لهذه المهارات في تكوين القديمة ستقلل من اهمية امتلاك مثل هذه المهارات(Lepak and Snell,1999:40).

أ) نموذج التوظيف: بعض الاشكال المتفردة لرأس المال البشرية تكون ذات قابلية اقل للنقل والتحديد من المهارات العامة. وفي مثل هذه الحالة تواجه المنظمات تناقض، فانها تشجع وبشكل متزامن استخدام التوظيف الخارجي والداخلي. ويمكن ان تقدم بعض انواع التحالفات نموذج توظيف هجين يمزج بين النموذج الداخلي والخارجي للتغلب على المشاكل الموجودة. ويستخدم الباحثين مصطلح التحالف للاشارة إلى العلاقات الخارجية التي بها كل شريك يسهم في النتيجة المشتركة.

ب) علاقات التوظيف: بسبب طبيعة التبادل، فيمكن ان تخلق التحالفات علاقات توظيف متناقضة. اذ تتطلب التحالفات، المشاركة في المعلومات، الثقة، وتشجيع التبادل والعاون. وبدون مشاركة المعلومات فان الشراكة في احسن الاحول لن تؤدي إلى كثر من تجميع للموارد، وبدن ثقة فان الشركاء لن يقدمو المعلومات القيمة التي يحتاجها الشريك الاخر للتصرف على اساسها.

ج) شكل الموارد البشرية: على الرغم من ان التحالفات تتضمن ترتيبات هيكلية لكل الشركاء للتمكن من العمل مع البعض لتحقيق منفعة التدانب. ويشجع نظام الموارد البشرية ويكافء التعاون، وكما تكون مشاركة المعلومات ضرورية(Lepak and Snell,1999:41).

سابعاً: الادارة الشاملة لرأس المال البشري

بعد استعراض مفهوم راس المال البشرية، وعرض الاسهامات الاساسية التي جرى تقديمها في مجال راس المال البشري، سيجري تقديم نموذج يمكن من خلاله ان يقوم المتخصصون في مجال الموارد البشرية من وضع استراتيجيات وممارسات شاملة في مجال ادارة راس المال البشري. ومن اجل تطوير هذا النموذج جرى الاعتماد على ثلاثة اسهامات اساسية الاول يتعلق بقياس نضج رأس المال البشري والذي يجري فيه قياس رأس المال البشري ، والمستوى الثاني يتعلق بعمليات رأس المال البشري والذي يجري فيه تطوير ممارسات الموارد البشرية في مجال ادارة رأس المال البشري، واخيرا المستوى الثالث يتعلق باستراتيجيات راس المال البشري والتي يجري من خلالها تحديد مجالات الاستثمار في رأس المال البشري. والشكل الاتي يوضح ذلك.

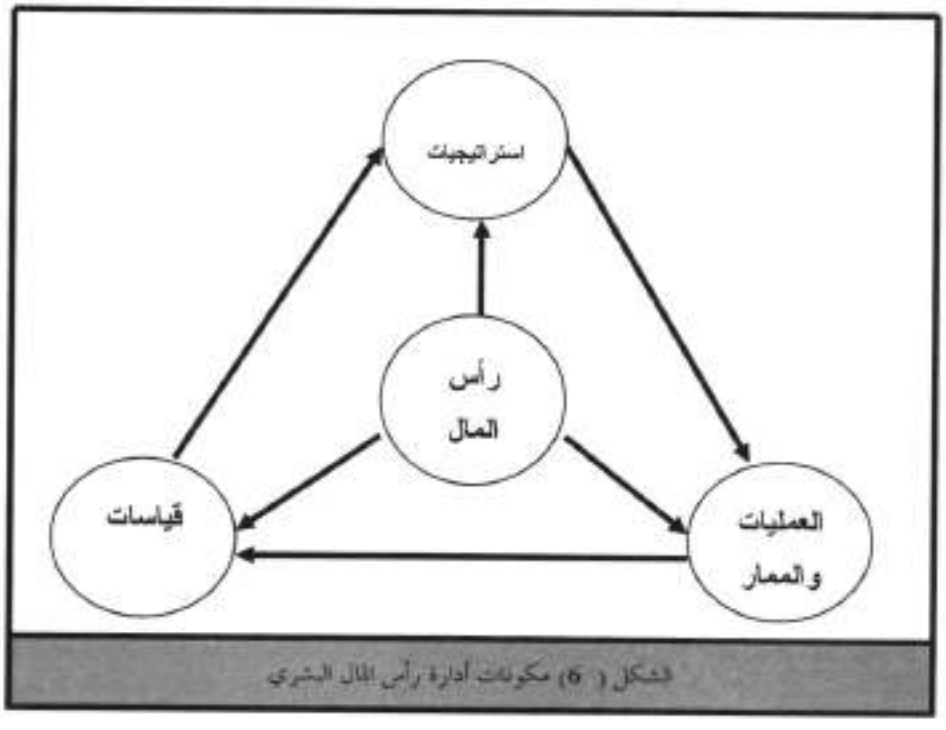

الشكل (6) مكونات ادارة رأس المال البشري

ويظهر من هذا الشكل وبوضوح، ان الادارة الفاعلة لراس المال البشري لابد ان تتضمن على استراتيجيات اساسية يجري من خلالها تحديد طبيعة راس المال البشري الذي تنوي المنظمة ان تستثمر فيه، ومجالات هذا الاستثمار. اما على مستوى الممارسات، فهي ترتبط بممارسات الموارد البشرية التي ينبغي ان تكون

موجهه نحو التعامل مع رأس المال البشري. وبالاضافة إلى الممارسات الاساسية، ينبغي ان تركز ادارة الموارد البشرية وفق الدور الجديد الذي تسعى إلى ان تقوم به مجموعة من العمليات والممارسات المتطورة التي تنسجم مع طبيعة هذا التوجه. واخيرا يأتي بعد القياس والذي يهدف إلى تشخيص طبيعة راس المال البشري الموجود حاليا، ومستوى التقدم الذي يجري تحقيقة في مجال الاستثمار في هذا المجال، ومدى ارتباط قدرات رأس المال البشري الذي يجري تطويره مع احتياجات المنظمة الحالية والمستقبلية.

والشكل في ادناه يقدم حزمة من الخيارات التي يمكن ان تتبناها المنظمة على كل مستوى من هذه المستويات الثلاثة، والتي من خلالها يمكن ان تحقق الادارة الشاملة لرأس المال البشري.

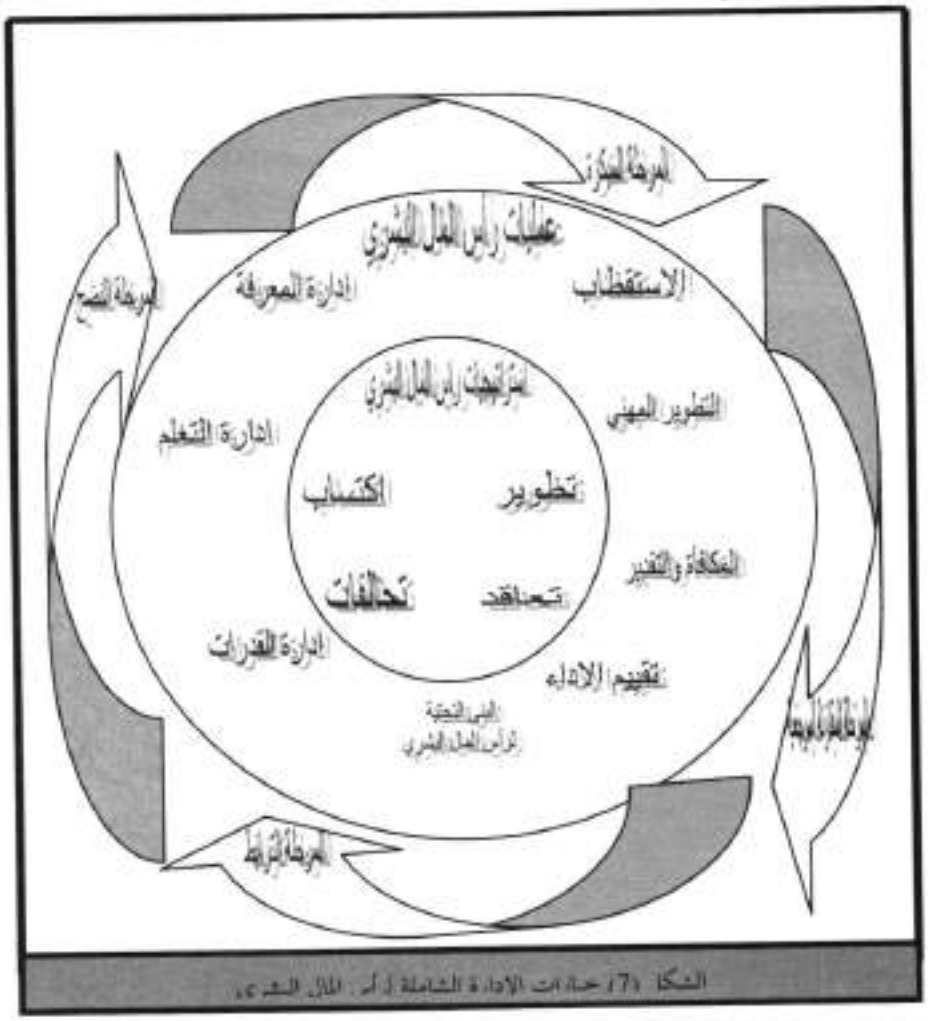

الشكل (7) حدات الادارة الشاملة لرأس المال البشري

المبحث الثالث الاستنتاجات

١) لايمكن لمنظمات الاعمال ان تحقق نجاح في استثمارها برأس المال البشري بدون وجود فلسفة وقناعات متجذرة في ثقافة المنظمة باهمية هذا التوجه في تحقيق النجاحات المستقبلية.
٢) ان عدم الاهتمام بمفهوم رأس المال البشري كممارسة ادارة معاصرة ، لن يؤدي إلى تراجع الاداء ولكن سيؤدي إلى خروج منظمات الاعمال من الاسواق.
٣) يسهم الاستثمار في رأس المال البشري بشكل مباشر في تعزيز الميزة التنافسية المستدامة، اذ ان اغلب ابعاد الميزة التنافسية المستدامة تنطبق على طبيعة تكوين رأس المال البشري.
٤) بسبب الطبيعة التي يتسم بها رأس المال البشري ضمن المنظمة فانه يتطلب تكامل بين انشطة مختلفة، والذي ينعكس بشكل مباشر على النماذج المقترحة للتعامل مع رأس المال البشري في منظمات الاعمال التي تتكون من اكثر من مستوى هذا من جانب، ومن جانب اخر فان رأس المال البشري في حد ذاته يختلف في تفردة مما يتطلب ممارسات مختلفة ضمن الانشطة ذاتها على اساس التفرد المتحقق.
٥) بدون وجود قياسات لراس المال البشري، لن تتمكن الموارد البشرية من استيعاب دورها الجديد وتطوير ممارساتها في مجال الاستثمار في رأس المال البشري.

قائمة المصادر

1. Gates. s & Langevin. P , (2010),"**Human capital measures, strategy, and performance: HR managers' perceptions**", Accounting, Auditing & Accountability Journal, Vol. 23 Iss: 1 pp. 111 – 132.
2. Chen.H.M & Lin.K.J, (2004),"**The role of human capital cost in accounting**", Journal of Intellectual Capital, Vol. 5 Iss: 1 pp. 116 – 130.
3. Beattie. V& Smith .S.J, (2010),"**Human capital, value creation and disclosure**", Journal of Human Resource Costing & Accounting, Vol. 14 Iss: 4 pp. 262 – 285.
4. Cantrell. S &, Benton. J.M & Laudal.T & Thomas.R.J , (2006),"**Measuring the value of human capital investments: the SAP case**", Strategy & Leadership, Vol. 34 Iss: 2 pp. 43 – 52.
5. White. L.N, (2007),"**A kaleidoscope of possibilities: strategies for assessing human capital libraries**", The Bottom Line: Managing Library Finances, Vol. 20 Iss: 3 pp. 109 – 115.
6. Kulvisaechana. S, (2006),"**Human capital development in the international organization: rhetoric and reality**", Journal of European Industrial Training, Vol. 30 Iss: 9 pp. 721 – 734.
7. David P. Lepak and Scott A. Snell **"(1999) The Human Resource Architecture: Toward a Theory of Human Capital Allocation and Development**" The Academy of Management Review, Vol. 24, No. 1 ,pp. 31-48 .
8. BAPTISTE. I (2001)" **EDUCATING LONE WOLVES: PEDAGOGICAL IMPLICATIONS OF HUMAN CAPITAL THEORY**" ADULT

EDUCATION QUARTERLY, Vol. 51 No. 3, May ,184-201.

9. Davidsson, & Honig& Benson (2003) **"The role of social and human capital among nascent entrepreneurs".** *Journal of Business Venturing* 18(3):pp. 301-331.
10. Khasawneh. S (2010) **" Human capital planning in higher education institutions:A strategic human resource development initiative in Jordan"**International Journal of Educational Management Vol. 25 No. 6,pp. 534-544
11. Becker.B.E & Huselid. M.K (1998) **." HIGH PERFORMANCE WORK SYSTEMS AND FIRM PERFORMANCE :A SYNTHESIS OF RESEARCH AND MANAGERIAL IMPLICATIONS"** Research in Personnel and Human Resources Management, Volume 16, pages 53-101 JAI Press Inc .
12. Yaping.L &Jingfang.J (2007) **"HUMAN CAPITAL INVESTMENT FOR FIRM: AN ANALYSIS"**Management Science and Engineering, Vol.1 No.2 December.
13. Perez.J.R & Pablos.P.R, (2003),**"Knowledge management and organizational competitiveness: a framework for human capital analysis"**, Journal of Knowledge Management, Vol. 7 Iss: 3 pp. 82 – 91.
14. Young.S , (2005),**"10 steps to successful human capital management",** Strategic HR Review, Vol. 5 Iss: 1 pp. 24 - 27

المواءمة بين استراتيجية المحيط الأزرق واستراتيجيات الدخول والخروج من السوق وتأثيرهما في تحقيق الميزة التنافسية: دراسة استطلاعية لعينة من المديرين في مصرف الرافدين

أ. فائز غازي عبد اللطيف البياتي م.م عباس محمد حسين سعيد
كلية المأمون الجامعة / قسم أدارة الاعمال

المستخلص:

هدف البحث إلى تحديد تأثير المواءمة بين إستراتيجية المحيط الأزرق واستراتيجيات الدخول والخروج من السوق في الميزة التنافسية، ولتحقيق هذا الهدف توصل الباحثان إلى بناء مخطط فرضي يوضح العلاقة بين المتغيرات المدروسة، حيث اعتمد البحث على دراسة إستراتيجية المحيط الأزرق كمتغير مستقل، واستراتيجيات الدخول والخروج من السوق كمتغير وسيط ، فضلا عن خمسة ابعاد مثلت الميزة التنافسية كمتغير معتمد، تكونت عينة البحث من (33) مدير في مصرف الرافدين ، توصل البحث إلى نتائج عدة تمثلت في وجود تلاؤم بين إستراتيجية المحيط الأزرق وإستراتيجية الدخول والخروج المبكر من السوق بينما لم يكن هناك أي تلاؤم مع الاستراتيجيات الأخرى الدخول والخروج من السوق، وكما اظهر البحث إن التلاؤم بين إستراتيجية المحيط الأزرق وإستراتيجية الدخول والخروج المبكر من السوق يؤدي إلى تحقيق المصرف المبحوث لميزة تنافسية .

الكلمات الدالة: إستراتيجية المحيط الأزرق، استراتيجيات الدخول والخروج من السوق، الميزة التنافسية

Alignment between the Blue Ocean Strategy and the Entry and Exit from the Market Strategies and their Impact in Achieving Competitive Advantage: Exploratory Study of a sample of Managers in Al-Rafidain Bank

Abstract

The aim of the research is to determine the impact of alignment between the Blue Ocean Strategy and the entry and exit from the market strategies and their impact in achieving competitive advantage . In order to achieve this aim, the researchers had concluded a supposed diagram showing the relationship between the variables that had been studied. The research had depended on the study of Blue Ocean Strategy as a dependent variable and strategies for entry and exit from the market as mediating variables, as well as five dimensions representing a competitive advantage as a dependent variable. The sample consisted of (33) managers from Al- Rafidain Bank. The researchers found several results represented in the existence of an alignment between the Blue Ocean strategy and enter and exit early from the market strategy, while there was no alignment with other entry and exit from the market strategies.The research also showed that the Alignment between the Blue Ocean strategy and entry and exit early from the market strategy leads to the acquisition of the Bank under study a competitive advantage.

Key words: Blue Ocean Strategy, entry and exit from the market strategies, competitive advantage

المقدمة:

في ظل ما تشهده السوق من تنافس محموم بين مختلف المنظمات في سعيها لتحقيق التفوق على المنافسين وكسب حصة سوقية أكبر، وانطلاقاً من شيوع قانون البقاء للأقوى وزيادة العرض على الطلب في كثير من الصناعات، بات هدف

المحافظة على الأداء للمنظمات الرائدة أمرا في غاية الصعوبة، الأمر الذي ترتب عليه إحجام العديد منها عن الدخول في ميدان المنافسة المباشرة خوفا من تأثير ذلك على كياناتها ، وسعيا نحو تبني مضامين فلسفية تسهم إلى حدٍ كبير في الوصول إلى حالة الانعتاق من المنافسة والبحث عن حالة التفرد وقيادة السوق مستندة إلى سياقات التفكير الإبداعي، الأمر الذي ينعكس إيجاباً على أدائها ، إذ إن معطيات السوق الحالية تجعل الأبواب مفتوحة أمام ذلك النوع من المنظمات التي بإمكانها صياغة استراتيجياتها من دون التطرق إلى مواضيع مثل إستراتيجية المنافسة والمقارنة المرجعية مع المنظمات المنافسة وكيفية بناء ميزة تنافسية فضلا عن كيفية التفوق على المنافسين، وإنما في البحث عن المساحات التي لم تصلها المنافسة بعد، من خلال تبني إستراتيجية غير تنافسية تسعى إلى ابتكار القيمة التي تعد بمثابة حجر الزاوية في إستراتيجية المحيط الأزرق.

المـــحور الأول
منـــهجـية البـحـث

أولا: مشكلة البحث

أصبح التنافس بين الشركات المتناظرة أمر لا مفر منه، وأضحى هدف البحث عن الأسواق والزبائن الجدد هدف استراتيجي تنشده جميع المنظمات وخاصة بعد التحولات والتغيرات المتسارعة في عالم الاتصال وسهولة انتقال السلع والخدمات من بلد إلى أخر لذا حتم هذا على المنظمات البحث عن استراتيجيات تكسبها القوة والنفوذ ومنها إستراتيجية السوق الأزرق التي تمثل إستراتيجية غير تنافسية الغرض منها اكتشاف مساحات سوقية جديدة لم تصل إليها المنافسة ، وايجاد الطلب بدل من مزاحمة المنافسين للحصول عليه عن طريق المنافسة المباشرة ، فضلا عن ذلك يعد توقيت الدخول والخروج من السوق من القضايا الاستراتيجية المهمة للمنظمة (Isobe et al,2000:470). فالدخول في الوقت المناسب قد يكون مهم للنجاح، إذ أظهرت البحوث السابقة إن الدخول المبكر للسوق يؤدي لتحقيق العديد من المزايا التنافسية (Li et al,2003:626). وعلى هذا الأساس وتوخيا للدقة فقد تم صياغة مشكلة البحث بالتساؤلات الآتية:

١- هل يمتلك المصرف المبحوث تصور عن إستراتيجية المحيط الأزرق، واستراتيجيات الدخول والخروج من السوق فضلا عن الميزة التنافسية؟
٢- هل تتلاءم استراتيجية المحيط الأزرق مع إستراتيجية الدخول والخروج المبكر من السوق بشكل أفضل من الاستراتيجيات الأخرى؟

٣- هل ينعكس تأثير إستراتيجية المحيط الأزرق في تحقيق ميزة تنافسية للمصرف المبحوث؟
٤- هل تحقق الموائمة بين إستراتيجية المحيط الأزرق واستراتيجيات الدخول والخروج المبكر من السوق ميزة تنافسية للمصرف المبحوث؟

ثانيا: أهمية البحث

تواجه المنظمات منافسة شديدة كنتيجة حتمية لفتح الأسواق وتوسع المنافسة من نطاق محلي إلى ابعاد عالمية، وعند هذه النقطة يبرز التحدي الأكبر الذي تواجهه تلك المنظمات والمتمثل بمدى قدرتها على ضمان مكانتها واستمراريتها خاصة مع زيادة التكتلات والتحالفات مما يحتم عليها إن تتبنى نماذج رائدة في تطوير الأسواق والبحث عن عوامل النجاح لتعزيز مركزها التنافسي في الأسواق وتحقيق هوامش إرباح عالية وإنتاج منتجات بأقل تكلفة وأعلى قيمة للزبون مما يسمح لها تحقيق ميزة تنافسية. وفي ضوء ما تقدم يستمد البحث أهميته من سعيه لإغناء الفكر الاستراتيجي بما يحتويه الجانب النظري من خلاصة ومحاورة لأبرز إسهامات الباحثين فضلا عن إسهامه بشكل مباشر في تحديد وتحليل طبيعة العلاقة بين إستراتيجية المحيط الأزرق كاستراتيجية معاصرة وإستراتيجيات الدخول والخروج من السوق بوصفها من القرارات الرئيسة التي تتخذها الإدارة والتي يمكن إن تحدد نجاحها واستمرارها في السوق أو فشلها وخروجها منه فضلا عن تحديد تأثير التلاؤم بين كلا الاستراتيجيات في تحقيق ميزة تنافسية.

ثالثا: أهداف البحث

يسعى البحث إلى إبراز تأثير المواءمة بين إستراتيجية المحيط الأزرق، واستراتيجيات الدخول والخروج من السوق في تحقيق الميزة التنافسية، ومن ثم ترسيخ قناعات القائمين على المصارف المبحوثة حول جدوى تطبيقها، كما ان هناك أهدافاً فرعية يمكن حصرها بالآتي:

١- التعرف على مدى إدراك المدراء لجدوى تحقيق حالة التلاؤم بين إستراتيجية المحيط الأزرق واستراتيجيات الدخول والخروج من السوق وتأثيرهما في الميزة التنافسية.
٢- التحقق من إن إستراتيجية المحيط الأزرق تتلائم بشكل أفضل مع إستراتيجية الدخول والخروج المبكر من السوق مقارنة بالاستراتيجيات الأخرى.
٣- تأكيد ان توظيف إستراتيجية المحيط الأزرق سيحقق ميزة تنافسية للمصرف المبحوث.

٤- التأكد من ان المواءمة بين استراتيجية المحيط الأزرق وإستراتيجية الدخول والخروج المبكر من السوق سيعزز من إمكانية تحقيق المصرف المبحوث لميزة تنافسية.

رابعا: مخطط البحث

في ضوء مشكلة البحث وتساؤلاتها وبالاعتماد على الأدب النظري قام الباحثان بإعداد مخطط يفيد بان إستراتيجية المحيط الأزرق تؤثر في الميزة التنافسية، وان هذا التأثير يتعاظم بتلاؤم استراتيجية المحيط الأزرق مع إستراتيجية الدخول والخروج المبكر من السوق والشكل (1) يوضح المخطط الفرضي للبحث

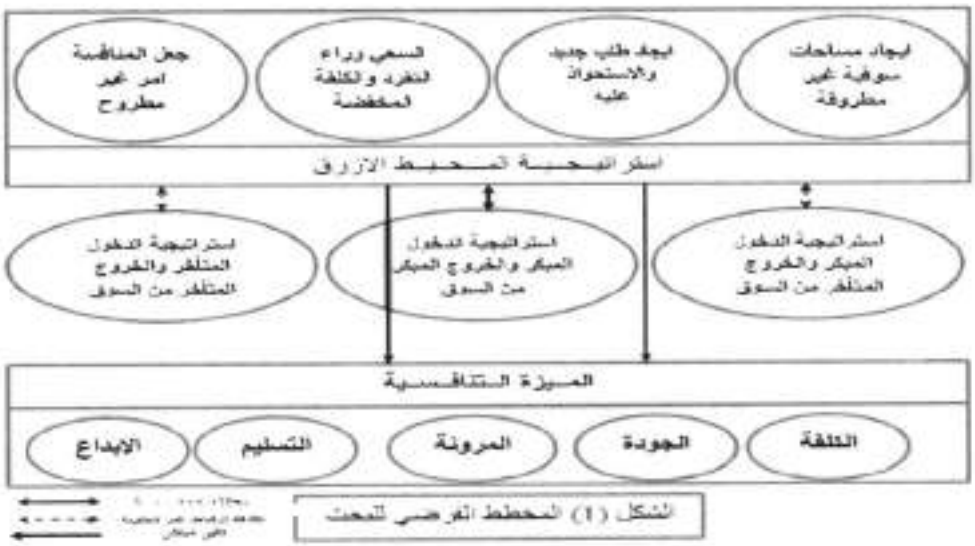

الشكل (1) المخطط الفرضي للبحث

خامسا: فرضيات البحث

١. الفرضية الرئيسة الأولى: تتلاءم استراتيجية المحيط الأزرق مع استراتيجية الدخول والخروج المبكر من السوق.
٢. الفرضية الرئيسة الثانية: لا تتلاءم استراتيجية المحيط الأزرق مع استراتيجية الدخول المبكر والخروج المتأخر من السوق.
٣. الفرضية الرئيسة الثالثة: لا تتلاءم استراتيجية المحيط الأزرق مع استراتيجية الدخول والخروج المتأخر من السوق.
٤. الفرضية الرئيسة الرابعة: ينعكس تأثير إستراتيجية المحيط الأزرق في تحقيق ميزة تنافسية للمصرف المبحوث.

٥. الفرضية الرئيسة الخامسة: يحقق المصرف المبحوث ميزة تنافسية بتلاءم استراتيجية المحيط الأزرق مع استراتيجية الدخول والخروج المبكر من السوق.

سادسا: منهج البحث

مما لا يقبل الشك أن موضوع البحث وأهدافه تلعب دورا مهما في اختيار منهجه، وعلى وفق أهداف البحث وطبيعة متغيراته، اعتمد الباحثان (المنهج الوصفي التحليلي) الذي لا يقف عند حد جمع المعلومات لوصف الظاهرة، إنما يعمد إلى تحليلها وكشف العلاقات بين إبعادها (البياتي والقاضي، 60:2010). وبما يتيح للباحثين الوصف والتحليل الميداني للظاهرة المبحوثة.

سابعا: أدوات البحث وأساليبه الإحصائية

أساليب جمع البيانات: تم اعتماد الاستبانه في جمع البيانات، التي صممت بالاعتماد على المقاييس المتوافرة في الأدبيات حيثما تسنى إيجادها وبصيغة تتلاءم ومفهوم المتغير المراد قياسه فضلا عن تلاؤمها لبيئة البحث لتحقيق متطلباته. اما عن **الوسائل الإحصائية** اعتمد البحث الوسط الحسابي، والانحراف المعياري، ومعامل الاختلاف والوزن المئوي والأهمية النسبية لوصف المتغيرات. وكما تم استخدام معامل الارتباط البسيط (spearman) وبهدف اختبار فرضيات التأثير تم اعتماد نموذج الانحدار الخطي البسيط، وقد اعتمد الباحثان المستويين الفردي والإجمالي لمعرفة معنوية التأثير، وتمت الاستعانة بأسلوب تحليل المسار لبيان التأثيرات المباشرة وغير المباشرة.

المحور الثاني
استراتيجية المحيط الأزرق: مفاهيم أساسية

أولا: مفهوم استراتيجية المحيط الأزرق

ركزت اغلب أدبيات الإدارة الإستراتيجية خلال السنوات الثلاثين المنصرمة على الاستراتيجيات التنافسية، وعلى هذا الأساس استند المفهوم الحالي للإستراتيجية، والذي ينظر للأسواق على أنها مساحات سوقية محددة تحاول المنظمات فيها إن تحقق المزيد من الزبائن لزيادة الإيرادات وقد ينتج عن مثل هذه المحاولات تحقيق إحدى المنظمات عوائد مالية عالية ومواجهة أخرى موقف كارثي يجبرها على الخروج من السوق (Burk et al,2009:4-6).

ولغرض توضيح مفهوم استراتيجية المحيط الأزرق لنفترض بان الأسواق القائمة مقسمة إلى جزأين أحدهما يعرف **بالمحيطات الحمراء** والاخر **المحيطات الزرقاء**، فالأول يمثل جميع الإعمال الموجودة حالياً إي المساحات السوقية المعروفة حيث جميع الحدود والقيود واضحة ومعروفة فضلا عن كون قوانين اللعبة التنافسية المستخدمة في الأسواق واضحة جدا، وفي هذه المحيطات تحاول المنظمات إن تؤدي أفضل ما لديها لتحقيق ما تستطيع من العوائد فهي مزدحمة وتشهد منافسة شديدة (Parvinen et al,2011:1219). ويتم التنافس باستخدام ذات القواعد (Chang, 2010:220). فعلى الرغم من إن الجوانب التنافسية مهمة جدا للمنظمة فان منحها اهتماماً كبيراً قد يجعل المنظمة بعيدة كل البعد عن الخصائص الأخرى المتمثلة بإيجاد أسواق جديدة لا يتواجد فيها منافسون وجعل المنافسة أمر غير مطروح وهذه الخصائص تمثل جوهر استراتيجية المحيط الأزرق (Buisson & Silberzahn,2010:360). فالمحيطات الزرقاء من جانب أخر هي تلك الصناعات والأسواق التي لم تحدد بعد إي غير موجودة ألان، ومن خصائصها انها أسواق جديدة بالكامل لذلك تتسم بإمكانية تحقيق عوائد مربحة وجذابة لتلك المنظمات التي أوجدتها (Kim & Mauborgne, 2005A:25). وعلى هذا الأساس تمثل إستراتيجية المحيط الأزرق الوسائل الكفيلة باكتشاف مواقع السوق التي لم تصلها المنافسة (Stuart, 1997:67). أو هي إلية تضمن الانعتاق من حالة المنافسة القائمة وصولا إلى تبني إستراتيجية غير تنافسية (Porter,1996:17). وينظر (رؤوف ،320:2010) لها على أنها الطريق الذي تحدد من خلاله المنظمة كيفية فتح مساحات سوقية غير مطروقة سابقا وخلق الطلب وفرص النمو ، فالمنظمات الريادية تسعى باتجاه تبني استراتيجية تضمن ابتكار الطلب وليس البحث عنه ومحاولة تلبيته وهي بذلك تسير باتجاه التفرد عن المنافسين وليس مزاحمتهم ، ويلخص (Kim & Mauborgne,2005B:18) الفرق بين استراتيجية المحيط الأحمر والأزرق بان الاولى تتضمن التنافس ضمن مساحة السوق الحالية في حين الثانية تتضمن خلق مساحات سوقية غير مطروقة، وتعمل الاولى على الحاق الهزيمة بالمنافسين اما الثانية فتعمل على جعل المنافسة امر غير مطروح، وتركز الاولى على استغلال الطلب الحالي واجراء تحليل القيمة – الكلفة اما الثانية فتركز على خلق طلب جديد والاستحواذ عليه، واخيرا فان الاولى تجعل نشاطات المنظمة بمجملها تابعة للخيار الاستراتيجي بين التميز أو الكلفة المنخفضة اما الثانية فتركز نشاطات المنظمة بمجملها للسعي وراء التفرد والكلفة المنخفضة.

ثانيا: أهمية إيجاد المحيطات الزرقاء

هناك عدة قوى تكمن وراء ارتفاع حتمية إيجاد المحيطات الزرقاء، فالتقدم التكنولوجي المتسارع قد حسن بشكل كبير من الإنتاجية وسمح للمجهزين بتقديم مجموعة غير مسبوقة من المنتجات والخدمات وبهذا كان نتيجة زيادة إعداد الصناعات وأضحى العرض يفوق الطلب ، وكما ان الاتجاه نحو العولمة يفاقم الوضع إذ نتيجة لإزالة الحواجز التجارية بين الدول والمناطق وتوافر المعلومات عن المنتجات وأسعارها وزوال الأسواق المتخصصة وملاذات الاحتكار قد أدى إلى تكدس المنتجات مما اثار حرب الأسعار وتقليص هوامش الارباح، فضلا عن صعوبة التمييز بين العلامات التجارية في الصناعات المكتظة بالمنافسين . جميع هذه العوامل تشير إلى إن بيئة الإعمال التي سادت في القرن العشرين وتطورت فيها اغلب النماذج الإستراتيجية ستختفي كمحيطات حمراء تشهد منافسة شديدة، وان إدارة المنظمات ستحتاج إلى إن تكون أكثر اهتماما بالمحيطات الزرقاء أكثر من إي وقت مضى (Kim & Mauborgne, 2005B:21). فالمنظمات القائدة في الغد ستنجح ليس من خلال مواجهة المنافسين بل من خلال القيام بتحركات إستراتيجية تبتدع القيمة وتوفر عروض جديدة توفر قيمة أكبر للزبون وفي ذات الوقت تخفض التكاليف (Hollenswn,2013:25). إذ وجد (Kim & Mauborgne ,2005B:7) في دراسة أجراها على مبادرات الإعمال الجديدة في (108) منظمة بان (86%) من مبادرات الإعمال في تلك المنظمات كانت تتركز على توسيع خطوط الإنتاج القائمة إي إجراء تحسينات تدريجية في المساحات السوقية القائمة (المحيطات الحمراء) وقد حققت (62%) من إجمالي الإيرادات و (39%) من إجمالي الإرباح. إما المتبقي من مبادرات الإعمال الجديدة في تلك المنظمات والذي يشكل (14%) فقد خصصت لخلق مساحات سوقية جديدة (المحيطات الزرقاء) والتي وجد أنها تحقق (38%) من إجمالي الإيرادات و (61%) من إجمالي الإرباح، وبالنظر إلى هذه النتائج التي شملت الاستثمارات الكلية المخصصة لتوسيع المحيطات الحمراء وإيجاد المحيطات الزرقاء فان منافع الأداء من إيجاد هذه الأخيرة تبدو واضحة.

ثالثا: إلية ابتكار المحيطات الزرقاء

طور (Kim & Mauborgon,2005B:24-36) مجموعة من الأدوات والأطر التحليلية لجعل صياغة وتنفيذ إستراتيجية المحيط الأزرق عملية منهجية وقابلة للتنفيذ، هذه الأدوات والأطر قد ساعدت في ردم الفجوة المعرفية في الإدارة

الإستراتيجية بشأن ابتكار تتمثل هذه الأدوات في ثلاثة نماذج يكمل أحدها الآخر وكالاتي:

١. نسيج الاستراتيجية (strategic canvas) الذي يمثل أداة تشخيصية وإطار عمل لبناء استراتيجية محيط ازرق مقنعة ، وهو يؤدي غرضين **الأول** يتمثل في انه يساعد في التعرف على حالة المنافسة السائدة في المساحات السوقية القائمة وهو ما يساعد المنظمة في فهم وتحديد أين يستثمر المنافسون ، أي العوامل التي تتنافس على أساسها الصناعة ، **والغرض الثاني** يتمثل في تحديد ما يحصل عليه الزبائن من قيمة نتيجة العروض التنافسية الحالية في السوق والشكل (٢) يوضح ذلك ، فالمحور الأفقي يمثل العوامل التي تتنافس وتستثمر فيها الصناعة والمحور العمودي يمثل مستوى العروض التي تلقاها الزبون بشان جميع هذه العوامل ، إن الدرجة العالية تعني إن المنظمة تعرض قيمة للزبون بمقدار اكبر وهي تستثمر بشكل اكبر في ذلك العامل ، وبعبارة أخرى بعد إن تتمكن المنظمة من تحديد عامل كل محور بإمكانها ان تحدد منحنى القيمة (value curve) الذي يعد أساسي في نسيج الإستراتيجية فهو تمثيل بياني لدرجة الأداء النسبي للمنظمة إزاء اللاعبين الآخرين في ذات الصناعة عن كل عامل يتم دراسته أو أخذه بالاعتبار.

٢. ألان ومن اجل وضع المنظمة في مسار مربح وقوي في مواجهة ظروف الصناعة ، فانها لا تقوم بأجراء المقارنات المرجعية مع المنافسين ومحاولة تجاوزهم فهذه التحركات قد تؤدي لرفع المبيعات قليلا لكن سيكون من الصعب توجيه المنظمة لفتح مساحات سوقية غير مطروقة ، بل ينبغي على المنظمة إعادة توجيه اتجاهها الاستراتيجي من المنافسة إلى بدائل أخرى ومن الزبائن الحاليين إلى الزبائن غير الموجودين حاليا في هذه الصناعة ، فمن اجل إن تحقق المنظمة كلا من القيمة والكلفة المنخفضة لا بد إن ترفض المنطق القديم المتمثل بالمقارنة المرجعية مع المنافسين والاختيار بين التمييز أو الكلفة المنخفضة، فحالما تغيير المنظمة توجهها الاستراتيجي فان بإمكانها الحصول على نظرة ثاقبة لكيفية إعادة تحديد المشكلات التي تركز عليها الصناعة وهكذا يمكنها إعادة بناء عناصر القيمة للزبون الموجودة في عموم الصناعة بينما المنطق الاستراتيجي التقليدي يدفع المنظمة لتقديم حلول أفضل من المنافسين للمشكلات التي حددتها الصناعة.

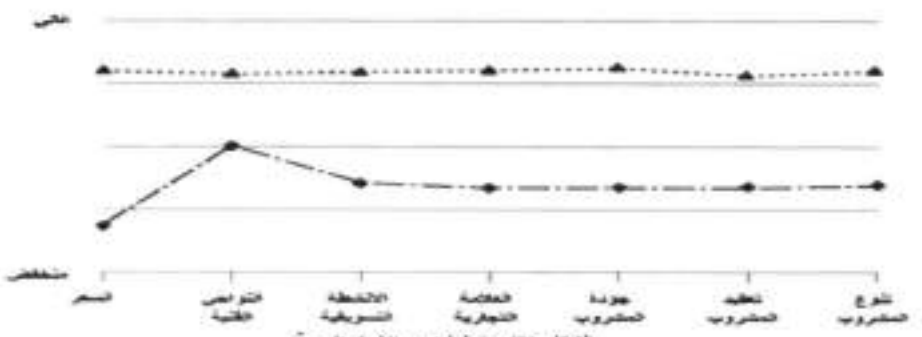

الشكل (2) مخطط نسج الاستراتيجية

Kim, Chan & Mauborgne, Renee (2005B) blue ocean strategy: how to create uncontested market space and make the competition irrelevant, Harvard business school press, 26

٣. لأجل إعادة بناء عناصر قيمة الزبون عبر صياغة منحنى قيمة جديد، طور (Kim & Mauborgne ,2004:29) إطار التحركات الأربعة الشكل (٣) لتجاوز منطق المفاضلة بين التمييز والكلفة المنخفضة وإنشاء منحنى قيمة جديد، وهناك أربعة تساؤلات رئيسة لتحدي المنطق الاستراتيجي للصناعة وأنموذج الإعمال تتمثل بما هي العناصر التي يمكن تقليصها لتقليل تكاليفها عن المستوى الحالي للصناعة؟ وما هي العناصر التي يمكن تقليصها لتقليل تكاليفها عن المستوى الحالي للصناعة؟ وما هي العناصر التي يمكن زيادتها لتتجاوز المعيار الحالي للصناعة؟ وما هي العناصر التي يمكن ابتكارها ولم تقدمها الصناعة القائمة قبل ألان؟ التساؤل الأول يجبر المدراء على الأخذ بالاعتبار تقليص العوامل التي تنافست على أساسها المنظمات القائمة في الصناعة الحالية ، إما التساؤل الثاني فيدفع ويوجه المدراء في أي مجال من المجالات يخدم الزبون ، السؤال الثالث يدفع المدراء لاكتشاف التنازلات التي يجبر الزبون على أدائها ، والتساؤل الرابع يساعد المدراء على اكتشاف مصدر جديد كليا للقيمة وإيجاد طلب جديد ، ومن خلال التساؤلين الأول والثاني (التقليص والاستبعاد) يكسب المدراء نظرة ثاقبة عن كيفية تقليص هيكل الكلفة مقارنة بالمنافسين ، بينما التساؤلين الثالث والرابع (الرفع والإيجاد) توفر للمديرين نظرة ثاقبة عن كيفية رفع القيمة للزبون وإيجاد طلب جديد ، إما هذه التساؤلات بشكل مجتمع تساعد المدراء على الاستكشاف المنهجي لكيفية إعادة بناء عناصر قيمة الزبون (Levavy,2005:16)

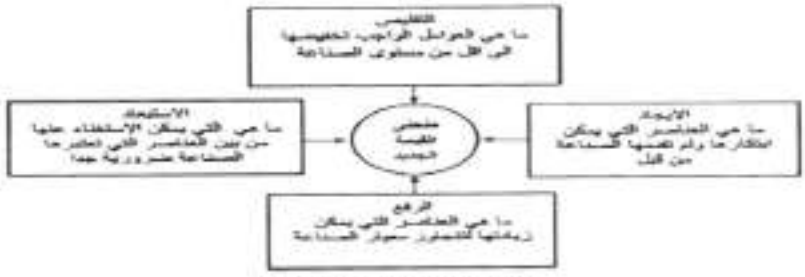

الشكل (3) إطار التحركات الأربعة

Kim, Chan &Mauborgne, Renee (2005B) blue ocean strategy: how to create uncontested market space and make the competition irrelevant, Harvard business school press, 29

٤.وأخيرا من اجل إيجاد المحيطات الزرقاء فان هناك أداة أساسية تمثل تحليل تكميلي لإطار التحركات الأربعة تسمى مصفوفة التقليص، الإيجاد، الرفع، الاستبعاد يوضحها الشكل (٤) إذ تدفع المصفوفة المنظمة ليس لطرح التساؤلات الأربعة بل فضلا عن ذلك العمل في ضوئها جميعا لإنشاء منحنى قيمة جديد، إذ من خلال توجه المنظمة لملىء المصفوفة في ضوء تحركات التقليص والاستبعاد والرفع والإيجاد فان المصفوفة ستحقق للمنظمة فوائد أربع تتمثل في دفع المنظمة لتحقق بشكل إني كلا من التمييز والكلفة المخفضة واستبعاد المفاضلة بين الكلفة والقيمة، وتنبه بشكل مباشر المنظمة التي تركز فقط على الرفع والإيجاد مما يؤدي إلى رفع هيكل تكاليفها والتي غالبا ما تكون على إعادة هندسة المنتجات، ومن السهولة فهمها من قبل المدراء في كل المستويات وهو ما يولد مستويات عالية من المشاركة في تنفيذها، وكما انها تدفع المنظمة إلى فحص دقيق لكل عامل تتنافس على أساسه وبما يجعلها تكتشف مجموعة واسعة من الافتراضات التي تضعها بشكل غير واقعي في المنافسة

الشكل (4) مصفوفة التقليص، الإيجاد، الرفع، الاستبعاد

Kim, Chan &Mauborgne, Renee (2005B) blue ocean strategy: how to create uncontested market space and make the competition irrelevant, Harvard business school press, 35

المحور الثالث
استراتيجيات الدخول والخروج من السوق: مفاهيم أساسية

أولا: مفهوم استراتيجية الدخول للسوق

يشير(Lieberman &Montgomery, 1988:50) إلى أن واحدة من المشكلات الأساسية فيما يتعلق بمفهوم الداخل الأول للسوق تتمثل في تحديد مفهومه. إذ جذب مفهوم "ميزة الداخل الأول للسوق الذي ظهر لأول مرة في (1980) اهتمام باحثي الإدارة، للبحث عن نظرية قائمة على تفسيرات لأسباب كسب الداخل الأول للأسواق إرباح تتجاوز تكلفة رأس المال، فذلك المفهوم قد تطور ليس من خلال الرؤى النظرية بل من الأدلة العملية التي أظهرت بان الأداء التنافسي للداخل الأول للسوق يميل إلى أن يكون أفضل من أداء الداخلين في وقت لاحق (Suarez and Lanzolla,2007:37). ويمكن ببساطة تعريف ميزة الداخل الأول للسوق بأنها قدرة المنظمة على أن تكون أفضل حالا من منافسيها نتيجة لكونها الداخل الأول في السوق في فئة المنتجات الجديدة (Suarez and Lanzolla, 2005:122).

ثانيا: أهمية ميزة الداخل الأول للسوق

يعد توقيت الدخول لسوق جديد من القضايا الاستراتيجية المهمة للمنظمة (Isobe et al, 2000:470). كونه مهم للنجاح (Li et al, 2003:626). فهو يؤدي لتحقيق العديد من المزايا التنافسية، منها ان تلك العلامات التجارية التي تدخل مبكرا للسوق ستمتلك ميزت الطلب العالي مقارنة بالعلامات التي ستدخل لاحقا لكون تفضيلات الزبائن قد بقت مركزة على العلامات التي دخلت مبكرا وادت بشكل ناجح (Schmalensee,1982:4). وكما ان الداخل الأول للسوق هو سيمتلك احتمالية تعلم واسع مقارنة بمنافسيه وهكذا ستكون له فرصة أفضل في الوصول للفرص (Glazer, 1985:474). واستخدام مواد أولية لتطوير أفكار أكثر تقدما (Patterson, 1993: 760). والتأسيس للتفرد في السوق، وإنشاء قنوات التوزيع الخاصة، وتحديد معايير التكنولوجيا الجديدة، وتأمين براءات الاختراع، والسيطرة على الموارد النادرة الحاسمة للنجاح في المنافسة (Kerin et al,1992:35). وكما يمكن ان تنجم الميزة التنافسية عن كون المنظمة هي أول من ترى الفرص في السوق (Anderson & Engers, 1994:834). والهيمنة على فئة المنتجات الجديدة، ومنذ وقت مبكر للسوق حتى فترة متقدمة من النضج (Suarez and Lanzolla, 2005:122). اذ سيتمتع أول الداخلين بمزايا الأداء المتميز هذه أكثر من الداخلين في وقت لاحق (Suarez and Lanzolla,

(2005:378. وذلك لاستباقه المنافسين ومنعهم من الوصول إلى المساحات السوقية القيمة، وتحقيق اقتصاديات الحجم، والاستفادة من براءات اختراع الابتكارات، وتحقيق مزايا التكلفة المستمدة من التعلم والغموض السببي والمعرفة والممارسات التي لا يمكن تقليدها (Suarez & Lanzolla,2007:379).

ثالثا: استراتيجيات الدخول والخروج من السوق وفقا (محسن والنجار،159:2012)

١. **الدخول والخروج المبكر:** وتفضل من قبل المنظمات المبدعة وذلك من خلال تقديم منتجات جديدة لدخول السوق بهدف تحقيق ميزة تنافسية وتتفوق به على المنافسين. ولكنها تتخلى عنه عندما يصل مرحلة النضج ويبدأ هامش الربح بالانخفاض فتقوم بتقديم منتج جديد بدلا عنه.

٢. **الدخول المبكر والخروج المتأخر:** وهنا تقدم المنظمة المنتج الجديد إلى السوق لأول مرة وتبقى معه حتى انتهاء دورة حياته. ويتطلب من العمليات وجود نظام إنتاج مرن قادر على التحول من نظام إنتاج بكميات صغيرة لمنتجات متنوعة إلى نظام إنتاج ينتج كميات كبيرة بكلف واطئة لمنتج نمطي.

٣. **الدخول والخروج المتأخر:** وعادة ما تتبناها المنظمات التي تنتظر أو تقلد المنظمات المبدعة والمتميزة بحرصها بتقديم منتجات جديدة. وبعد ان يصبح واضحا بان للمنتج سوقا مهمة وانه سيحقق كميات كبيرة من المبيعات تدخل المنظمات المنتظرة إلى السوق باعتماد سياسات التسعير الاجهاضي أو الوقائي (Preemptive Pricing) إي تخفيض السعر إلى ادنى من أسعار المنافسين لضمان تحقيق مبيعات أكبر ولبلوغ تكاليف منخفضة للوحدة الواحدة.

المحور الرابع
الميزة التنافسية: مفاهيم أساسية

أولا: مفهوم الميزة التنافسية

لقد شغل مفهوم الميزة التنافسية مكانه مهمة في كل من حقلي الإدارة الإستراتيجية ونظرية المنظمة (Betlis & Hitt 2000: 7). وعلى الرغم من كثرة الأدبيات والجهود البحثية التي تناولته، فانه من المثير للانتباه بأنها لم تقدم إي تعريف واضح لها (Arend,2003:280). اذ وجد (Sigalas & Pekka Economou 2013:62,) إن هناك معاني متعددة للميزة التنافسية ولا يوجد اتفاق على تعريف

واضح ومحدد ولا لبس فيه لها، لذلك سعى الباحثان إلى استعراض وجهات نظر متعدد بشأن تعريف الميزة التنافسية اذ يعرفها (Pitts & Lei ,1996 :68) بانها استغلال المنظمة لنقاط قوتها الداخلية في أداء الأنشطة الخاصة بها بحيث تخلق قيمة لا يستطيع بقية المنافسين تحقيقها في أدائهم لأنشطتهم. اي انها قدرة المنظمة على الأداء بطرائق من الصعب على المنافسين تقليدها (Kotler,1997:53) ووصفت بانها قدرة المنظمة على التفوق في صناعتها لكسب معدل إرباح اعلى من معيار الصناعة (Besanko et al,2000:62). وهي الربح المستديم لتطبيق إستراتيجية فريدة من نوعها، تخلق القيمة بحيث لا تكون مطبقة من قبل إي من المنافسين الحاليين أو المحتملين في الوقت الذي لا يستطيع المنافسين تقليدها (Hoffman,2000:11). وكما تمثل خاصية أو مجموعة خصائص تنفرد بها المنظمة وتحتفظ بها لفترة زمنية طويلة نسبية نتيجة صعوبة محاكاتها، وتحقق المنفعة للمنظمة وتمكنها من التفوق على المنافسين فيما تقدمه من منتجات للزبائن (Macmillan & Tampoe ,2001:81).

تعد الميزة التنافسية السلاح الأساس لمواجهة تحديات السوق والمنظمات المناظرة، وذلك عبر قيام المنظمة بتنمية معرفتها التنافسية ومقدرتها على تلبية احتياجات الزبائن في المستقبل من خلال خلق التقنيات والمهارات بصورة مقدرات تمكنها من التكييف للفرص المتغيرة بشكل مربح (White,1997:625). وهي معيار لتحديد المنظمات الناجحة تلك التي تتميز بإيجاد نماذج جديدة متفردة يصعب تقليدها لأنها متيقنة من إن النماذج القديمة قد أصبحت معروفة وان المنافسين على علم كامل بها (Macmillan &Tampoe, 2001:89). وكما تمثل مؤشرا ايجابيا نحو توجه المنظمة لاحتلال موقع قوي في السوق، من خلال حصولها على حصة سوقية أكبر من منافسيها، وبما يعني انه سيكون لها زبائن أكثر رضا وولاءً قياسا بالمنافسين، كما يجعل زبائنها اقل تعرضا لهجمات عروض هؤلاء المنافسين من جهة وزيادة حجم المبيعات والإرباح كم جهة أخرى (Hill & Jone,2001:209) وتحديد مدى توفر عناصر النجاح الأساسية مقارنة بالمنافسين (محسن والدعمي،46:2012).

ثانيا: ابعاد الميزة التنافسية

١. **الكلفة:** تعد الكلفة البعد التنافسي الأول الذي تسعى المنظمات إلى تحقيقه من اجل تسويق منتجاتها بسعر اقل من المنافسين والحصول على أكبر قدر ممكن من الإرباح (السيد،2000 :105). ويقصد بها إن يكون هناك تناسب بين الكلفة المترتبة على تقديم هذه المنتجات مع المواصفات الموجودة فيها (Dilworth, 1992, 50).

فالمنظمة التي تجعل كلفتها في ادنى مستوى سوف تمتلك اليد العليا في السوق وتكون في موقع جيد يتيح لها القدرة على السيطرة على السوق ولها القدرة على ردع الداخلين الجدد (الحسيني وآخرون،2013:1323).

٢. **الجودة**: تسعى المنظمات إلى تقديم منتجات ذات جودة عالية لا يمكن للمنظمات الأخرى مجاراتها، وذلك من خلال إضافة خصائص فريدة للمنتج تكون ذات قيمة للزبون وتمنحه جاذبية تنافسية (Best, 1997:159). وتتحقق الجودة من خلال بعدين هما جودة التصميم التي تعني ملاءمة خصائص تصميم المنتج للوظيفة (Adam & Epert, 1996:47)) وجودة المطابقة وتعني قدرة المنظمة على تحويل المدخلات إلى مخرجات مطابقة أو منسجمة مع خصائص التصميم (Hill, 1993:35). ويضيف (الحسيني وآخرون ،2013:1323) إن جودة الخدمة المتوافقة مع رغبات الزبائن وحاجاتهم للمنفعة ساعدت المنظمات على تحسين قدرتها التنافسية في السوق من خلال تقليل التكاليف ورفع إمكانية وضع سعر أعلى للجودة العالية.

٣. **المرونة**: أصبحت المرونة من أهم الإبعاد التنافسية بعد إن زادت رغبات الزبائن في التغير والتنويع وكذلك حاجاتهم لوسائل الإشباع، فالمرونة تعرف بأنها القدرة على تكييف الطاقة الإنتاجية للتغيرات الحاصلة في البيئة وعمليات الطلب، وتتضمن مرونة المنتج وتعني القدرة على مسايرة التغيرات في أذواق والحاجات المنفردة لكل زبون وذلك من خلال إجراء تغييرات في تصميم المنتجات المقدمة، ومرونة الحجم التي تعني قدرة المنظمة على الاستجابة للتغير في مستويات الطلب (Slack et al, 1998, 59).

٤. **التسليم**: يقصد به قدرة المنظمة على تقليل الوقت الخاص بتسليم المنتجات من خلال الفرق بين تلقي طلبيه الزبون وتلبيتها ويعبر عنها **باعتمادية التسليم** المقصود بها مدى التزام المنظمة بمواعيد التسليم المتفق عليها مع الزبون، **وسرعة التطوير** وتحسب من بداية ولادة الأفكار الخاصة بالمنتجات وحتى تحقيقها التصميم النهائي والإنتاج (الحسيني وآخرون،2013:1323).

٥. **الإبداع**: وهو المقدرات الاستراتيجية التي تؤهل المنظمة لتطوير منتجات وخدمات جديدة وعمليات وتكنولوجيا جديدة تستهدف من خلالها تحقيق مخرجات ذات جاذبية تنافسية ومواصفات عالية، إذ تسهم هذه الإبداعات في فتح أسواق جديدة

للمنظمات وتزيد من حصتها السوقية وربحيتها، وان المنظمات التي تستطيع إن تكسب مزايا الإبداع في مجال تطوير منتجات وعمليات جديدة أسرع من المنافسين يمكنها تحقيق ميزة تنافسية (الفضل وغدير،244:2012)

المحور الخامس
تشخيص وتحليل ابعاد أنموذج البحث

أولا: تشخيص وتحليل ابعاد استراتيجية المحيط الأزرق

يظهر الجدول (1) الوسط الحسابي، والانحراف المعياري، ومعامل الاختلاف والوزن المئوي والأهمية النسبية حول الإبعاد الفرعية لإستراتيجية المحيط الأزرق، ويتضح بان الوسط الحسابي الموزون العام لإجمالي استراتيجية المحيط الأزرق بلغ (3.68) وهو أعلى من الوسط الفرضي يؤكد توظيف المصارف عينة البحث لإستراتيجية المحيط الأزرق وان كان بشكل غير معلن، ووزن مئوي بلغ (0.74) وهو يؤشر وجود وضوح وإدراك لأهمية هذا البعد من قبل إفراد العينة المبحوثة وبانسجام عالي في الإجابات يؤكده الانحراف المعياري (0.91)، ومعامل الاختلاف (0.23) أما على مستوى الإبعاد الفرعية فكانت النتائج كالاتي:

1- إيجاد مساحات سوقية غير مطروقة: يتضح من نتائج الجدول (1) بان هذا البعد قد حقق وسطا حسابيا موزونا عاما بلغ (3.63) وبتشتت قليل إذ بلغ الانحراف المعياري (0.92) ومعامل اختلاف (0.25) ووزن مئوي (0.72) يؤكد اتفاق إفراد العينة المبحوثة حول مضمون هذا البعد فضلا عن تأشيره سعي المصرف المبحوث للدخول في أسواق جديدة وتوسيع عملياتها وتعديلها وفقا للظروف واستثمار مواردها بشكل أكثر فاعلية.

2- إيجاد طلب جديد والاستحواذ عليه: يوضح الجدول (1) بان الوسط الحسابي الموزون لهذا البعد فوق الوسط المعياري ويميل للارتفاع بلغ (3.65) وبتشتت معقول إذ كان الانحراف المعياري ومعامل الاختلاف العام (0.82)،(0.22) على التوالي ووزن مئوي (0.73) وهذا دليل على تجانس إجابات إفراد العينة، وبناءً على ما تقدم يتضح بان المصرف المبحوث يبحث عن أفكار لخدمات جديدة وهو لا يكتفي بالزبائن الحاليين بل يسعى إلى جذب زبائن جدد ويمتلك تصور عن حاجات الزبائن من خلال إصغائه لصوت الزبون بهدف تطوير خدماته.

3- **السعي وراء التفرد والكلفة المخفضة:** يعكس الجدول (1) بان الوسط الحسابي الموزون لهذا البعد فوق الوسط المعياري يميل للارتفاع بلغ (3.67)، وهو ما يؤكد حالة من الانسجام والتكامل يؤكد ذلك الانحراف المعياري ومعامل الاختلاف البالغين (0.96)، (0.26) على التوالي ووزن مئوي بلغ (0.73) يشير إلى سعي

دؤوب من قبل المصرف المبحوث لتقديم خدمات تتسم بانخفاض الكلفة وارتفاع القيمة المقدمة للزبون فضلا عن السعي للتميز عن المنافسين وتكوين صورة ذهنية محببة حول خدماته المقدمة.

4- **جعل المنافسة أمر غير مطروح**: يظهر الجدول (1) ان قيمة الوسط الحسابي الموزون البالغة (3.75) هي أعلى من الوسط المعياري وبتشتت معقول في الإجابة يعكسه الانحراف المعياري ومعامل الاختلاف العامين البالغين (0.94)،(0.25) على التوالي ووزن منوي بلغ (0.75) يؤكد اتفاق إفراد العينة المبحوثة حول مضمون هذا البعد فضلا عن إشارته إلى إن المصرف المبحوث يسعى لتجنب المنافسة المباشرة لذلك فهو يدرس الأسواق لإيجاد أهداف جديدة وتحديد تلك الأسواق التي لم تصلها المنافسة بعد وتلبية حاجات الزبائن التي لم يتم تلبيتها.

الجدول (1) قيم الوسط الحسابي والانحراف المعياري ومعامل الاختلاف والوزن المئوي والأهمية النسبية لإستراتيجية المحيط الأزرق

إبعاد إستراتيجية المحيط الأزرق	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	معامل الاختلاف	الوزن المئوي	الأهمية النسبية
إيجاد مساحات سوقية غير مطروقة	3.63	0.92	0.25	%72	الخامس
إيجاد طلب جديد والاستحواذ عليه	3.65	0.82	0.22	%73	الثالث
السعي وراء التفرد والكلفة المنخفضة	3.67	0.96	0.26	%73	الرابع
جعل المنافسة أمر غير مطروح	3.75	0.94	0.25	%75	الأول
إجمالي إستراتيجية المحيط الأزرق	3.68	0.91	0.23	%74	الثاني

ثانيا: تشخيص وتحليل استراتيجيات الدخول والخروج من السوق

يعكس الجدول (2) النتائج حول استراتيجيات الدخول والخروج من السوق التي حققت وسطاً حسابياً موزوناً إجمالياً بلغ (2.34) وهو ادنى من الوسط المعياري، إما الانحراف المعياري ومعامل الاختلاف الإجماليين فكانا على التوالي (0.89)، (0.38)، ووزن منوي بلغ (0.59) وهي نتيجة تبدو طبيعية وتؤكد ما لاحظه الباحثان من تأكيد المصرف المبحوث على إتباع إستراتيجية الدخول والخروج المبكر من السوق كونه يمتلك نظام عمليات يتكيف بسهولة مع تغير الخدمات وتقديم خدمات تتسم بالزبونية العالية وعزوفه عن إتباع الإستراتيجيات المتبقية للدخول والخروج من السوق كونها تتضمن شكل من إشكال المنافسة المباشرة وهو أمر غير محبذ من قبل المصرف وكانت النتائج كالآتي:

1- **إستراتيجية الدخول المبكر والخروج المبكر من السوق**: حقق هذا العنصر وسطاً حسابياً موزوناً عاما بلغ (3.57) وبانحراف معياري ومعامل اختلاف عامين بلغا (0.83)، (0.23) على التوالي ووزن منوي بلغ (0.89) بما يعني أن هناك انسجام في إجابات افراد العينة على مضمون البعد، وإتباع المصرف المبحوث لإستراتيجية الدخول والخروج المبكر من السوق.

2- **إستراتيجية الدخول والخروج المتأخر من السوق:** يتبين من الجدول (2) إن الوسط الحسابي العام لهذا البعد اقل من الوسط المعياري بلغ (1.73) وانحراف معياري ومعامل اختلاف عامين له (0.66)، (0.38) على التوالي ووزن منوي بلغ (0.43) وهي نتائج تؤكد عزوف المصرف عن إتباع هكذا إستراتيجية فهو لا يسعى إلى المنافسة المباشرة مع المنافسين بل يسعى إلى التميز والتفرد عبر تقديم كل ما هو جديد من الخدمات التي تواكب متطلبات الزبون وبيئة الاعمال وهو أمر لا يمكن تحقيقه عن طريق إتباع هذه الإستراتيجية.

3-**إستراتيجية الدخول المبكر والخروج المتأخر من السوق:** يتبين من الجدول (٢) بان هذا البعد سجل وسطاً حسابيا موزوناً عاما بلغ (1.72) وانحراف معياري ومعامل اختلاف عامين بلغا (0.68)، (0.39) بما يعني إن هناك انسجام في إجابات إفراد العينة على مضمون هذه المقدرة.

الجدول (2) قيم الوسط الحسابي والانحراف المعياري ومعامل الاختلاف والوزن المنوي والأهمية النسبية لاستراتيجيات الدخول والخروج من السوق

استراتيجيات الدخول والخروج من السوق	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	معامل الاختلاف	الوزن المنوي	الأهمية النسبية
الدخول والخروج المبكر من السوق	3.57	0.83	0.23	%89	الأول
الدخول والخروج المتأخر من السوق	1.73	0.66	0.38	%43	الثالث
الدخول المبكر والخروج المتأخر من السوق	1.72	0.68	0.39	%43	الرابع
إجمالي استراتيجيات الدخول والخروج من السوق	2.34	0.89	0.38	%59	الثاني

ثالثا: تشخيص وتحليل ابعاد الميزة التنافسية

يظهر الجدول (٣) الأوساط الحسابية، والانحرافات المعيارية، ومعاملات الاختلاف والأوزان المنوية والأهمية النسبية لإبعاد الميزة التنافسية، ويعكس الجدول وسطا حسابيا موزونا إجماليا حول الوسط المعياري والبالغ (3.40)، ويشير الانحراف المعياري ومعامل الاختلاف الإجماليين البالغان (0.85) (0.25) على التوالي إلى الانسجام المقبول في الإجابة يؤكده الوزن المنوي البالغ (0.57) وقد شمل هذا البعد خمسة إبعاد هي كالاتي:-

١. **الكلفة:** يعكس الجدول (٣) بان الوسط الحسابي الموزون العام لبعد الكلفة فوق الوسط المعياري بقليل بقيمة (3.28) وبانسجام مقبول في الإجابات، إذ بلغت قيمة الانحراف المعياري العام (0.89) ومعامل اختلاف قيمته (0.27) ويؤشر الوزن المنوي البالغ (0.55) نسبة اتفاق بين إفراد العينة تجاه سعي المصرف لتخفيض التكاليف وتقديم خدماته بأسعار اقل مقارنة بالمنافسين.

٢. **الجودة:** يظهر الجدول (٣) أن مستوى جودة الخدمات التي يقدمه المصرف المبحوث متوسط إذ كانت قيمة الوسط الحسابي العام (3.44) وبانسجام مقبول

بالإجابات إذ بلغت قيمة الانحراف المعياري العام (0.83) ومعامل اختلاف (0.24) ويؤشر الوزن المئوي البالغ (0.57) إن المصرف المبحوث يعمل وفق سياسة جودة مفهومة وواضحة لدى الجميع وفقاً لتوقعات ورغبات زبائنه فضلا عن سعيه لمطابقة مواصفات خدماته المقدمة وفقا للمواصفات الخدمات المقدمة من قبل المصارف العالمية والمتميزة بالجودة العالية.

٣. **المرونة:** حقق هذا البعد وسطا حسابيا موزونا فوق الوسط المعياري بلغ (3.35) وبانسجام مقبول في الإجابات، إذ بلغت قيمة الانحراف المعياري العام (0.80) ومعامل اختلاف (0.24) إما الوزن المئوي البالغ (0.56) فيؤكد اتفاق إفراد العينة تجاه تميز المصرف بامتلاك موظفين ذي مهارات متنوعة تمكنهم من أداء أكثر من خدمة مصرفية فضلا عن قدرة المصرف على تقديم خدمات تتصف بدرجة عالية من تنوع وفقا طلبات زبائنه.

٤. **التسليم:** يتبين من الجدول (٣) إن هذا البعد قد حقق وسطاً حسابياً موزوناً عاماً فوق الوسط المعياري بلغ (3.33)، وبانسجام مقبول في الإجابات، إذ بلغت قيمة الانحراف المعياري العام (0.83) ومعامل اختلاف (0.25) ويؤكد الوزن المئوي البالغ (0.55) اتفاق افراد العينة بشأن مضمون هذا البعد فضلا عن تأكيد امتلاك المصرف الوقت والسرعة في تسليم الخدمات لزبائنه، والإمكانية عالية في سرعة تطوير الخدمات الجديدة استجابة للتغيرات التي تحدث في السوق.

٥. **الإبداع:** حقق هذا البعد وسطا حسابيا موزونا عاماً فوق الوسط المعياري بلغ (3.43) وبانسجام مقبول في الإجابات، إذ بلغت قيمة الانحراف المعياري العام (0.90) ومعامل اختلاف (0.25) إما الوزن المئوي البالغ (0.57) فيدل على تجانس إجابات العينة المبحوثة فضلا عن إشارته إلى سعي المصرف إلى دعم مستوى الإبداع لدى الموظفين لغرض تطوير وتحسين مستوى أدائه وتأكيده على امتلاك خاصية الإبداع وجعلها أسبقية تنافسية

الجدول (3) قيم الوسط الحسابي والانحراف المعياري ومعامل الاختلاف والوزن المئوي والأهمية النسبية لإبعاد الميزة التنافسية

إبعاد الميزة التنافسية	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	معامل الاختلاف	الوزن المئوي	الأهمية النسبية
الكلفة	3.28	0.89	0.27	%55	السادس
الجودة	3.44	0.83	0.24	%57	الأول
المرونة	3.35	0.80	0.24	%56	الرابع
التسليم	3.33	0.83	0.25	%55	الخامس
الإبداع	3.43	0.90	0.26	%57	الثاني
إجمالي الميزة التنافسية	3.40	0.85	0.25	%57	الثالث

المحور السادس
اختبار العلاقات والتأثير بين أبعاد البحث

يهدف هذا المحور انطلاقا من مصفوفة معاملات ارتباط (Spearman) إلى اختبار طبيعة العلاقات المتوقعة بين متغيرات البحث انطلاقا من فرضيات أنموذج الارتباط عبر مقارنة (T) المحسوبة بقيمة (T) الجدولية تحت مستوى معنوية (0.05) أو (0.01) ، فضلا عن اختبار فرضيات التأثير بين متغيرات البحث باستخدام نموذج الانحدار الخطي البسيط ، وقد اعتمد الباحثان المستويين الفردي والإجمالي لمعرفة معنوية التأثير لكل متغير فرعي من المتغيرات التفسيرية في كل متغير فرعي من المتغير المستجيب ، عبر مقارنة (F) المحسوبة بقيمة (F) الجدولية تحت ذات المستوى من المعنوية ، إما عن قبول الفرضية أو رفضها فيتم من خلال حساب عدد النماذج المعنوية كنسبة من أصل جميع النماذج فإذا حققت أكثر من (50%) تقبل الفرضية ، إما إذا كانت النماذج المعنوية اقل من هذه النسبة ترفض الفرضية ، وكالاتي:

أولا: العلاقة بين استراتيجية المحيط الأزرق واستراتيجيات الدخول والخروج من السوق

انطلقت الفرضية الرئيسة الأولى من توقع (تتلاءم استراتيجية المحيط الأزرق مع استراتيجية الدخول والخروج المبكر من السوق) والفرضية الرئيسة الثانية (لا تتلائم إستراتيجية المحيط الأزرق مع استراتيجية الدخول المبكر والخروج المتأخر من السوق) والفرضية الرئيسة الثالثة (لا تتلاءم استراتيجية المحيط الأزرق مع استراتيجية الدخول والخروج المتأخر من السوق) ويتفرع منها خمس فرضيات فرعية لتدقيق العلاقات التي يعرضها الجدول (٤) المعبر عن مصفوفة الارتباط بين المتغيرين لخلق الوضوح حول توفر النتائج لدعم الفرضيات من عدمه وإذا ما دعمت الفرضيات تحديد نسبة الدعم لها ، وكانت النتائج في الجدول كالأتي:

١. ظهر بان قيمة معامل الارتباط بين إيجاد مساحات سوقية غير مطروقة بوصفها أحد إبعاد إستراتيجية المحيط الأزرق وإستراتيجية الدخول والخروج المبكر من السوق هي (0.50) وهي معنوية عند مستوى معنوية (0.01) وهي نتيجة تسمح بقبول الفرضية الفرعية الأولى من الرئيسة الأولى التي نصت (يتلائم إيجاد مساحات سوقية غير مطروقة مع إستراتيجية الدخول والخروج المبكر من السوق). بينما كانت قيمة معامل الارتباط بين إيجاد مساحات سوقية غير مطروقة وإستراتيجية الدخول المبكر والخروج المتأخر بمقدار (0.14) وهي غير معنوية وتدل على صحة الفرضية الفرعية الأولى من الرئيسة الثانية التي نصت (لا يتلاءم

إيجاد مساحات سوقية غير مطروقة مع إستراتيجية الدخول المبكر والخروج المتأخر من السوق). وقد كانت قيمة معامل الارتباط بين خلق مساحات سوقية غير مطروقة وإستراتيجية الدخول والخروج المتأخر من السوق بقيمة (0.16-) وهي غير معنوية وتؤكد صحة الفرضية الفرعية الأولى من الرئيسة الثالثة التي نصت (لا يتلاءم إيجاد مساحات سوقية غير مطروقة مع إستراتيجية الدخول والخروج المتأخر من السوق).

٢. ظهر بان قيمة معامل الارتباط بين إيجاد طلب جديد والاستحواذ عليه بوصفه أحد إبعاد إستراتيجية المحيط الأزرق وإستراتيجية الدخول والخروج المبكر هي (0.45) وهي معنوية عند مستوى معنوية (0.01) وهي نتيجة تسمح بقبول الفرضية الفرعية الثانية من الرئيسة الأولى التي نصت (يتلاءم إيجاد طلب جديد والاستحواذ عليه مع إستراتيجية الدخول والخروج المبكر من السوق). بينما كانت قيمة معامل الارتباط بين إيجاد طلب جديد والاستحواذ عليه وإستراتيجية الدخول المبكر والخروج المتأخر بمقدار (0.19-) وهي غير معنوية وتدل على صحة الفرضية الفرعية الثانية من الرئيسة الثانية التي نصت (لا يتلاءم إيجاد طلب جديد والاستحواذ عليه مع استراتيجية الدخول المبكر والخروج المتأخر من السوق) من السوق وقد كانت قيمة معامل الارتباط بين إيجاد طلب جديد والاستحواذ عليه وإستراتيجية الدخول والخروج المتأخر من السوق بقيمة (0.20-) وهي غير معنوية وتؤكد صحة الفرضية الفرعية الثانية من الرئيسة الثالثة التي نصت (لا يتلاءم إيجاد طلب جديد والاستحواذ عليه مع استراتيجية الدخول والخروج المتأخر من السوق).

٣. ظهر بان قيمة معامل الارتباط بين السعي وراء التفرد والكلفة المخفضة بوصفه أحد إبعاد إستراتيجية المحيط الأزرق وإستراتيجية الدخول والخروج المبكر هي (0.46) وهي معنوية عند مستوى معنوية (0.01) وهي نتيجة تسمح بقبول الفرضية الفرعية الثالثة من الرئيسة الأولى التي نصت (يتلائم السعي وراء التفرد والكلفة المخفضة مع إستراتيجية الدخول والخروج المبكر من السوق). بينما كانت قيمة معامل الارتباط بين السعي وراء التفرد والكلفة المخفضة وإستراتيجية الدخول المبكر والخروج المتأخر بمقدار (0.08) وهي غير معنوية وتدل على صحة الفرضية الفرعية الثالثة من الرئيسة الثانية التي نصت (لا يتلاءم السعي وراء التفرد والكلفة المخفضة مع إستراتيجية الدخول المبكر والخروج المتأخر من السوق). وقد كانت قيمة معامل الارتباط بين السعي وراء التفرد والكلفة المخفضة وإستراتيجية الدخول والخروج المتأخر من السوق بقيمة (0.16-) وهي غير معنوية وتؤكد صحة الفرضية الفرعية الثالثة من الرئيسة الثالثة التي نصت (لا

يتلاءم السعي وراء التفرد والكلفة المخفضة مع إستراتيجية الدخول والخروج المتأخر من السوق).

٤. وجد بان قيمة معامل الارتباط بين جعل المنافسة أمر غير مطروح بوصفها أحد إبعاد إستراتيجية المحيط الأزرق وإستراتيجية الدخول والخروج المبكر هي (0.49) وهي معنوية عند مستوى معنوية (0.01) وهي نتيجة تسمح بقبول الفرضية الفرعية الرابعة من الرئيسة الأولى التي نصت (يتلائم جعل المنافسة أمر غير مطروح مع إستراتيجية الدخول والخروج المبكر من السوق). بينما كانت قيمة معامل الارتباط بين جعل المنافسة أمر غير مطروح وإستراتيجية الدخول المبكر والخروج المتأخر بمقدار (0.16) وهي غير معنوية وتدل على صحة الفرضية الفرعية الأولى من الرئيسة الثانية التي نصت (لا تتلاءم جعل المنافسة أمر غير مطروح مع إستراتيجية الدخول المبكر والخروج المتأخر من السوق). وقد كانت قيمة معامل الارتباط بين جعل المنافسة أمر غير مطروح وإستراتيجية الدخول والخروج المتأخر من السوق بقيمة (0.15-) وهي غير معنوية وتؤكد صحة الفرضية الفرعية الأولى من الرئيسة الثالثة التي نصت (لا يتلاءم جعل المنافسة أمر غير مطروح مع إستراتيجية الدخول والخروج المتأخر من السوق).

٥. كانت العلاقة بين إجمالي إستراتيجية المحيط الأزرق مع إستراتيجية الدخول والخروج المبكر من السوق عالية إذ بلغ معامل الارتباط (0.51) وهو معنوي عند مستوى دلالة (0.01) وهذه النتيجة توفر دعما قويا لإثبات صحة الفرضية الرئيسة الأولى وعلى المستويين الفردي والإجمالي. بينما لم تكن العلاقة معنوية بين إجمالي إستراتيجية المحيط الأزرق مع إستراتيجية الدخول المبكر والخروج المتأخر من السوق إذ بلغ معامل الارتباط (0.11) وهذه النتيجة لا تسمح بإثبات صحة الفرضية الرئيسة الثانية وعلى المستويين الفردي والإجمالي. وقد كانت قيمة معامل الارتباط بين إجمالي إستراتيجية المحيط الأزرق وإستراتيجية الدخول والخروج المتأخر منخفضة وغير معنوية إذ بلغت (0.15-) وهذه النتيجة لا تسمح بإثبات صحة الفرضية الرئيسة الثانية وعلى المستويين الفردي والإجمالي.

جدول (4) قيم معاملات ارتباط (spearman) بين إستراتيجية المحيط الأزرق واستراتيجيات الدخول والخروج من السوق

إستراتيجيات الدخول والخروج من السوق / إستراتيجية المحيط الأزرق	إستراتيجية الدخول والخروج المبكر من السوق	إستراتيجية الدخول المبكر والخروج المتأخر من السوق	إستراتيجية الدخول والخروج المتأخر من السوق
إيجاد مساحات سوقية غير مطروقة	0.50**	0.14	-0.16
إيجاد طلب جديد والاستحواذ عليه	0.45**	-0.19	-0.20
السعي وراء التفرد والكلفة المخفضة	0.46**	0.08	-0.16
جعل المنافسة أمر غير مطروح	0.49**	0.16	-0.15
إجمالي إستراتيجية المحيط الأزرق	0.51**	0.11	-0.15

ثانيا: تأثير إستراتيجية المحيط الأزرق في الميزة التنافسية

نصت الفرضية الرئيسة الرابعة على انه (ينعكس تأثير استراتيجية المحيط الأزرق في تحقيق ميزة تنافسية للمصرف) ومن النماذج التي تظهر في الجدول (5) الذي يبين النماذج المعنوية وغير المعنوية بين متغيرات إستراتيجية المحيط الأزرق وإبعاد الميزة التنافسية يبين لنا الآتي:

١. اظهر إيجاد مساحات سوقية غير مطروقة كأحد إبعاد إستراتيجية المحيط الأزرق (6) نماذج تأثير معنوية مع الميزة التنافسية من مجموع (6) نماذج، إي ما نسبته (100%)، وهذه النتيجة تسمح بقبول الفرضية الفرعية الأولى من الرئيسة الرابعة (ينعكس تأثير إيجاد مساحات سوقية غير مطروقة في تحقيق ميزة تنافسية للمصرف)

٢. اظهر إيجاد طلب جديد والاستحواذ عليه بوصفه أحد ابعاد استراتيجية المحيط الأزرق(6) نماذج تأثير معنوية مع الميزة التنافسية من مجموع (6) نماذج، إي ما نسبته (100%)، وهذه النتيجة تسمح بقبول الفرضية الفرعية الثانية من الرئيسة الرابعة (ينعكس تأثير إيجاد طلب جديد والاستحواذ عليه في تحقيق ميزة تنافسية للمصرف)

٣. أظهر السعي وراء التفرد والكلفة المخفضة كأحد ابعاد استراتيجية المحيط الأزرق(6) نماذج تأثير معنوية مع الميزة التنافسية من مجموع (6) نماذج، إي ما نسبته (100%)، وهذه النتيجة تسمح بقبول الفرضية الفرعية الثالثة من الرئيسة الرابعة (ينعكس تأثير السعي وراء التفرد والكلفة المخفضة في تحقيق ميزة تنافسية للمصرف).

٤. حقق جعل المنافسة أمر غير مطروح (٦) نماذج تأثير من أصل (٦) نماذج تأثير معنوية مع الميزة التنافسية إي ما نسبته (١٠٠%)، وهذه النتيجة تسمح بقبول الفرضية الفرعية الرابعة من الرئيسة الرابعة (ينعكس تأثير جعل المنافسة أمر غير مطروح في تحقيق ميزة تنافسية للمصرف)

٥. كانت نماذج التأثير لإجمالي إستراتيجية المحيط الأزرق مع الميزة التنافسية البالغ عددها (٦) جميعها معنوية، وبما يشكل ما نسبته (١٠٠%) وكانت جميعها بمستوى معنوية (٠.٠١).

٦. تبين إن العلاقة بشكل عام بين إستراتيجية المحيط الأزرق والميزة التنافسية قد حققت (٣٠) أنموذج معنوية من أصل (٣٠) نموذج تأثير بينهما إي ما نسبته (١٠٠%) وهذه النتائج توفر دعما قويا لقبول الفرضية الرئيسة الرابعة التي نصت على (ينعكس تأثير إستراتيجية المحيط الأزرق في تحقيق ميزة تنافسية للمصرف) على المستويين الفردي والإجمالي.

الجدول (5) قيمة (B)و (F)و (R2) والدلالة لتأثير استراتيجية المحيط الأزرق في الميزة التنافسية

الميزة التنافسية / استراتيجية المحيط الأزرق		التكلفة		الجودة		المرونة		التسليم		الإنتاج		إجمالي الميزة التنافسية		الملاحظ المعنوية	
														العدد	%
إيجاد مساحات سوقية غير مطروقة	B	0.44	0.28	0.39	0.52	0.38	0.35	0.45	0.30	0.37	0.12	0.48	0.42	6	100
	F	7.83	دال	5.55	دال	6.20	دال	6.19	دال	4.23	دال	7.47	دال		
إيجاد طلب جديد والاستحواذ عليه	B	0.35	0.55	0.40	0.32	0.35	0.28	0.35	0.39	0.25	0.30	0.35	0.50	6	100
	F	5.95	دال	6.10	دال	6.61	دال	6.34	دال	7.14	دال	6.42	دال		
السعي وراء التفرد والكلفة المنخفضة	B	0.45	0.60	0.28	0.19	0.85	0.34	0.37	0.34	0.86	0.39	0.91	0.85	6	100
	F	5.89	دال	4.16	دال	6.12	دال	6.24	دال	5.76	دال	5.86	دال		
جعل المنافسة امر غير مطروح	B	0.50	0.22	0.53	0.24	0.82	0.33	0.81	0.41	0.50	0.25	0.20	0.32	6	100
	F	8.26	دال	8.14	دال	6.12	دال	5.99	دال	6.23	دال	7.21	دال		
إجمالي استراتيجية المحيط الأزرق	B	0.31	0.55	0.35	0.40	0.34	0.35	0.27	0.45	0.23	0.42	0.35	0.12	6	100
	F	6.44	دال	5.80	دال	4.60	دال	7.11	دال	5.45	دال	6.30	دال		
الملاحظ المعنوية	العدد													30	
	النسبة													100	

R2	B
الدلالة	F

ثالثا: تأثير إستراتيجية المحيط الأزرق في الميزة التنافسية عبر إستراتيجية الدخول والخروج المبكر من السوق

سيتم عرض تأثير التلاؤم بين إستراتيجية المحيط الأزرق بوصفها متغيرتفسيري وإستراتيجية الدخول والخروج المبكر من السوق بوصفه متغيرا وسيطا في تحقيق ميزة تنافسية للمنظمة كونها متغير مستجيب، وبهدف اختبار مخطط البحث، فقد تم اعتماد أسلوب الانحدار المتعدد. إذ نصت الفرضية الرئيسة الخامسة على انه (يحقق المصرف ميزة تنافسية بتلاؤم إستراتيجية المحيط الأزرق مع إستراتيجية الدخول والخروج المبكر من السوق) وكانت النتائج كالأتي:

١. يظهر الجدول (6) أن نموذج الانحدار المتعدد لبعد إيجاد مساحات سوقية غير مطروقة وإستراتيجية الدخول والخروج المبكر من السوق في الميزة التنافسية كان معنويا بدلالة (F) المحسوبة (4.43) وهي أكبر من قيمتها الجدولية البالغة (3.70) وهذا يعني إن التلاؤم بين إيجاد مساحات سوقية غير مطروقة مع إستراتيجية الدخول والخروج المبكر من السوق يؤثر في الميزة التنافسية. واستكمالا لمستلزمات اختبار الفرضية الفرعية الأولى من الرئيسة الخامسة، ولتحديد مدى إسهام إيجاد مساحات سوقية غير مطروقة (المتغير التفسيري) في الميزة التنافسية (المتغير المستجيب) عبر استراتيجية الدخول والخروج المبكر من السوق (كمتغير وسيط)، والعلاقة السببية بينهما، تم تحديد التأثير المباشر وغير المباشر باستعمال

تحليل المسار. إذ أظهرت نتائج التحليل كما في الشكل (5A) إن إيجاد مساحات سوقية غير مطروقة سيؤدي إلى تأثير مباشر في الميزة التنافسية بمقدار(0.15) وتأثيرات غير مباشرة عبر استراتيجية الدخول والخروج المبكر بمقدار(0.19) وعليه يكون التأثير الكلي لإيجاد مساحات سوقية غير مطروقة في الميزة التنافسية وعبر إستراتيجية الدخول والخروج المبكر من السوق (0.34). والنتائج المذكورة آنفا تؤكد إن إيجاد مساحات سوقية غير مطروقة تكون أكثر تأثيرا عند تلاؤمها مع استراتيجية الدخول والخروج المبكر من السوق وقد أحدثت المزيد من التأثير في الميزة التنافسية، وهذه النتيجة تسمح بقبول الفرضية الفرعية الأولى من الرئيسة الخامسة (يحقق المصرف ميزة تنافسية بتلاؤم إيجاد مساحات سوقية غير مطروقة مع إستراتيجية الدخول والخروج المبكر من السوق).

الجدول (6) يبين نتائج الانحدار المتعدد لتأثير استراتيجية المحيط الأزرق واستراتيجية الدخول والخروج المبكر من السوق في الميزة التنافسية

المتغير المعتمد / المتغيرات المستقلة	الميزة التنافسية		
	المعالم الإحصائية		
	معامل التحديد R2	قيمة F المحسوبة	الدلالة
إيجاد مساحات سوقية غير مطروقة مع إستراتيجية الدخول والخروج المبكر من السوق	0.40	4.43	يوجد تأثير
إيجاد طلب جديد والاستحواذ عليه مع إستراتيجية الدخول والخروج المبكر من السوق	0.42	3.86	يوجد تأثير
السعي وراء التفرد والكلفة المنخفضة مع إستراتيجية الدخول والخروج المبكر من السوق	0.39	4.03	يوجد تأثير
جعل المنافسة أمر غير مطروح مع إستراتيجية الدخول والخروج المبكر من السوق	0.45	4.67	يوجد تأثير
إجمالي إستراتيجية المحيط الأزرق مع إستراتيجية الدخول والخروج المبكر من السوق	0.50	5.23	يوجد تأثير

قيمة F الجدولية عند مستوى معنوية 0.05 = 2.53
قيمة F الجدولية عند مستوى معنوية 0.01 = 3.70

الشكل (5) مخططات المسار لتأثير استراتيجية المحيط الازرق في الميزة التنافسية عبر استراتيجية الدخول والخروج المبكر من السوق

٢. يظهر الجدول (6) أن نموذج الانحدار المتعدد لبعد إيجاد طلب جديد والاستحواذ عليه وإستراتيجية الدخول والخروج المبكر من السوق في الميزة التنافسية كان معنويا بدلالة (F) المحسوبة (3.86) وهي أكبر من قيمتها الجدولية البالغة (3.70) وهذا يعني أن التلاؤم بين إيجاد طلب جديد والاستحواذ عليه مع إستراتيجية الدخول والخروج المبكر من السوق يؤثر في الميزة التنافسية. واستكمالا لمستلزمات اختبار الفرضية الفرعية الثانية من الرئيسة الخامسة، ولتحديد مدى إسهام إيجاد طلب جديد والاستحواذ عليه (المتغير التفسيري) في الميزة التنافسية (المتغير المستجيب) عبر استراتيجية الدخول والخروج المبكر من السوق (كمتغير وسيط)، والعلاقة السببية بينهما، تم تحديد التأثير المباشر وغير المباشر باستعمال تحليل المسار. إذ أظهرت نتائج التحليل كما في الشكل (5B) إن إيجاد طلب جديد والاستحواذ عليه سيؤدي إلى تأثير مباشر في الميزة التنافسية بمقدار(0.12) وتأثيرات غير مباشرة عبر إستراتيجية الدخول والخروج المبكر بمقدار(0.20) وعليه يكون التأثير الكلي لإيجاد طلب جديد والاستحواذ عليه في الميزة التنافسية وعبر إستراتيجية الدخول والخروج المبكر من السوق (0.32). والنتائج المذكورة أنفا تؤكدان إيجاد طلب جديد والاستحواذ عليه يكون أكثر تأثيرا عند تلاؤمه مع إستراتيجية الدخول والخروج المبكر من السوق وقد أحدث المزيد

من التأثير في الميزة التنافسية، وهذه النتيجة تسمح بقبول الفرضية الفرعية الثانية من الرئيسة الخامسة (يحقق المصرف ميزة تنافسية بتلاؤم إيجاد طلب جديد والاستحواذ عليه مع إستراتيجية الدخول والخروج المبكر من السوق).

٣. تبين أن نموذج الانحدار المتعدد لبعد السعي وراء التفرد والكلفة المخفضة وإستراتيجية الدخول والخروج المبكر من السوق في الميزة التنافسية وفقا للجدول (6) كان معنويا بدلالة (F) المحسوبة (4.03) وهي أكبر من قيمتها الجدولية البالغة (3.70) وهذا يعني إن التلاؤم بين السعي وراء التفرد والكلفة المخفضة مع استراتيجية الدخول والخروج المبكر من السوق يؤثر في الميزة التنافسية. واستكمالاً لمستلزمات اختبار الفرضية الفرعية الثالثة من الرئيسة الخامسة، ولتحديد مدى إسهام السعي وراء التفرد والكلفة المخفضة (المتغير التفسيري) في الميزة التنافسية (المتغير المستجيب) عبر إستراتيجية الدخول والخروج المبكر من السوق (كمتغير وسيط)، والعلاقة السببية بينهما، تم تحديد التأثير المباشر وغير المباشر باستعمال تحليل المسار. إذ أظهرت نتائج التحليل كما في الشكل (5C) إن السعي وراء التفرد والكلفة المخفضة سيؤدي إلى تأثير مباشر في الميزة التنافسية بمقدار(0.16) وتأثيرات غير مباشرة عبر إستراتيجية الدخول والخروج المبكر بمقدار(0.17) وعليه يكون التأثير الكلي السعي وراء التفرد والكلفة المخفضة في الميزة التنافسية وعبر إستراتيجية الدخول والخروج المبكر من السوق (0.33). والنتائج المذكورة أنفا تؤكد إن السعي وراء التفرد والكلفة المخفضة يكون أكثر تأثيرا عند تلاؤمه مع إستراتيجية الدخول والخروج المبكر من السوق وقد أحدث المزيد من التأثير في الميزة التنافسية، وهذه النتيجة تسمح بقبول الفرضية الفرعية الثالثة من الرئيسة الخامسة (يحقق المصرف ميزة تنافسية بتلاؤم السعي وراء التفرد والكلفة المخفضة مع إستراتيجية الدخول والخروج المبكر من السوق).

٤. تبين أن نموذج الانحدار المتعدد البعد جعل المنافسة أمرا غير مطروح وإستراتيجية الدخول والخروج المبكر من السوق في الميزة التنافسية وفقا للجدول (6) كان معنويا بدلالة (F) المحسوبة (4.67) وهي أكبر من قيمتها الجدولية البالغة (3.70) وهذا يعني أن التلاؤم بين جعل المنافسة أمر غير مطروح مع إستراتيجية الدخول والخروج المبكر من السوق يؤثر في الميزة التنافسية. واستكمالاً لمستلزمات اختبار الفرضية الفرعية الرابعة من الرئيسة الخامسة، ولتحديد مدى إسهام جعل المنافسة أمر غير مطروح (المتغير التفسيري) في الميزة التنافسية (المتغير المستجيب) عبر إستراتيجية الدخول والخروج المبكر من السوق (كمتغير وسيط)، والعلاقة السببية بينهما، تم تحديد التأثير المباشر وغير المباشر باستعمال تحليل المسار. إذ أظهرت نتائج التحليل كما في الشكل (5D) ان جعل المنافسة أمرا

غير مطروح سيؤدي إلى تأثير مباشر في الميزة التنافسية بمقدار(0.13) وتأثيرات غير مباشرة عبر إستراتيجية الدخول والخروج المبكر بمقدار(0.21) وعليه يكون التأثير الكلي لجعل المنافسة أمر غير مطروح في الميزة التنافسية وعبر إستراتيجية الدخول والخروج المبكر من السوق (0.34). والنتائج المذكورة أنفا تؤكدان جعل المنافسة أمر غير مطروح يكون أكثر تأثيرا عند تلاؤمه مع إستراتيجية الدخول والخروج المبكر من السوق وقد أحدث المزيد من التأثير في الميزة التنافسية، وهذه النتيجة تسمح بقبول الفرضية الفرعية الرابعة من الرئيسة الخامسة (يحقق المصرف ميزة تنافسية بتلاؤم جعل المنافسة أمرا غير مطروح مع إستراتيجية الدخول والخروج المبكر من السوق.

٥. تبين أن نموذج الانحدار المتعدد لإجمالي إستراتيجية المحيط الأزرق وإستراتيجية الدخول والخروج المبكر من السوق في الميزة التنافسية وفقا للجدول (6) كان معنويا بدلالة (F) المحسوبة (5.23) وهي أكبر من قيمتها الجدولية البالغة (3.70) وهذا يعني ان التلاؤم بين إستراتيجية المحيط الأزرق مع إستراتيجية الدخول والخروج المبكر من السوق يؤثر في الميزة التنافسية. واستكمالاً لمستلزمات اختبار الفرضية الرئيسة الخامسة، ولتحديد مدى إسهام إجمالي إستراتيجية المحيط الأزرق (المتغير التفسيري) في الميزة التنافسية (المتغير المستجيب) عبر إستراتيجية الدخول والخروج المبكر من السوق (كمتغير وسيط)، والعلاقة السببية بينهما، تم تحديد التأثير المباشر وغير المباشر باستعمال تحليل المسار. إذ أظهرت نتائج التحليل كما في الشكل (5E) إن إجمالي إستراتيجية المحيط الأزرق سيؤدي إلى تأثير مباشر في الميزة التنافسية بمقدار(0.19) وتأثيرات غير مباشرة عبر استراتيجية الدخول والخروج المبكر بمقدار(0.23) وعليه يكون التأثير الكلي لإجمالي إستراتيجية المحيط الأزرق في الميزة التنافسية وعبر إستراتيجية الدخول والخروج المبكر من السوق (0.42). والنتائج المذكورة أنفا تؤكد أن لإجمالي إستراتيجية المحيط الأزرق يكون أكثر تأثيرا عند تلاؤمه مع إستراتيجية الدخول والخروج المبكر من السوق وقد أحدث المزيد من التأثير في الميزة التنافسية، وهذه النتيجة تسمح بقبول الفرضية الرئيسة الخامسة (يحقق المصرف ميزة تنافسية بتلاؤم استراتيجية المحيط الأزرق مع استراتيجية الدخول والخروج المبكر من السوق).

المحور السابع
الاستنتاجات والتوصيات

أولا: الاستنتاجات

١. تبين وجود متوسط لممارسات استراتيجية المحيط الأزرق منها سعي المصرف المبحوث لإيجاد أفكار لخدمات جديدة، وتغيير عملياته وفقا للتغيرات التي تطرأ على بيئة الإعمال.
٢. وجد بان إستراتيجية المحيط الأزرق تتلاءم مع إستراتيجية الدخول والخروج المبكر، ولا تتلاءم مع الاستراتيجيات الأخرى للدخول والخروج من السوق كونها إستراتيجية غير تنافسية.
٣. اتضح بان سعي المصرف لإيجاد أفكار لخدمات مصرفية جديدة وتغيير الحالي منها بما يتلاءم ومتطلبات بيئة الإعمال يحقق ميزة تنافسية له.
٤. ظهر بان سعي المصرف تجاه إيجاد طلب جديد لخدمات جديدة بدل من مزاحمة المنافسين على الطلب الحالي وذلك من خلال البحث عن أفكار لخدمات جديدة والاهتمام بتحديد متطلبات والإصغاء لصوت الزبون بهدف تطوير خدمات جديدة ينعكس في تحقيق ميزة تنافسية.
٥. وجد بان تأكيد المصرف على التحقيق الأني لكل من تخفيض التكاليف ورفع القيمة المقدمة للزبون سينعكس في تحقيق ميزة تنافسية.
٦. اتضح بان تأكيد المصرف المبحوث على تجنب المنافسة ودراسته لأوضاع السوق وسعيه لتحديد الأسواق التي لم يتم إيجادها بعد أو التي لم تصلها المنافسة فضلا عن تحديد حاجات الزبائن غير المشبعة سيحقق ميزة تنافسية له.
٧. تبين بانه يمكن للمصرف إن يحقق ميزة تنافسية إذ ما اتبع إستراتيجية المحيط الأزرق على إن يقترن ذلك بإتباع إستراتيجية الدخول والخروج المبكر من السوق.

ثانيا: التوصيات

١. لكي يحقق المصرف المبحوث ميزة تنافسية ينبغي عليه إن يطبق استراتيجية المحيط الأزرق.
٢. من اجل نجاح المصرف في تنفيذ إستراتيجية المحيط الأزرق لا بد إن يقترن ذلك التنفيذ باتباع استراتيجية الدخول والخروج المبكر من السوق.
٣. على المصرف المبحوث تشجيع العاملين على تقديم الأفكار الجديدة التي يمكن أن تسهم في فتح آفاق لأسواق جديدة يمكن إن يحقق فيها المصرف ميزة تنافسية.
٤. على المصرف السعي تجاه إيجاد طلب جديد خاص به بدل من مزاحمة المنافسين على الطلب الحالي وذلك من خلال البحث عن أفكار لخدمات جديدة والاهتمام بتحديد متطلبات والإصغاء لصوت الزبون بهدف تطوير خدمات جديدة تنعكس في تحقيق ميزة تنافسية.
٥. ينبغي إن يؤكد المصرف على التحقيق المتزامن لكل من تخفيض التكاليف ورفع القيمة المقدمة للزبون من اجل تحقيق ميزة تنافسية.
٦. لابد إن يؤكد المصرف على تجنب المنافسة ويدرس أوضاع السوق ويسعى لتحديد الأسواق التي لم يتم إيجادها بعد أو التي لم تصلها المنافسة فضلا عن تحديد حاجات الزبائن غير المشبعة من اجل تحقيق ميزة تنافسية.
٧. من اجل إن يحقق المصرف ميزة تنافسية لا بد أن يتبع إستراتيجية المحيط الأزرق على أن يقترن ذلك باتباع استراتيجية الدخول والخروج المبكر من السوق.
٨. لتعميم نتائج البحث نوصي بإجراء دراسة في المنظمات الصناعية باعتماد الابعاد ذاتها التي اعتمدها هذا البحث ، وكما نوصي بإجراء دراسة مقارنة بين منظمات القطاع العام والخاص.

المصادر

١. ألبياتي، محمود والقاضي، دلال (٢٠١٠) منهجية البحث العلمي وأساليبه باستخدام spss.

٢. جواد، شوقي ناجي والعاني، مزهر شعبان، وهزايمة، أديب محمد حسن (٢٠١٣) إثر تطبيق تكنولوجيا المعلومات على تحسين الميزة التنافسية في الشركات المساهمة العامة، مجلة الإدارة والاقتصاد، العدد ٩٦

٣. الحسيني، احمد خليل والوطيفي، كامل شكير، والجبوري، عبد الخالق دبي (٢٠١٣) إدارة الجودة الشاملة وأثرها في تحقيق الميزة التنافسية دراسة ميدانية في مصنع المحاقن الطبية في بابل مجلة جامعة بابل العلوم الإنسانية، المجل د٢١، العدد ٤.

٤. رؤوف، رعد عدنان (٢٠١٠) دور ابعاد إستراتيجية المحيط الأزرق في الأداء التسويقي بالتطبيق على الشركة العامة لصناعة الأدوية والمستلزمات الطبية في نينوى، تنمية الرافدين، العدد ٩٨ المجلد ٣.

٥. السكارنه، بلال خلف (٢٠٠٨) استراتيجيات الريادة ودورها في تحقيق الميزة التنافسية، دراسة ميدانية على شركات الاتصال في الأردن، مجلة كلية بغداد للعلوم الاقتصادية، العدد ١٧.

٦. السيد، إسماعيل محمد (٢٠٠٠) الإدارة الإستراتيجية مفاهيم وحالات تطبيقية، الدار الجامعية، بيروت، لبنان.

٧. الفضل، مؤيد محمد علي وغدير، انعام محسن (٢٠١٢)تاثير محاسبة تكاليف الجودة في تحقيق الميزة التنافسية دراسة تحليلية لعينة من المنظمات الصناعية العراقية، الغري للعلوم الاقتصادية والادارية، العدد ٢٨.

٨. محسن، إيمان شاكر، والدعمي، علاء فرحان طالب (٢٠١٢) دور إدارة الجودة الشاملة في تحقيق الميزة التنافسية المستدامة، مجلة دراسات محاسبية ومالية، العدد ٢١، المجلد ٧

٩. محسن، عبد الكريم والنجار، صباح مجيد (٢٠١٢) أدارة الإنتاج والعمليات، الطبعة الرابعة، الذاكرة للنشر والتوزيع.

10. Anderson, S. P., &Engers, M. (1994). Strategic investment and timing of entry. International Economic Review, 35, 833–853

11. Arend, R.J. (2003), "Revisiting the logical and research considerations of competitive advantage Strategic Management Journal,

12. Besanko, D., Dranove, D. and Shanley, M. (2000), Economics of Strategy (New York: John Wiley & Sons).

13. Best, Roger J. (1997) Market Baseel management; Strategies for Growing customers value and profitability, prentice Hall, Inc.U.S. A.
14. Betlis, R.A. & Hitt, M.A. (2000). The New Competitive Land Scrape. Strategic Management Journal, 16, 7-19.
15. Buisson, B. and P. Silber Zahn (2010). "Blue Ocean or Fast-Second Innovation? A Four-Breakthrough Model to Explain Successful Market Domination." International Journal of Innovation Management 14(03)
16. Burke, A. E., A. Van Steel, et al. (2009). "Blue Ocean versus Competitive Strategy: Theory and Evidence
17. Chang, S. C. (2010). "Bandit cell phones: A blue ocean strategy." Technology in Society 32(3)
18. Dilworth, James B, (1992) operations management: Design, planning and control for manufacturing and services, McGrew-Hill, NY
19. Glazer, A. (1985). The advantages of being first. American Economic Review, 75, 473–480.
20. Hill, Charles W. L. and Jones, Gareth R (2001) Strategic Management: An Integrated Approach, Cengage Learning
21. Hill, Terry (1993) the Essence of operations management, prentice
22. Hoffman, Nicole P. (2000) an examination of the Sustainable Competitive Advantage "Academy of Marketing Science Review
23. Hollensen, Svend (2013) The Blue Ocean that disappeared – the case of Nintendo Wii, Journal OF Business Strategy, VOL. 34 NO. 5
24. Isobel, T., Makino, S., & Montgomery, D. B. (2000). Resource commitment, entry timing and market performance of foreign direct investments in emerging economies: The case of Japanese international joint ventures in China. Academy of Management Journal, 43, 468–484
25. Kerin, R. A., Varadarajan, P. R., & Peterson, R. A. (1992) First-mover advantages: A synthesis, conceptual framework, and research propositions. Journal of Marketing, 56, 33–53
26. Kim, Chan & Mauborgne, Renee (2005A) Value innovation: a leap into the blue ocean, journal of business strategy VOL. 26 NO. 4 2005

27. Kim, Chan & Mauborgne, Renee (2005B) Blue-ocean-strategy: How to Create Uncontested Market Space and Make the Competition Irrelevant, Harvard business school, Boston, Massachusetts
28. Kotler, Philip (1997) marketing management, analysis, planning Implemention and control, prentice – Hall, New Delhi.
29. Leavy, Brian (2005) Value pioneering – how to discover your own ''blue ocean'': interview with Chan Kim and Rene'e, Mauborgne, STRATEGY & LEADERSHIP, VOL. 33 NO. 6, pp. 13-20
30. Li, Ji. Lamb, Kevin C.K., Karakowsky, Leonard Qian, Gongming (2003) Firm resource and first mover advantages a case of foreign direct investment (FDI)in China International Business Review 12
31. Lieberman, M.B. and Montgomery, D.B. (1988), "First-mover advantages", Strategic Management Journal, Vol. 9, Summer Special issu
32. Macmillan, Hugh and Tampon, Mahan (2001) Strategic Management: Process, Content and Implementation: Great Britain: Oxford University
33. Pan, Y., & Chi, P. (1999). Financial performance and survival of multinational corporations in China. Strategic Management Journal, 20
34. Parvinen, P., J. Aspara, et al. (2011). "Awareness, action and context-specificity of Blue Ocean practices in sales management." Management Decision 49(8): 1218-1234
35. Patterson, W. G. (1993). First-mover advantage: the opportunity curve. Journal of Management Studies,30,
36. Pitts R. A. & Lei, D (1996), Strategic Management Bwlding and Sustaining Competitive Advantages, West Pub Co., New York.
37. Porter, M.E. (1996), what is strategy, Harvard business review.
38. Schmalensee, R. (1982). Product differentiation advantages of pioneering brands. American Economic Review, 72, 349–365.
39. Sigalas, Christos and Pekka Economou, Victoria (2013) Revisiting the concept of competitive advantage Problems and fallacies arising from its Conceptualization, Journal of Strategy and Management, Vol. 6 No. 1,
40. Slack. N. chambers. S. Harland. G. Harnson, A, & Johnston (1998) operation management (New York; John Wiley & Sons).

41. Stuart L, Hart, L, 1997, "Beyond greening: strategies for a sustainable world", Harvard business review, January
42. Suarez, Fernando and Lanzolla, Gianvito(2005) the Half-Truth of First-Mover Advantage, HARVARD BUSINESS REVIEW
43. Suarez, Fernando F & Lanzolla, Gianvito (2007) the role of environmental dynamics in building a first mover advantage theory, Academy of Management Review 2007, Vol. 32, No. 2, 377–392.

"تقييم جودة خدمات دائرة البعثات وانعكاسها في رضا الزبون باستخدام مقياس SERVQUAI "

م.م. احمد عبد محمود
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

المستخلص :-

تهدف هذه الدراسة الى تقييم جودة خدمات دائرة البعثات وانعكاسها على رضا الزبون باستخدام مقياس servQual ، للكشف عن الفجوة بين ادراك الطلبة الدارسين في خارج العراق وتوقعاتهم لمستوى الخدمة التي تقدمها لهم دائرة البعثات والعلاقات الثقافية ، واختيرت عينة الدراسة بطريقة عشوائية مكونة من (١١٣) طالباً وطالبة اي (٨٥) طالب و (٢٨) طالبة بالاستناد الى مقياس الفجوة (servQual) لقياس جودة الخدمة الذي اعده بارا شارمان وزملائه (parasuraman et at,1998) بعد تكييفه ليتناسب وجودة الخدمة المقدمة في دائرة البعثات والعلاقات الثقافية ، فضلا عن استخدام البرنامج الاحصائي الجاهز (SPSS) لمعالجة البيانات والحصول على النتائج التي تتعلق بحساب قيمة (النسب المؤية والتكرارات والاوساط الحسابية والانحرافات المعيارية) ، وقد اظهرت نتائج الدراسة بان هناك فجوة سالبة دالة احصائيا بين ادراكات الدارسين وتوقعاتهم لمستوى الخدمة المقدم من قبل دائرة البعثات والعلاقات الثقافية ، فضلاً عن وجود فجوة سالبة ذات دلالة احصائية في عناصر الخدمة التالية : سرعة تقديم الخدمة للطلبة ، الرغبة لدى الموظف المختص بمساعدة الطلبة من جهة ، ومن جهة اخرى وجود فجوة سالبة و دالة احصائية بين ادراك و توقعات الدارسين في عناصر الخدمة في توفير تجهيزات التقنية الحديثة ، مدى توفر التسهيلات والاستجابة الفورية للمشكلات ، وبينت النتائج كذلك وجود فجوة سالبة ذو دلالة احصائية بين الفجوة في تقديرات الطلبة الدارسين المدركة والمتوقعة لمستوى الخدمة التي تقدمها دائرةالبعثات إذ تعزى لمتغيري الجنس والتخصص الدراسي وبلد الدراسة .

الكلمات المفتاحية :- جودة الخدمة ، رضا الزبون ، مقياس SERVQUAL .

Assessing the Quality of Services Provided by the Department of Rising Cultural Relations and their Impact on Customer Satisfaction Using SERVQUAL Scale .

Abstract: -

The study is about the services quality assessment of the Scholarships and Cultural Relations Department / Iraqi Ministry of Higher Education and Scientific Research to evaluate the quality of services provided to the customer, measuring the level of satisfaction using the servQual scale, to detect the gap between the perceptions of students studying abroad and their expectations for the level of service provided by the Ministry of Higher Education to them.

The study sample , selected randomly,consists of 113 students (85) male students and (28) female students, to measure the quality of service according to the measurement prepared by Parra Sharman and his colleagues (parasuraman et at, 1998), which has been adapted in measuring the quality of service, as well as the use of statistical program (Spss) to process the data and get the results that calculate the value of satisfaction.

The results of the study showed that there is a gap between the perceptions of the students and their expectations about the level of service provided by Scholarships and Cultural Relations Department in the field of the following service: the speed of the service, the desire of the employee in charge to help the students, the provision of modern technical equipment, the availability of facilities and immediate response to the problems.

The results also showed that there is a gap between students to the level of services provided by the department according to the sex of the student, the academic specialization and the country of study.

المقدمة :-

ان التحسين والارتقاء بواقع اداء المؤسسات سواء أكانت حكومية ام خاصة يشكل اهتماما عالميا في جميع انحاء دول العالم ، ويضاف الى ذلك قدرة اي مجتمع في ادارة مؤسساته وبرامجه التنموية لتحقيق الجودة في تقديم الخدمة ليس بالتركيز على فاعلية هذه المؤسسات وكفاءتها فقط وإنما بالتركيز على ما تقدمه من ابتكارات ، والقدرة على المنافسة في اصعب الظروف ومدى مناسبة برامجها وخدماتها لتوقعات المستفيدين منها و تطابقها مع طموحاتهم الواقعية لهذه الخدمات ، اذ ان التغير السريع في الاتجاهات الاقتصادية والاجتماعية والديموغرافية استدعى الوقوف على جودة الخدمة فضلاً عن التغير الحاصل في تكنولوجيا المعلومات واستخدام الحاسب الالكتروني بالنسبة الى الخدمة التي تقدمها المؤسسات المختلفة ومنها دائرة البعثات والعلاقات الثقافية لما لها من انعكاس على الجوانب الاجتماعية والاقتصادية السائدة في المجتمعات . ان الاهتمام بجودة الخدمات ليس موضوعا جديدا لكن الجديد في هذا الموضوع هو في استخدام الطريقة والاسلوب العلمي والاحصائي الحديث للمحافظة على مستويات عالية من الاداء الاداري والفني من خلال تطبيق تلك البرامج ، ولذلك فإن هذه الدراسة تسعى الى تبني مقياس التوقعات لقياس وتقييم مستوى جودة الخدمات في دائرة البعثات والعلاقات الثقافية/ وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ، تأسست دائرة البعثات والعلاقات الثقافية منذ تأسيس وزارة التعليم العالي والبحث العلمي بموجب قانون وزارة التعليم العالي والبحث العلمي المرقم ١٣٢ لسنة ١٩٧٠ وكانت نواتها (**مديرية قسم البعثات**) في وزارة التربية ودمجت مع وزارة التعليم العالي والبحث العلمي وبقيت ايضا مديرية مرتبطة بمديرية العلاقات الثقافية العامة ثم تغير اسمها الى (**مديرية البعثات والملحقيات الثقافية**) يرأسها مدير قسم وليس مديراً عاماً ، ثم اصبحت بعدئذ (**دائرة البعثات والعلاقات الثقافية**) ويرأسها مديراً عاماً و يرتبط بمكتب المدير العام وحدات (المتابعة ، الصادرة والواردة ، السكرتارية ، معاون المدير العام) . اما هيكلية دائرة البعثات تتكون من معاونين اثنين للمدير العام ومن اقسام وشعب تتمثل بالاتي قسم الدراسات خارج العراق ويتكون من الشعب التالية (**البعثات** ، **الزمالات** ، **الاجازة الدراسية** ، **النفقة الخاصة**) ، قسم شؤون الدارسين في الخارج ويتكون من الشعب التالية (**الوطن العربي** ، اوربا ، اسيا ، **الامريكيتين** ، استراليا) قسم العلاقات الثقافية ويتكون من الشعب التالية (**الملحقيات الثقافية** ، **الاتفاقيات والعلاقات الخارجية** ، **الإيفادات والاعارة** ، **المراسم** ، **الترجمة**) ، قسم المنظمات الدولية والعربية ويتكون من الشعب التالية (**المنظمات الدولية** ، **المنظمات الاسيوية** ، **المنظمات العربية والاسيوية** ، **المنظمات الامريكية والأوربية**) ، قسم التقويم ومعادل

الشهادات ويتكون من الشعب التالية (**الانسانية ، الاجتماعية ، الطبية ، العلوم الصرفة ، الهندسية**) . يقسم البحث الى اربعة مباحث ركز المبحث الاول على المنهجية العلمية للبحث و عرض بعض الجهود الفكرية السابقة ، اما المبحث الثاني فجاء لعرض مفهوم ابعاد البحث واهم الموضوعات ذات العلاقة بها ، و ركز المبحث الثالث على عرض وتحليل نتائج الجانب العملي للبحث ، واخيراً خصص المبحث الرابع لتقديم عدد من الاستنتاجات والتوصيات التي من شأنها تعزيز المعرفة في المجال المبحوث فية .

المبحث الاول :- منهجية البحث وبعض الدراسات السابقة

اولاً:- مشكلة الدراسة :-

يعاني التعليم العالي في البلدان العربية بشكل عام وفي العراق بشكل خاص من مشاكل كبيرة و تهديدات وتحديات بالغة الخطورة والتي نشأت عن المتغيرات التي غيرت شكل العالم المعرفي و اوجدت نظاماً عالمياً جديدا يعتمد العلم والتطوير التكنلوجي المتسارع اساسا له واعتماد تقنيات عالية الجودة في التقدم والتفوق والابداع ، و من خلال المعايشة لواقع حال المؤسسة التعليمية في دائرة البعثات والعلاقات الثقافية من خلال التساؤلات الآتية :-

١. ما مدى مستوى جودة الخدمات المقدمة في دائرة البعثات والعلاقات الثقافية ؟
٢. هل هناك اختلاف حقيقي بين مستوى الجودة للخدمة المقدمة و مستوى الجودة المتوقعة من قبل المنتفعين بالخدمات المقدمة من دائرة البعثات والعلاقات الثقافية ؟
٣. ما اهم ابعاد جودة الخدمة المقدمة التي تقدمها دائرة البعثات وهل هناك اثر ذو دلالة احصائية لأبعاد مقياس جودة الخدمة المتمثلة في توفر العناصر (الملموسية ، الاعتمادية ، الاستجابة ، الامان ، التعاطف) على مستوى المستفيدين من الخدمات التي تقدمها دائرة البعثات ؟
٤. هل يمكن استخدام مقياس الاداء (servQual) لقياس مستوى رضا المستفيدين من الخدمات الحكومية ؟

ثانياً:- اهمية الدراسة :-

تبرز اهمية الدراسة من تقييم المستهلك لجودة الخدمة في دائرة البعثات والعلاقات الثقافية حسب الابعاد الخمسة المكونة لمقياس servQual وهي (**الملموسية ، الاعتمادية ، الاستجابة ، الامان ، التعاطف**) ،حيث استمدت الدراسة الحالية اهميتها من اهمية موضوع الدراسة الذي يتمثل في متغيراته جودة الخدمة المقدمة لشريحة واسعة من الطلبة العراقيين الدارسين خارج العراق ومدى رضا الطلبة عن تلك الخدمات المقدمة من قبلها ، وترشيد القرارات الخاطئة و اعطاء صورة واضحة عن دائرة البعثات والعلاقات الثقافية في تقييم ادائها ، من خلال توفير قاعدة من المعلومات التي تساعد مديرو الاقسام في الدائرة من قياس جودة ما تقدمه من خدمات وتحديد اهم العوامل التي تؤدي الى تحقيق رضا المستهلك للخدمات لمعرفة اولويات التحسين والتطوير .

ثالثا :- اهداف الدراسة

ان اهداف هذه الدراسة ترتكز في التعرف على :

١. تشخيص مستوى جودة الخدمة التي تقدمها دائرة البعثات والعلاقات الثقافية .
٢. تشخيص مدى رضا الطلبة الدارسين في خارج العراق عن الخدمة التي تقدمها دائرة البعثات والعلاقات الثقافية .
٣. اقتراح انموذج خاص لعمل الدائرة في التعامل مع المراجعين يستخدم مقياس (servQual) في تحديد ابعاد الجودة كأحد مقاييس رضا المستهلك

رابعاً :- فرضيات الدراسة :-

ينطلق هذا البحث من فرضية رئيسية تنص على الاتي :-

١. توجد علاقة ارتباط ذات دلالة معنوية من الناحية الاحصائية بين جودة الخدمة و رضا الزبون مع المنظمة المبحوثة .

خامسا :- اسلوب البحث :-

استخدام المنهج الوصفي التحليلي في دراسة موضوع البحث . ويحاول الباحث من خلال المنهج الوصفي التحليلي ان يقارن ويفسر ويحلل ويقيم املاً في التوصل الى تعميمات ذات معنى يزيد بها رصيد المعرفة عن الموضوع من خلال :-

١. استخدام الاستبانة التي تتألف من خمسة محاور و ٢١ فقرة .
٢. تحليل الاستبانة احصائيا للوصول الى النتائج .

سادساً :- مجتمع الدراسة :-

يتمثل مجتمع الدراسة بدائرة البعثات والعلاقات الثقافية / وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ، اما عينة الدراسة فتكونت من المواطنين (الزبائن) اللذين يتم تقديم خدمات الدائرة المذكورة من خلال اقسامها وشعبها حيث تم توزيع (١١٣) استمارة استبيان موزعة بمعدل(٨٥) طالب و(٢٨) طالبة .

سابعاً : ادوات جمع البيانات :-

١. الجانب النظري في جمع البيانات والمعلومات المتعلقة بمفهوم واهمية الخدمة بصوره عامة والخدمة التعليمية بصورة خاصة والعوامل المؤثرة في جودة الخدمة التعليمية وابعادها باعتماد المصادر النظرية العربية والاجنبية .

٢. الجانب التطبيقي باستخدام الاستبانة والتي تضمنت ابعاد رئيسية هي : الملموسية ، الاعتمادية ، الاستجابة ، الثقة ،الاهتمام بالزبون ، وحددت ٢١ سؤال وجهت الى عينة البحث وجرى تفريغها وتحليلها للتوصل الى النتائج باستخدام مقياس (servQual) والذي يعد المقياس الاحدث في قياس جودة الخدمة

٣. تحليل البيانات وتقديم التوصيات في ضوء نتائج التحليل .

ثامناً :- حدود البحث :-

١. الحدود البشرية :- المواطنين (المراجعين) لاقسام وشعب دائرة البعثات المختلفة .

٢. الحدود المكانية :- دائرة البعثات والعلاقات الثقافية / وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

٣. الحدود الزمانية :- الدراسة الميدانية تمت في المدة من ١/١ – ٦/١/ ٢٠١٥ .

تاسعاً :- مخطط الدراسة

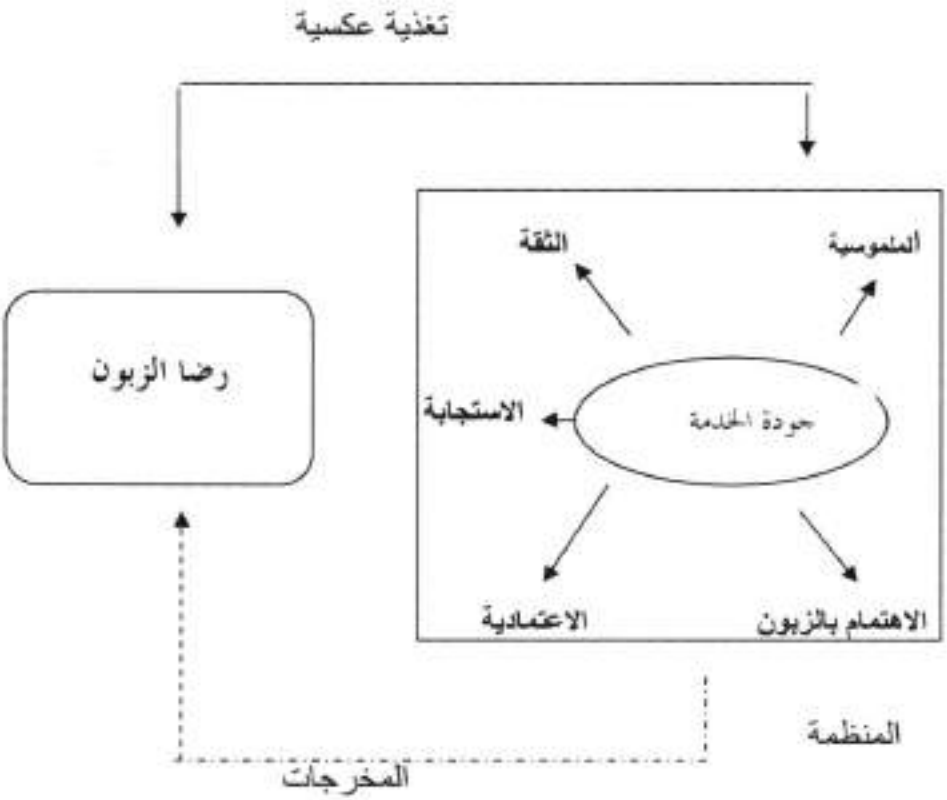

الشكل (١-١) المخطط الفرضي من اعداد الباحث

الدراسات السابقة

تناولت الكثير من الدراسات مفهوم جودة الخدمات واهمية تحقيق متطلبات المستفيد من تلك الخدمات وكذلك تناولت الدراسة مقياس جودة الخدمات (servQual) وكفاءة استخدامه في العديد من المجالات التربوية والصحية والفندقية وغيرها من مجالات الحياة التي توفر الخدمات العديدة للزبائن ، ومن هذه الدراسات :-

١. دراسة درويش ، (٢٠٠٩) " اثر جودة الخدمات التي تقدمها البلديات في فلسطين على رضا المستفيد " دراسة علمية ميدانية في المحافظات الشمالية في فلسطين . هدفت الدراسة الى ايجاد اثر للأبعاد الخمسة المكونة لمقياس

جودة الخدمة على مستوى رضا المستفيدين منها وهنا تم امكانية استخدام مقياس الاداء (servperf) كأحد المقاييس المهمة لرضا المستفيدين من الخدمات الحكومية وامكانية استخدامه لتحسين مستوى الخدمة المقدمة ، وهذا ما اثبتته نتائج التحليل للدراسة . وقد ركز الباحث على الجانب العملي من الدراسة حيث قام بإعداد استمارات استبيان خاصة بالأسئلة التي تخص الابعاد الخمسة لمقياس (servperf) ، وبينت نتائج التحليل ان اقل العوامل جودة كما يراها المراجعون كانت تتعلق بساعات العمل وعدم الاهتمام بمصالحهم وعدم الدراية باحتياجاتهم وجميعها تتعلق ببعد التعاطف للمقياس .

٢. دراسة بو عبدالله ،٢٠١٠ " قياس ابعاد جودة الخدمة على بريد الجزائر " دراسة تطبيقية ، هدفت الدراسة الى تحديد مسألة تأثير ابعاد جودة الخدمات البريدية في البيئة الاقتصادية الجزائرية باستخدام مقياس (servperf) بناءاً على دراسة الادبيات وعلى دراسة قام بها مهنيين و زبائن تم التحقق من ثبات المقياس بعد تنقيته باستخدام معامل الفا لكرونباخ ، حيث جاءت قيمته عالية لمجمل المقياس ، وتراوحت بين حدود المقبول والقوي بالنسبة للمقاييس الفرعية كما تم التأكد من صدقية التقارب من خلال تشبع البنود وارتباطاتها القوية بأبعادها ، وقد افرز التحليل العاملي الاستكشافي للبيانات تركيبة من اربعة ابعاد هي (الضمان ، عملية الخدمة ، محيط الخدمة ، المعاملة) ، وهذه النتائج تتفق جزئيا مع دراسات سابقة اخرى .

٣. دراسة الدهيمات ، (٢٠١١) " جودة الخدمات الالكترونية التي تقدمها مكتبات الجامعات الاردنية الرسمية والخاصة من وجهة نظر المستفيدين " دراسة مقارنة. تهدف هذه الدراسة الى قياس جودة الخدمات الالكترونية التي تقدمها مكتبات الجامعة الاردنية الرسمية والخاصة من خلال المقارنة بين جودة الخدمات الالكترونية المقدمة من الجامعات الرسمية وجودة الخدمات الالكترونية المقدمة في الجامعات الخاصة وذلك من اجل الارتقاء بمستوى جودة الخدمات الالكترونية التي تقدمها تلك الجامعات وادراك تقييم المستفيدين من تلك الخدمات والمتمثلين بالهيئة التدريسية والطلبة .وتكون المقارنة ممثلة بأبعاد خاصة بجودة الخدمة الالكترونية وهذه الابعاد هي (الاداء ، المصداقية ، سهولة الاستخدام ، المواكبة) وهي تمثل الابعاد الخاصة بنموذج (Garvin) المطور لغرض قياس جودة الخدمات الالكترونية للمكتبات . وقد تم استخدام الاسلوب الوصفي والتحليلي لوصف وتحليل متغيرات الدراسة المتعلقة بالمعلومات العامة ، وتم تحليل ابعاد جودة الخدمة الالكترونية من خلال الحزمة الاحصائية (spss) . واظهرت الدراسة بشكل واضح عدم الاختلاف في الدرجة الكلية لتقييم المستفيدين (الهيئة التدريسية ، الطلبة)

لجودة الخدمات الالكترونية التي تقدمها مكتبات الجامعة الاردنية وقد حصلت جودة الخدمات الالكترونية على درجة مرتفعة بحسب مقياس الدراسة وان هذه الدرجة غير مختلفة بين فئتي المستفيدين .

٤. دراسة "shahen، ٢٠١٢. " (servQual)ونموذج الفجوة لجودة الخدمة ،اطار عمل لحساب وبيان اولوية العوامل الحرجة في تقديم جودة الخدمة " هدفت الدراسة الى ايضاح السبب في تحول اغلب الشركات الخدمية الى اتباع انظمة جودة الخدمة وذلك نظرا لأهمية تحقيق متطلبات الزبون وتقديم خدمات ترضي رغباتهم ، وتم طرح مثال عن بحث قام به كل من (bryslan and Curry) في عام ٢٠٠١ في شركة تموين ، مضمون البحث كان باستخدام مقياس الفجوة (ServQual) في تحليل المعلومات التي تم جمعها من خلال توزيع ١٤٠ استمارة استبيان على زبائن الشركة على مدار سنة كاملة وتم استرجاع ٥٢ استمارة صالحة فقط بنسبة استجابة ٣٧% فقط ، اظهرت النتائج وجود عجز هام في تلبية توقعات الزبائن حول الخدمة المقدمة لهم بجميع ابعادها من قبل الشركة المعنية على طول سنوات الخدمة للشركة . وظهر من خلال ذلك مؤشر سالب في جداول التحليل .

٥. دراسة الجزائري ٢٠١٣." قياس وتقييم جودة الخدمات الصحية " دراسة تطبيقية في مستشفى الفيحاء العام . هدفت الدراسة الى تقييم جودة الخدمات الصحية المقدمة للمواطن في مستشفى الفيحاء العام في البصرة باستخدام مقياس servqual من اجل الارتقاء بمستوى الخدمات الصحية المقدمة في تلك المستشفى ، وقد توصلت الدراسة الى ان هناك ضعف واضح في مستوى جودة الخدمة الصحية المقدمة الى المرضى فضلا عن وجود تفاوت في الاهمية التي يوليها افراد العينة المبحوثة لكل متغير من المتغيرات الرئيسية للمقياس استخدمه الباحثون في الدراسة وهو مقياس جودة الخدمة (servqual scale) وتم اعتماد اسلوب البحث العلمي والذي جرى باستخدام كل من مقياس الجودة واستمارة الاستبانة المكونة من ٢٢ متغير فرعي ترتبط بالأبعاد الرئيسية الخاصة بالمقياس وهي (الملموسية ، الاعتمادية ، الاستجابة ، التوكيد (الثقة) ، التعاطف) .

المبحث الثاني : الجانب النظري

اولاً: مفهوم الخدمة :-

لقد اختلفت تعريفات الخدمة باختلاف آراء الكتاب والباحثين ، فيمكن ان نعرفها على انها **" الانتاج غير الملموس "** .ان مفهوم الخدمات يعد من الطرق التي تستخدمها المنظمات الخدمية لتمييز نفسها عن المنظمات الاخرى المنافسة والمماثلة لها في النشاط عن طرق تكوين صورة image عن المنظمة مقدمة الخدمة ، تتحدد من خلالها شخصية المنظمة على كافة المستويات **(kotler,1994,640). فالخدمة تعرف الخدمة بأنها :-**

١. انها "تلبية احتياجات ومتطلبات الزبون منذ اللحظة الاولى وفي كل الاوقات لتلبية احتياجات وتوقعات الزبائن بحيث تتوافق معها توافقا متسقا ومنسجما" (Thompson desoyza and gale,1985)،
٢. "الاداء بالمستوى الذي توقعه العملاء" (Dennis L.Foster,1992) .
٣. "الفرق بين ما متوقع ان يحصل عليه المستفيد وبين الواقع من حيث قناعة المستفيد (petar,1989,269).
٤. "اشياء مدركة بالحواس وقابلة للتداول تدمها منظمات معينة تتميز بالتخصص بتقديم الخدمات او تعتبر نفسها مؤسسة خدمية "(cronroos.2001).
٥. " تلبية احتياج المستفيد (الزبون) بين النوعيات التي تلبي نفس الحاجة (عادل محمد عبدالله.٢٠١٣) .
٦. " اي نشاط او انجاز او منفعة يقدمها طرف ما لطرف آخر ، وتكون اساسا غير ملموس ولا تنتج عنها اي ملكية وان انتاجها وتقديمها قد يكون مرتبط بمنتج مادي ملموس " (Phkatlel.1999)
٧. انها " معاملة منجزة من طرف المؤسسة بحيث لا ينتج عن التبادل تحويل الملكية كما في السلع الملموسة " (Judd.2006) .
٨. انها " منتوج غير ملموس يقدم فوائد ومنافع ومعارف مباشرة للعميل كنتيجة لتطبيق او استخدام جهد او طاقة بشرية ، والخدمة لا يمكن حيازتها او استهلاكها ماديا " (الديوجي ، ابو رمان ،٢٠٠٠: ٤) .
٩. فيما عرفت المنظمة الدولية للمقاييس الايزو وفقا للمواصفة (ISO 8402) الخدمة على انها " نتيجة تتولد عن النشاطات في التعامل بين الموارد والزبون ، ومن النشاطات الداخلية للموارد للاستجابة لحاجات الزبون " (حسن ، عزام ، ٢٠١١ : ٢٦-٢٧) .

و وردت ضمن هذا المعيار الملاحظات التالية :-

- يمكن ان يمثل المورد او الزبون بأشخاص او تجهيزات .

- يمكن ان تكون نشاطات الزبون في التعامل مع المورد اساسية لتأدية الخدمة .
- يمكن ان يشكل تسليم او استخدام منتجات مادية جزءاً من تأدية الخدمة .

ثانيا: خصائص الخدمة العامة :

تمتاز الخدمات بخصائص فريدة تميزها عن السلع وتشمل (kotler,Philip,2003) ابرزها :-

١. **اللا ملموسية:-** ان سبب الطبيعة الغير ملموسة للخدمات تأتي بسبب ان المستفيدين من الخدمة يكونون غير متأكدين بالنسبة لجودة الخدمة المقدمة من قبل المنظمة اي انها تكون غير (مرئية ، مسموعة ، ملموسة ، ولا يمكن اختبارها) قبل ان تتم عملية شرائها .
٢. **التلازم :-** ان الخدمة ترتبط بعملية الاستهلاك المباشر لها لأنها تمثل حالة استهلاك مرتبطة مع وقت انتاجها، وبمعنى اخر لا يمكن الفصل بينهما ، لذا يستوجب من المنظمة التي تقدم الخدمة الاهتمام بعملية الاستقطاب و التوظيف و التدريب و تطوير الاشخاص و المسؤولين عن تقديم الخدمة الى زبائن المنظمة .
٣. **التباين او صعوبة تنميط الخدمة :-** هناك صعوبة في بعض الاحيان للمحافظة على مستوى واحدمن المعيارية في المخرجات بنفس الخدمة المقدمة للمستهلك وذلك بسبب المحددات المؤثرة في مدخلات انتاج الخدمة ممثلة بالمواد والتوقيت والسرعة والادوات المستخدمة ، حيث ان الخدمات تتصف بخاصية التغير العالية وذلك لان الخدمات التي يتم تزويدها من قبل عدة اشخاص في منظمة الخدمة ، ولهذا تتغير جودة الخدمة في كل مرة يتم تزويدها للمستفيد من تلك الخدمة وتبعاً لذلك تعتمد جودة الخدمة على الأشخاص الذين يزودوها متى و أين .ولتأكيد السيطرة على جودة فعالة لا بد من اتباع الخطوات التالية :-(**سويدان ، العبادي ،سمير عزيز ،٢٠١١ :٢٢٥**)

- سياسة استقطاب جيدة ، تدريب ، تطوير مجهزي الخدمة
- تحديد اجراءات محددة لعملية تقديم الخدمة ، والتي تساعد الى معايرة عملية اداء الخدمة في المنظمات الخدمية والاهتمام بالمجالات المحتملة لفشل الالتزام بمعايير تقديم الخدمة
- جمع المعلومات عن حالة رضا الزبائن وبشكل مستمر من خلال القيام بالأبحاث التسويقية وانظمة تتبع شكاوى الزبائن ومعالجتها .

٤. **الهلاك او الفنائية :-** بشكل عام لا يمكن خزنها والاحتفاظ بالخدمة لحقبة من الزمن فاذا لم يتم تقديم الخدمة عند طلبها فسيؤدي ذلك الى عدم القدرة على استرجاع الايرادات المحتملة المفقودة ففي حالة استقرار الطلب على الخدمة تستطيع المنظمة الخدمية التعامل معها بكفاءة اما في حالة تقلب الطلب فانه من الصعب على المنظمة التعامل مع هذه المشكلة .

٥. **عدم التملك :-** اي ان الخدمة يمكن الانتفاع منها وفي نفس الوقت لا يمكن امتلاكها عند الحصول عليها. وذلك لان الزبون يمكنه استعمال الخدمة لمدة معينة دون امتلاكها كاستعمال غرفة في فندق او مقعد في طائرة .

ثالثا : ابعاد جودة الخدمة :-

لجودة الخدمة عدة ابعاد (الصيرفي ، ٢٠٠٣ ، : ٢٧٨) .

١. الاتصالات : وتتمثل بالقدرة على الاصغاء للعميل لفهم جميع رغباته ومتطلباته سواءً تحدث ام صمت .

٢. الفهم والادراك : ويتمثل في استعداد مقدم الخدمة في اعطاء الوقت الكافي للعميل للتحدث وابداء وجهة نظره دون ملل او ضجر بهدف فهم حاجات العميل الخفية .

٣. التوقيت : ويتمثل في محاولة تحقيق رغبة العميل في تقديم الخدمه له في الوقت الذي يريده .

٤. الثقة في اداء الخدمة : وهذه الثقة انما تتأثر من خلال السمعة التي يتمتع بها مقدم الخدمة.

٥. المضمون الذاتي للخدمة: يتمثل في المهارة التي يجب أن يتمتع بها مقدم الخدمة وذلك فيما يتعلق بطريقة عرض الخدمة واقناع الزبائن بها.

٦. الاستمرارية: وتعني المقدرة على اداء الخدمة بنفس الكفاءة والفاعلية طول الوقت.

٧. المطابقة : أي تحقيق التجانس بين تطلعات العميل والخدمة المقدمة أي تحقيق الخدمة درجة الاشباع التي يتطلع اليها العميل.

٨. الادوات: قد يتطلب تقديم بعض الخدمات استعمال بعض الادوات المادية لذلك مثل الادوات التي يستخدمها الطبيب اثناء ممارسة عمله وهنا يتوقع الزبون بأن تكون الادوات متوفرة وعلى درجة عالية من الكفاءة .

رابعاً: قياس الجودة في الخدمات :-

تهدف عملية قياس الجودة في الخدمات الى تحقيق التميز في اداء الانشطة المتعلقة بتقديم الخدمة والى تحقيق الملاءمة وتعددية مفهوم الجودة الفعلية المدركة من قبل المستفيدين ، وتشمل عملية القياس ايجاد معايير يمكن ان تشكل صفات للجودة حسب نوع الخدمة ونوع النشاط المؤدى من قبل مقدم الخدمة (عادل محمد ، ٢٠١٣) .حيث تم تحديد عدة محاور من شأنها ان تحدد او تؤثر في تكوين اطار عام لقياس الجودة في النشاط الخدمي على على مستويات المنظمة الخدمية وهي :- (CRONIN,1994:125-131) (Owen A,1994:21)

١. **العوامل المادية الملموسة :** وهي الادلة المادية للخدمة المعنية (المواد ، التجهيزات، المعدات ، الادوات والاجزاء المعاونة او المكملة لها).
٢. **الجدارة ودرجة الاعتماد :** وهي تشير الى مدى التشابه والتطابق بين مستوى اداء الخدمة ودرجة الاعتماد والاتكال على نوع معين من الخدمة من بين الانواع المقدمة ودرجة الاعتماد على المتخصص في تقديم الخدمة
٣. **درجة الاستجابة :** وهي رغبة او استجابة المستخدمين والموظفين واستعدادهم و قدراتهم على تقديم الخدمات ، ان المعالجات الفورية والعاجلة للحالات الطارئة في اي مركز خدمي هي مثال واضح لهذا العامل .
٤. **الضمانة ودرجة الثقة :** وهي تشير الى مدى الثقة والضمانة التي ينقلها مقدم الخدمات ، فالضمانات التي تقدم في مجال الخدمات هي الاستمرار في تقديم الخدمة لحين حصول قناعة او اشباع تام نسبيا لدى المستفيد لسد حاجته .
٥. **التقمص النفسي :** وهي الجهود المبذولة من قبل مقدم الخدمة من اجل التعرف على احتياجات المستفيد و متطلباته واستيعابها ، ومن ثم تخصيص وتكييف عملية تقديم ونقل الخدمة وفقا لتلك الاحتياجات .

خامساً: مقياس (servQual) :-

لقد توصل الباحثون الى تحديد نموذج الفجوة او ما يسمى مقياس servQual و يمكن تعريفه بأنه " مقياس يستخدم لقياس جودة الخدمة ،وظهر خلال الثمانينات من القرن الماضي من خلال الدراسات التي قام بها (parasuaman & zeihmal et berry,2009 وذلك بغية استخدامه في تحديد وتحليل ويرتكز على خمسة ابعاد وهي :

١. **الجوانب الملموسة :**وتضم التسهيلات المادية والمعدات المستخدمة في انتاج وتقديم الخدمات والمظهر الخارجي للعاملين في منظمة الخدمة .
٢. **الثقة والاعتمادية :** وتمثل المقدرة على اداء الخدمة وفقا للوعود المقدمة وذلك على النحو الذي يمكن الاعتماد عليها بدقة (خالية من الاخطاء) .
٣. **الاستجابة :-** وتعكس استعداد العاملين بمنطقة الخدمة لمعاونة الجمهور او العملاء وتقديم الخدمة بسرعة .
٤. **الضمان :** ويعكس معرفة وخبرة العاملين بمنظمة الخدمة وقدرتهم على كسب ثقة الجمهور او العملاء .
٥. **التعاطف :** ويعكس العناية بالجمهور او العملاء والاهتمام الشخصي بكل فرد .

ان الجودة في الخدمات تظهر في واحدة من ابعاد اداء الخدمة او كلها وهي : (Owen.1994:21)

١. **البعد المادي** : السلع والامكانيات المادية الملموسة المكملة للنشاط الخدمي
٢. **المرافق والتسهيلات** :- وهي الخدمات المكملة للخدمات الرئيسية والتي تختلف عنها اختلافا كبيرا
٣. **الافراد القائمين على اداء الخدمة** وتقديمها من اختصاصيين وعاملين ذوي اختصاصات فنية و وظيفية .

ووفقا لذلك يظهر نوعان من الجودة (ابو رمان ،١٩٩٧، ٣٢)

- **الجودة الفنية** : وترتبط بما يحصل عليه المستفيد فعلا من الخدمة .
- **الجودة الوظيفية** : وترتبط بالطريقة التي تؤدى او تقدم بها الخدمة .

ان قياس الجودة في الخدمات يتم عن طريق اسلوب اعصام اثر الجودة الذي يعرف بانه "اسلوب يسعى لتوثيق احتياجات المستفيد ويستخدم في تحديد اوليات معايير المنتج واطاره العام "،ان عرض احتياجات المستفيد تتم عن طريق المصفوفة (Matrix) التي تحتوي على مؤشرات يقوم الفريق العامل بتحديد مؤشر واحد منها على الاقل يصلح للقياس ويمكن التحكم فيه بحيث يعبر هذا المؤشر عن تلبية احتياجات المستفيدين من كونها متوقعة من قبل المستفيد ومدركة من قبل مقدم الخدمة ومن هذه الاحتياجات (سلطان،١٩٩٧، ١٩) :-

١. **احتياجات يتم التعبير عنها وهي معرفة :-** وتمثل حاجات اساسية في تقديم الخدمة والتي يحتاجها المستفيد لاشباع حاجات مباشرة يعبر عنها ويطلبها ويأتي الى المنظمة الخدمية للحصول عليها وتكون معروفة من قبل مقدم الخدمة والمستفيد على حد سواء بحيث يسهل وصفها وتحديد الانشطة اللازمة لتوفيرها وقد يكون هدف المنظمة قد صمم اساسا من قبل المنظمة

الخدمية للاستفادة منها ، فتكون الجودة المقدمة مرضية بشكل كامل يشبع حاجات المستفيدين .

٢. **احتياجات يتم التعبير عنها وهي غير معروفة :-** تحتاج الى توفير كوادر متخصصة في مجال الخدمة المقدمة فتكون قائمة على اساس تلقي الوصف والشرح والاسهاب فيه لتعريف وشرح الحاجة للوصول الى ادق التفاصيل لتوفير خدمة تتلاءم وحاجة المستفيد، وقد يتم استخدام بعض الاجهزة والمعدات او المواد والسلع للكشف عن تلك الحاجات (James ,C,1998,54).

٣. **احتياجات لم يتم التعبير عنها وهي معروفة:-** يستخدم التحليل الوظيفي لتحديد هذا النوع من الاحتياجات اي تكون معرفة للقسم او الادارة الوظيفية او مقدم الخدمة وهذه الاحتياجات التي لم يعبر عنها المستفيد لكونه لم يتوقع توفرها على الاطلاق ، او لا يعرف بوجودها في القسم او الادارة او المنظمة او الشخص المختص بتقديم الخدمة ، ولا يعتقد بإمكان تقديمها او يتوقع حدوثها ، لكنها معروفة ومدركة من قبل مقدم الخدمة(سلطان ،١٩٩٧، ١٩) .

٤. **احتياجات لم يتم التعبير عنها وهي غير معروفة :-** وتقع بالنسبة للطرفين مقدم الخدمة او المستفيد ضمن المجهول ، سواء من حيث معايير التنبؤ بها او من حيث قياس حجم المستلزمات المستخدمة في تقديمها فتترك لحالة التوقع العشوائي او للخبرة السابقة في تحديد متطلباتها وتخرج هذه الحاجات عن نطاق التفضيل والمقارنة والاختيار من قبل المستفيد ، وغالبا ما يحدد نوع الخدمة المطلوبة ومقدار الاشباع لها مقدم الخدمة .

رضا الزبون

اولا:- مفهوم رضا الزبون واهميته :-

١. "الحالة النفسية للإنسان التي يشعر من خلالها عندما يحصل على مكافأة كافية مقابل التضحية بالنقود والمجهود ".

٢. " الناتج النهائي الذي يجريه الزبون لعملية تبادل معينة " (سليمة ، ٢٠١٢، ٥٧).

٣. " الناتج النهائي المتولد من التجربة او الخرة المتراكمة والذي يعكسه الزبون في تقيمه لمستوى اداء الخدمة" (الجبوري ، البرزنجي ، ٢٠٠٧، ٢٠٠) .

٤. "هو دالة على الاداء المدرك والموقع من قبل الزبون ، ففي حالة عجز الاداء عن المتوقع فان الزبون يكون في حالة عدم السرور ، والعكس

صحيح ، اما في حالة التي يتجاوز بها فيها الاداء ما هو متوقع فان الزبون يتحول من الرضا الى الولاء للمنظمة ". (كوتلر،٣٦,٢٠٠١) .

و بين كل من العلماء والمتخصصين في مجال التسويق ومقدمي الخدمات منذ فترة طويلة اهمية رضا المستهلك ، فهو يهم في زيادة الحصة السوقية لأي منظمة اعمال وفي العائد على الاستثمار . ويعبر رضا المستهلك احد اهم الاهداف الرئيسية لمنظمات الاعمال . وقد اثبتت نظريات الادارة والتسويق اهمية تحقيق رضا المستهلك من اجل نجاح اعمالها ، ونظرا لهذه الاهمية عدت جائزة مالكوم بالدريج الدولية للجودة ان رضا الزبون هو العنصر الرئيس الذي يعتمد عليه في عملية التقييم لمنح الجائزة.

ثانيا:- قياس رضا الزبون :-

يعد رضا المستهلك اصلا من اصول المنظمة وهو اساس بقائها في ظل بيئة اشتدت فيها المنافسة واصبح البقاء فيها لمن يملك ميزة تنافسية لا يمكن تقليدها. وفي ظل التغييرات الجديدة اصبح من الضروري على المنظمات ان لا تكتفي بتحقيق الرضا للمستهلكين بل عليها ان تقيسه للتعرف على درجته.

وعليه يمكن تعريف قياس رضا المستهلك "بانه تلك الجهود التي تقوم بها المنظمة للوقوف على مدى رضا المستهلكين عما تقدمه لهم من خدمات وبرامج بهدف اجراء التعديلات المنظمة والبرمجية اللازمة بحيث تصبح اكثر استجابة لاحتياجات وتطلعات افراد المجتمع التي تخدمهم".(بلحسن،٢٠١٢، ٣٧)

يكتسب رضا المستهلك اهمية كبيرة لذا تحتاج جميع المنظمات الراغبة في تحقيق الاستمرار والنمو في السوق قياسه؛ إذ أن رضا المستهلك هو موضوع بالغ الاهمية لتحقيق النجاح في اي من الاعمال سواء التقليدية او عبر الانترنت. وتبرز اهمية قياس رضا المستهلك من خلال الاتي :- (الخفاجي؛ بدون سنة: ٨٤-٨٥):-

١. للوقوف على مدى تحديد مدى رضا المستهلك.
٢. تقديم النتائج للشركاء في اي منظمة ومنهم مثلا جميع الممولين.
٣. يساعد في تشخيص اسباب عدم تحقق اهداف المنظمات.
٤. معرفة هل ان الفئة المستهدفة قد استفادت من الخدمة المقدمة.
٥. يساعد المشرفين على امكانية توسيع نطاق الانشطة والخدمات التي تقدمها المنظمة لتشمل متجمعات اخرى.
٦. تجنب تكرار الاخطاء في الانشطة نفسها والخدمات التي سوف تقدمها المنظمة.
٧. معرفة اذا كان نمط الادارة المتبع يحقق رضا المستهلك ام يحتاج الى مراجعة.

من خلال ما تم عرضه يرى الباحث ان المستهلك عند عملية شراء الخدمة يخرج بأحدى النتيجتين الاتيتين :-

١. قيمة ايجابية وشعوره بالرضا اذا ازدادت الخصائص الفعلية للخدمة عن توقعاته او تطابقت معها.
٢. قيمة سلبية وعدم الرضا اذا ازدادت توقعاته لخصائص الخدمة عن الخصائص الفعلية لها .

ثالثاً:- ابعاد رضا الزبون :-

ان جودة الخدمات تتكون من ثلاثة ابعاد رئيسية وهذه الابعاد تؤثر بشكل مباشر على رضا متلقي الخدمة ، وان هذه الابعاد هي : (الخفاجي ، بدون سنة ، ٨٦)

١. اجراء سير المعاملات ويشمل انجاز المعاملات في وقتها المحدد دون تأخير و وضوح الاجراءات وبساطتها وبعدها عن الروتين .
٢. كفاءة العاملين وحسن تعاملهم ويشمل لطف العاملين في تعاملهم مع المراجعين و استجابتهم لاحتياجاتهم و تواجدهم دائما على رأس اعمالهم و تنفيذ المعاملات دون تمييز و التقيد بالمواعيد المحددة .
٣. بعد الخدمة المقدمة من المؤسسة المختصة في تقديم الخدمة وتشمل فاعلية خدمة مكتب خدمة الجمهور و توفر مواقف جيدة للسيارات و ملاءمة اللوحات الارشادية الدالة على مواقع المديريات والاقسام ، تفاعل الاتصال الهاتفي مع الدائرة ، توفر المرافق الصحية ، خدمة تصوير الوثائق .

رابعاً: علاقة جودة الخدمة برضا الزبون :

ان المقولة القائلة " الرضا يؤدي الى الجودة " هي مقولة خاطئة والصحيح هو ان " الجودة تؤدي الى الرضا " والدليل على ذلك ان المنظمة التي تقوم بمقابلة احتياجات زبائنها تضمن رضاهم ، لذا اصبح رضا المستهلك هدفا رئيسيا من اهداف الجودة على اعتبار ان الجودة تهدف الى الارتقاء بمستوى الخدمة لتحقيق رضا المستهلكين . لذا اصبحت المنظمة الناجحة هي التي تأخذ بآراء الزبائن في عملياتها وخدماتها المقدمة لهم ، حتى ان العديد من المنظمات شاركت زبائنها في تصميم خدماتها وتطويرها ، وذلك من خلال تحديد اجراءات واضحة لشكاوي الزبائن واقتراحاتهم والتعامل معهم وبذل الجهد الممكن لتوفير الخدمة لكل شخص بما فيهم ذوي الاحتياجات الخاصة . (بلحسن ، ٢٠١٢ ، ٤٨) .

المبحث الثالث :- الجانب العملي

بعد الملموسية : يتضح من الجدول (١) ان بعد الملموسية تم قياسه من خلال (٤) فقرات :

السؤال	النسبة المؤية للاتفاق	محايد	عدم الاتفاق	الوسط الحسابي	الانحراف المعارية
تتوفر لدى دائرة البعثات تجهيزات ومعدات متطورة تستخدمها في انجاز خدماتها .	١١,٩	١٧,٤	٧٠,٧	٢,٣	٠,٨٣
المرافق واماكن استقبال المراجعين التابعة لدائرة البعثات ملائمة وصحية وجذابة .	٤٩,٤	٠	٤٩,٥	٢,٤	١,١
يتمتع العاملون في دائرة البعثات بحسن المظهر والهندام .	٨٤,٤	١٢,٨	٢,٨	٤,١	٠,٨
يتناسب المظهر العام للمكان الذي تقدم به الخدمة مع طبيعة ونوع الخدمة المقدمة .	٢٣	٥١,٤	٢٥,٧	٢,٩	٠,٧

وقد بلغت النسبة المئوية للاتفاق على هذا البعد (٤٢,١٨%) وهي اقل من النسبة المئوية للاتفاق المعياري والبالغة (٦٦,٧) % وهذه النتائج تشير وبدلالة واضحة بان هناك عدم ملموسية في تنفيذ المهام الخاصة بالمنظمة المبحوثة وما يؤكد هذه النتيجة قيمة الوسط الحسابي البالغة (٢,٩٣) % وهي اقل ايضاً من قيمة الوسط الحسابي البالغة (٣) % وقد جاءت قيمة الانحراف المعياري منسجماً مع هذه النتائج اذ بلغت (٠,٨٦) % والتي تشير الى وجود انسجام مقبول بين اجابات افراد العينة ، وبالتالي فان هذه النتائج لا تتوافق مع التساؤل الاول التي تضمنه هذا البحث والذي نص على : " هل توجد ملموسية في طبيعة الخدمات التي تقدمها المنظمة المبحوثة الى زبائنها " .

بعد الاعتمادية :- يتضح من الجدول (٢) ان بعد الاعتمادية تم قياسه من خلال (٤) فقرات

السؤال	النسبة المئوية للاتفاق	محايد	عدم الاتفاق	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري
تلتزم دائرة البعثات بتنفيذ المهام والاعمال في الاوقات المحددة وفقا لما تم الوعد به .	٨,٣	٣٦,٧	٥٥	٢,٣	٠,٨
يتعاطف العاملون في دائرة البعثات معك ويهتمون بمشكلتك ويجيبون على استفساراتك .	٧٥,٢	١١	١٣,٨	٣,٩	١,١
تحرص دائرة البعثات على تقديم الخدمة لك بشكل صحيح في اول مرة وبشكل جيد في المقام الاول .	٧,٣	٤١,٣	٥١,٣	٢,٣	٠,٨
تحرص دائرة البعثات على تقديم الخدمات في المواعيد التي يتم تحديدها .	٢٠,٢	٣٨,٥	٤١,٢	٢,٦	١,٠

وقد بلغت النسبة المئوية للاتفاق على هذا البعد (٢٧,٧٥) وهي اقل من النسبة المئوية للاتفاق المعياري والبالغة (٦٦,٧) % وهذه النتائج تشير وبدلالة واضحة بان هناك عدم وجود اعتمادية في تنفيذ المهام الخاصة بالمنظمة المبحوثة وما يؤكد هذه النتيجة قيمة الوسط الحسابي البالغة (٢,٧٨) % وهي اقل ايضاً من قيمة الوسط الحسابي البالغة (٣) % وقد جاءت قيمة الانحراف المعياري منسجماً مع هذه النتائج اذ بلغت (٠,٩٥) % والتي تشير الى وجود انسجام مقبول بين اجابات افراد العينة .

بعد سرعة الاستجابة :- يتضح من الجدول (٣) ان بعد سرعة الاستجابة تم قياسه من خلال (٤) فقرات

السؤال	النسبة المئوية للاتفاق	محايد	عدم الاتفاق	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري
تمتلك دائرة البعثات انظمة توثيق وسجلات دقيقة خالية من الاخطاء التي تخص خدماتها .	١٢,٨	٥٦	٣١,٣	٢,٦	٠,٩
يقوم العاملون في دائرة البعثات بأعلامك بدقة عن موعد تقديم الخدمة .	٧,٣	٣٣	٥٩,٦	٢,٣	٠,٧
يقدم العاملون في دائرة البعثات الخدمة لك بشكل فوري .	٢,٨	٢٢	٧٥,٢	٢,٢	٠,٦
ان العاملون في دائرة البعثات على استعداد دائم لمساعدتك .	٧,٣	١٦,٥	٧٦,٣	٢,٢	٠,٧

وقد بلغت النسبة المئوية للاتفاق على هذا البعد (٧.٥٥) وهي اقل من النسبة المئوية للاتفاق المعياري والبالغة (٦٦.٧) % وهذه النتائج تشير وبدلالة واضحة بان هناك عدم وجود سرعة استجابة لتنفيذ المهام الخاصة بالمنظمة المبحوثة وما يؤكد هذه النتيجة قيمة الوسط الحسابي البالغة (٢.٣٣) % وهي اقل ايضاً من قيمة الوسط الحسابي البالغة (٣) % وقد جاءت قيمة الانحراف المعياري منسجماً مع هذه النتائج اذ بلغت (٠.٧٣) % والتي تشير الى وجود انسجام مقبول بين اجابات افراد العينة .

بعد ثقة العملاء بالمنظمة :- يتضح من الجدول (٤) ان بعد ثقة العملاء بالمنظمة تم قياسه من خلال (٤) فقرات

السؤال	النسبة المئوية للاتفاق	محايد	عدم الاتفاق	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري
العاملون في دائرة البعثات لا ينشغلون عنك ويقومون بتلبية طلباتك فورا .	٦.٤	٣٦.٧	٥٦.٩	٢.٢	٠.٨
تمتلك دائرة البعثات عاملين يشعرك سلوكهم بالثقة والامان في تعاملك معهم .	٩.٢	٦٩.٧	٢١.١	٢.٨	٠.٦
وجود عاملين يتمتعون بالحس الانساني واللياقة والكياسة في التعامل معك .	١١.٩	٧.٣	٨٠.٧	١.٩	١.٠
تتوفر لدى العاملين في دائرة البعثات المعرفة الكافية للإجابة عن اسئلتك . .	٢١.١	٣٣.٩	٤٤.٩	٢.٧	٠.٨

وقد بلغت النسبة المئوية للاتفاق على هذا البعد (١٢.١٥) وهي اقل من النسبة المئوية للاتفاق المعياري والبالغة (٦٦.٧) % وهذه النتائج تشير وبدلالة واضحة بان هناك عدم ثقة في تنفيذ المهام الخاصة بالمنظمة المبحوثة وما يؤكد هذه النتيجة قيمة الوسط الحسابي البالغة (٢.٤٠) % وهي اقل ايضاً من قيمة الوسط الحسابي البالغة (٣) % وقد جاءت قيمة الانحراف المعياري منسجمة مع هذه النتائج اذ بلغت (٠.٨) % والتي تشير الى وجود انسجام مقبول بين اجابات افراد العينة .

بعد الاهتمام بالزبون :- يتضح من الجدول (٥) ان بعد الاهتمام بالزبون تم قياسه من خلال (٥) فقرات .

السؤال	النسبة المؤية للاتفاق	محايد	عدم الاتفاق	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري
يوجد تفاعل بين الطاقم الذي يعمل في دائرة البعثات والمستفيدين من تلك الخدمات بشكل لطيف ولبق .	٣٨.٥	٣٠.٣	٣١.٢	٣.٠	١.٠
تولي دائرة البعثات اهتماما شخصيا بك .	١١	٢٤.٨	٦٤.٢	٢.١	١.٠
ساعات العمل في دائرة البعثات مناسبة لجميع المواطنين .	٨١.٧	٧.٣	١١	٣.٩	١.٠
يمتلك العاملون في دائرة البعثات القدرة على منحك الاهتمام الشخصي .	١٣.٧	٢٠.٢	٦٦	٢.٣	٠.٩
ان دائرة البعثات على دراية وعلم باحتياجاتك من الخدمة المقدمة .	٨٤.٤	٧.٣	٨.٣	٣.٨	٠.٨

وقد بلغت النسبة المئوية للاتفاق على هذا البعد (٤٧.٧٠) وهي اقل من النسبة المئوية للاتفاق المعياري والبالغة (٦٦.٧) % وهذه النتائج تشير وبدلالة واضحة بان هناك عدم وجود اهتمام بالزبون في المنظمة المبحوثة وما يؤكد هذه النتيجة قيمة الوسط الحسابي البالغة (٢.٩) % وهي اقل ايضاً من قيمة الوسط الحسابي البالغة (٣) % وقد جاءت قيمة الانحراف المعياري منسجماً مع هذه النتائج اذ بلغت (١.١٨) % والتي تشير الى وجود انسجام مقبول بين اجابات افراد العينة .

المبحث السادس :- الاستنتاجات والتوصيات

اولاً :- الاستنتاجات :-

١. ان جودة الخدمات التي تقدم في المنظمة المبحوثة كانت منخفضة جدا ، ويستوجب على الادارة العليا في المنظمة اتخاذ التدابير اللازمة في حل المعوقات التي تقف حائلاً بين الزبون وبين تقديم الخدمة بالشكل المناسب .
٢. عدم استخدام التكنلوجيا الحديثة في المنظمة المبحوثة بالشكل الصحيح ولا زال استخدام الحاسوب بالشكل البدائي وعدم وجود رؤية لحل هذا الاشكال بالرغم من وجود الموظفين المؤهلين الذين يجيدون استخدام الحاسوب بشكل جيد .

٣. اهمال وحدة الصادرة والواردة وذلك لعدم وجود ارشفة الكترونية وكذلك عدم وجود ارشفة ورقية في المنظمة المبحوثة والتي هي من اهم الوحدات الادارية في المنظمة .

٤. الاستمارة الالكترونية ليس لها دور في عملية فتح الملف الدراسي او تقييم التحصيل العلمي وذلك لعدم تفعيلها بالشكل الصحيح والذي يخدم عمل المنظمة المبحوثة .

٥. عدم وجود لوحات استدلالية للمكاتب الخاصة الوحدات الادارية والشعب والاقسام في المنظمة المبحوثة .

ثانياً :- التوصيات :-

١. على المنظمة المبحوثة الاهتمام اكثر بزبائنها وتقديم الخدمة على النحو الامثل وتذليل المعوقات كافة من قبل الادارة العليا لتحقيق ميزة تنافسية في تقديم الخدمة .

٢. استخدام التكنولوجيا الحديثة واتمتة العمليات الادارية بما يخدم المنظمة المبحوثة وزبائنها .

٣. الاهتمام بوحدة الصادرة والواردة واستخدام الارشفة الالكترونية والورقية في عملها .

٤. تفعيل دور الاستمارة الالكترونية بالشكل الصحيح وربطها ببرنامج الكتروني معين لتمكين الموظفين العاملين في المنظمة من ادراجها بما يخدم مصلحة الزبون وكذلك تمكين الادارة العليا استخدامها في معرفة اعداد الطلبة الفعليين وإعداد الإحصائيات اللازمة وعلى كافة المستويات (بكالوريوس ، ماجستير ، دكتوراه) وكذلك نوع الدراسة (زمالة ، بعثة ، اجازة دراسية) .

٥. ضرورة وضع لوحات استدلالية على مكاتب الموظفين لتمكين الزبون من معرفة المكان المقصود الذي يتم من خلاله تقديم الخدمة له .

المصادر:-

١. ويلسون، اوبري،١٩٩٥،اتجاهات جديدة في التسويق ، الدار الدولية للتوزيع والنشر .

٢. الحناوي ، محمد ،١٩٧٦، ادارة التسويق ، دار الجامعات المصرية للطباعة والنشر ، الاسكندرية، مصر .

٣. موسى، غانم فنجان، عبد العباس، محمد صالح، ١٩٩٩، ادارة المبيعات والاعلان، مطابع دار الحكمة للطباعة والنشر، جامعة الموصل، العراق.

٤. احمد محمد سمير ، ٢٠٠٩ ، الجودة الشاملة وتحقيق الرقابة في البنوك التجارية ، دار المسيرة للطباعة والنشر، عمان الاردن .

٥. العزاوي ، محمد عبد الوهاب ،٢٠٠٥ ، ادارة الجودة الشاملة ، دار الميسر للنشر والتوزيع والطباعة ،عمان ، الاردن.

٦. اسعد حماد ابو رمان ،١٩٩٧، تسويق الخدمة وامكانية تطويرها من وجهة نظر النزلاء، عمان ، الاردن .

٧. معلا ،ناجي ذيب ،١٩٩٨،قياس جودة الخدمات المصرفية التي تقدمها المصارف التجارية ف الاردن ، مجلة دراسات العلوم الادارية ،المجلد٢٥،العدد٢.

٨. برنامج ضمان الجودة Q.A.P، بدون سنة، ندوة ضمان جودة الخدمات، عمان ،الاردن .

٩. عادل محمد عبدالله ،ادارة جودة الخدمات ، الطبعة الاولى ،٢٠١٣، مؤسسة الوراق للنشر ،عمان الاردن .

المصادر الاجنبية :-

1. **Gardener,jonathan,HMOs get Medicear marketing Guidelines,1997,journal,of modern, Health Care ,September.**
2. **Kotler,P,and Turner,Ronald E,1998,Marketing Management ,6th Ed,Prentice-hall Inc,New jersey,USA.**
3. **Nakijima,Hiroshi,1997,Better health through use of resources , the magazine of the world health Organization, 50th Yaer,no 5, October.**
4. **Kotler ,p.and Armecetrong G ,1994,principles of marketing 6th ed,Inc,Prentice Hall, New-Jersey.**

5. Gordon Greenly,e.and Shipley david,1988,Readings in marketing management, McGraw-hall book company ,INC ,Berkshire ,UK.
6. Morgan,Anandarjan,bey,Arinze,1997,preparting for ISO 9000,computer Information Systems,spring.
7. Owen A ,Bevan,1994,marketing,prentice-hall inc,1st.ed,New-Jersey.
8. Jr.Cronin,joseph,j.steven A.taylor,1994,SERVPERF,versus SERQUAL :Rcon Cilling performance-Based and perception-minus-Expectation service Quality, journal of marketing ,vol,58,January.
9. (parasuaman & zeihmal et berry,2009 SERQUAL :Rcon Cilling performance-Based and perception-minus-Expectation service Quality, journal of marketing ,vol,176,January.

دراسة في الاحكام الاجرائية لدعوى حوادث الاستهلاك «دراسة مقارنة في ظل قانون حماية المستهلك العراقي رقم ١ لسنة ٢٠١٠»

ا.د. طارق كاظم عجيل
كلية القانون- جامعة ذي قار

المستخلص

يسلط هذا البحث الضوء على الحماية الاجرائية التي يجب أن يتمتع بها المستهلك في مواجهة المنتج، وهي حماية لا تقل خطورة عن الحماية الموضوعية المتمثلة بكم الالتزامات والواجبات التي يلقيها المشرع على عاتق المنتج لمصلحة المستهلك، فما فائدة الحق اذا كان طريق الوصول اليه معقدا، بحيث يعرف المستهلك ان له حق في مواجهة المنتج، ولكنه يترك المطالبة به، أما لجهل سبيل الوصول الى هذا الحق واما لصعوبة الوصول اليه.

إن هذا البحث محاولة متواضعة حاولنا من خلالها التركيز على الطريق الذي يجب على المستهلك سلوكه للوصل الى حقه، كما حاولنا أن نسلط الضوء على مكامن الضعف والتعقيد في الاجراءات الواجب اتباعها من قبل المستهلك، يحدونا الامل في أن ينتبه لها المشرع العراقي ويتلافاها في اقرب وقت ممكن بعد تفعيل العمل بقانون حماية المستهلك لتوفير حماية فاعلة وامنة للمستهلك العراقي.

الكلمات المفتاحية : الاحكام الاجرائية ، حوادث الاستهلاك ،قانون حماية المستهلك العراقي

Abstract

This research sheds light on the procedural protections that must be enjoyed by the consumer in the face of the producer, which is of no less importance than the substantive protection represented obligations and duties delivered by the legislature upon the produer for the consumer's interest. What is the benefit of right if access road to it is complicated. So the consumer knows that has a right in the face of the produer, but leaves it, either out of ignorance of how to access this right, or out of the difficult way to accessit.

This research is modest attempt through which we focus on the way to the consumer should go to access his right. We tried to highlight the weaknesses and complexity of the procedure to be followed by the consumer. We hope to draw the attention of the Iraqi legislator and get rid of as soon as possible especially after activating

the consumer protection law to provide safe and effective protection the Iraqi consumer.

المقدمة

شهد العالم وقبل أكثر من قرن ونصف ثورة صناعية كبرى بدأت بوادرها في بريطانيا، ثم اوروبا، ثم شملت العالم بأسره، وكان من نتائج هذه الثورة، أن تطور العالم تطورا سريعا في جميع الميادين، فتطورت الصناعة، وزاد الانتاج، وتنوعت اساليب الزراعة، فدخلت المكننة في كل شيء.

وترتب على هذه الثورة أن تغيرت طبيعة الاسواق، فتراجعت المنتجات الزراعية وتقدمت المنتجات الصناعية لتحتل مرتبة الصدارة، فغزت الاسواق منتجات جديدة لا معرفة سابقة للإنسان بها، فظهرت وسائط النقل الحديثة، والاجهزة الكهربائية، والمنتجات الغذائية المعلبة، ومستحضرات التجميل والادوية ...الخ؛ كما تطورت الخدمات ايضا فظهرت مهناً جديدة جاءت انعكاسا لهذا التطور الصناعي فظهرت المهن الخاصة بإصلاح وسائط النقل والاجهزة الكهربائية والميكانيكية ... الخ.

كما ترتب على هذه الثورة ظهور طبقة جديدة في المجتمع تضاف الى طبقات المجتمع التقليدية، فبعد أن كان الكلام قائماً عن صراع بين ملاك ومستأجرين، أو بين أرباب العمل والعمال، بدأ الكلام عن صراع قائم بين منتجين هذه السلع والخدمات وبين المستهلكين، فهؤلاء الاخيرين طبقة ضعيفة لا تفقه في الصناعة شيئا، لذلك هي بحاجة الى حماية القانون.

وقد بدأ القضاء الفرنسي منذ وقت ليس بالقريب يتحسس هذا الضعف، فبدأ بتفسير جريء لمواد القانون المدني الفرنسي، يحاول أن يخلق قدراً من التوازن بين حقوق المنتجين من جهة وحقوق المستهلكين من جهة أخرى، واضعا نصب عينيه هدفا لا يحيد عنه، الا وهو كيفية ايصال التعويض الى المستهلك بأسهل طريق واضمن طريق.

فاستعان القضاء الفرنسي بقواعد الضمان والمطابقة احيانا، أو بالاستناد على فكرة الحراسة، بل انطلاقا من فكرة السلامة أحيانا أخرى.

ورغم عدالة الحلول التي توصل اليها القضاء الفرنسي، إلا أنها أبانت عن مؤاخذات عديدة، دفعت المشرع الفرنسي إلى التدخل بالقانون ٩٨-٣٨٩ الصادر في ١٩ مايو ١٩٩٨ والمتعلق بالمسؤولية عن فعل المنتوجات المعيبة.

وفي العراق جاءت المعالجة التشريعية لحماية المستهلك متأخرة، فلم يصدر في العراق قانون لحماية المستهلك الا في عام ٢٠١٠ هو القانون رقم ١، والذي جاء

ليستحدث هيئة جديدة مهمتها الاساسية الدفاع عن حقوق المستهلكين، هذه الهيئة هي مجلس حماية المستهلك.

ورغم مرور اكثر من اربع سنوات على صدور القانون، الا ان القانون الى حد الان لم يفعل، فلم يشكل مجلس حماية المستهلك، مما يعني أن الحماية التشريعية للمستهلك العراقي الى حد هذه اللحظة حبر على ورق.

ولما كنا مقيدين من حيث الكم والوقت، فقد اخترنا أن نبحث في الاجراءات الواجب على المستهلك العراقي في ظل قانون حماية المستهلك ابتاعها لحماية حقه، والوصل الى التعويض المناسب.

ان اغلب الدراسات التي بحثت في مسؤولية المنتج من جهة، وحماية حقوق المستهلك من جهة أخرى، ركزت في الاغلب الاعم على الحماية الموضوعية، ولم تتناول الحماية الاجرائية بالبحث والدراسة، لذلك جاءت هذه الدراسة محاولة بسيطة، لتبيان هذه الاجراءات وبيان النقص والخلل الذي يمكن أن يرد هنا وهناك والتوصية لتلافيه من قبل المشرع مستقبلا، والحمد لله رب العالمين اولا واخرا.

المبحث الأول
الصفة في دعوى حماية المستهلك

من المبادئ العامة المستقرة في فقه المرافعات " أن لا ترفع الدعوى الا من ذي صفة على ذي صفة"، وهذا يعني أن تكون الدعوى مرفوعة من قبل صاحب الحق محل الاعتداء، أو الطالب للحماية[1].

ولا تكاد دعاوى حماية المستهلك وعلى تنوعها، تخرج عن هذا المبدأ العام، بيد أن الصفة هنا تأخذ مضمونا أوسع بحسب اختلاف المصالح المنتهكة من قبل المسؤول (المدين بالتعويض)، فردية تتعلق بالأذى الذي يلحق بالمستهلك، ومن بعده ذوي حقوقه (المطلب الأول)، أو يرتبط الضرر بمجموع المصالح العامة للمواطنين بما يجعل مجلس حماية المستهلك هو صاحب الصفة في مباشرة الدعوى (المطلب الثاني)، وقد يطال الانتهاك المصلحة المشتركة أو الفردية، وحينها يقع على عاتق جمعيات حماية المستهلك في بعض الدول واجب تحريك الدعوى.

---

[1]- انظر: د. صلاح الدين الناهي، الوجيز في المرافعات المدنية والتجارية، دراسة مقارنة، شركة الطبع والنشر الاهلية، بغداد، ١٩٦٢، ص١٤٩.

ولن يلغي هذا التنوع والتفرقة بطبيعة الحال فرضية اجتماع هذه الدعاوى وتقاطعها حينما تلحق الأضرار بمختلف المصالح في الآن نفسه.

المطلب الأول
المضرور وذوي الحقوق

يعد المستهلك (المضرور المباشر) صاحب الحق الأصيل (ذو الصفة) في طلب التعويض عن الأضرار الماسة بشخصه أو ماله، والمترتبة على المنتوج المعيب إذا توفرت فيه أهلية التقاضي ووجدت مصلحة قانونية تبرر طلبه.

إن الحق السالف يجد سنده في المبادئ الدستورية، حيث نصت الفقرة الثالثة من المادة ١٩ من الدستور العراقي الصادر عام ٢٠٠٥ على انه: «التقاضي حق مصون ومكفول للجميع»، بل إن المواثيق الدولية لحقوق الإنسان ما فتئت تؤكد على هذا الحق، فهذه المادة ٦ من الاتفاقية الأوربية لحقوق الإنسان تنص على أنه: «لكل شخص الحق في اللجوء إلى القضاء لينظر في دعواه بصفة علنية وعادلة في أجل معقول عن طريق هيئة قضائية مستقلة ومحايدة ينشؤها القانون».

فمن المؤكد بعد ذلك أنه لا يمكن حرمان المستهلك المتضرر من حقه في اللجوء إلى القاضي، ولذا فإن الشروط العامة التي توردها المؤسسة المقدمة للمنتوجات أو العارضة للخدمات، بالمخالفة لقواعد القانون من ضرورة حل المنازعات التي تثور بين المهني والمستهلك بالطرق الودية، تعد تعسفية غير مكتوبة[٢].

هذا وإن مدلول المضرور بحسب قواعد مسؤولية المنتج يأخذ مفهوما واسعا، فيشمل الضحية المتعاقد على السلعة ومستعمليها من أفراد العائلة وأقاربه، بل ينسحب أيضا على الأغيار المصابين بأضرار فعل المنتوج المعيب (إصابة أحد المارة بإصابات وجروح من جراء انفجار قارورة غاز معيبة) [٣].

---

[٢]- انظر: د. محمود جمال الدين زكي، مشكلات المسئولية المدنية، الجزء الأول، مطبعة جامعة القاهرة، ١٩٩٠، ص٦٥- ٦٦، حسين عامر، المسئولية المدنية، التقصيرية والعقدية، مطبعة مصر، ط١، ١٩٥٦، ص٢٧٦.

[٣]- انظر: د. فتحي عبد الرحيم عبد الله، دراسات في المسئولية التقصيرية (نحو مسئولية موضوعية)، منشأة المعارف، الاسكندرية، ٢٠٠٥، ص١٩٥.

ويستوي هنا، أن يكون الضرر جسديا (ماديا أو معنويا)، أو ماليا (الأضرار الماسة بأموال الضحية) [٤].

وغني عن البيان، أن المضرور المباشر حينما تثبت له صفة الطالب للتعويض، له أن يباشر الدعوى بنفسه كما له أن يوكل عنه نائبا قانونيا، بل أن الوضع الغالب هو توكيل الضحية لمحامي ليتأسس في حقه أمام جهات القضاء[٥].

وبحسب قواعد القانون المدني الفرنسي والعراقي، فإن مدلول المضرور يجب أن لا يقتصر على الضحية المباشر الذي لحقه الأذى من أضرار المنتوجات، بل يشمل أيضا غير المباشرين من الفعل الضار، المتضررين بالارتداد، وهم الأشخاص الذين يلحقهم أذى مادي أو معنوي من جراء موت الضحية أو إصابته من أفراد عائلته (زوجته، أصوله، أو فروعه)، بل يتقرر هذا الوصف في حق كل شخص يثبت الضرر الذي لحقه من الحادث الذي أصاب الضحية المباشر [٦].

ويجب التنبيه هنا، إلى أن المضرور بالارتداد يحوز الصفة في رفع دعوى مباشرة وشخصية لطلب التعويض عن الضرر الذي لحقه من جراء موت المصاب، وهي بطبيعة الحال تختلف عن دعوى الحلول التي تثبت له – محل مورثه بطريق الاستخلاف (خلف عام)، والتي تتقرر له بعد وفاة الضحية، سواء عن الحقوق التي بدأ المدعي المتوفي – مباشرة الدعوى بشأنها، أو بداءة بصدد مالم يبادر المتوفي بالتداعي بشأنه أمام القضاء (دعوى جديدة) [٧].

---

[٤]– انظر: د. محمد عبد القادر الحاج، مسؤولية المنتج والموزع، دراسة في قانون التجارة الدولية مع المقارنة بالفقه الاسلامي، دار النهضة العربية، القاهرة، ٢٠٠٤، ص٢٢٩.

[٥]– انظر: د. علي الفتاك، تأثير المنافسة على الالتزام بضمان سلامة المنتوج، دار الفكر الجامعي، الاسكندرية، ٢٠٠٨، ص٤٩٩.

[٦]– انظر: المادة ٢٠٣ والمادة ٢٠٥/ ٢ من القانون المدني العراقي، وهما لا يجيزان المطالبة بالتعويض عن الضرر المرتد الا ا ذا ترتب على خطأ المنتج موت المصاب.

[٧]– انظر في التمييز بين الدعوى الوراثية والدعوى الشخصية: د. احمد شرف الدين، انتقال الحق في التعويض عن الضرر الجسدي، مطبعة الحضارة العربية، الفجالة، بلا سنة طبع، ص٦٠ وما بعدها.

وفي الجملة فإن المضرور بالارتداد تثبت له صفة رفع الدعوى للمطالبة بالتعويض المستحق عن الضرر كون القيمة المالية المحكوم بها ستثري ذمة المتوفي، ومن بعده خلفه.

ولقد لخصت محكمة النقض الفرنسية الأحكام السالفة في حكم لها صادر في ٢٨ أبريل ١٩٨٩ بقولها: «يكون المنتج مسؤولا عن الأضرار الناتجة عن عيوب منتجاته في مواجهة المضرورين المباشرين، وبالارتداد دون التفرقة بين المتعاقدين والأغيار»[٨].

هذا ولم يتردد القضاء الفرنسي في استفادة دائني المتضرر المباشر (الضحية)، والمتنازل لهم عن الحق في التعويض -مجانا أو بمقابل- بالحق في الحلول محل مدينهم في قيمة التعويض أمام القضاء المدني، وهو ما أكدت عليه محكمة النقض الفرنسية (الغرفة المدنية الثانية)، في حكم لها صادر بتاريخ ٢٣ نوفمبر ١٩٨٣ بقولها: «لا يوجد هنالك ما يمنع قانونا من قبض دائني المضرور للمبالغ التي قررت له تعويضا عن الأضرار الماسة بشخصه، فيما عدا ما تعلق منها بالمصاريف المعاشية»[٩]، وفي تعليق على ذلك يرى جانب من الفقه الفرنسي أنه حتى لو لم تسعف هذه الصيغة دائني المضرور، فإن فكرة الدعوى غير المباشرة والتي تثبت لهم بمقتضى القواعد العامة المنصوص عليها في المادة ١١٦٦ من القانون المدني الفرنسي ستمكنهم من الحلول محله بل أنه ليس هنالك ما يمنع – وبرأي توجه قضائي فرنسي مستقر - أن تتأسس بعض الهيئات كطرف مدني محل المضرور أمام هيئات القضاء لمطالبة المسؤول عن فعل المنتجات المعيبة، والتي ألحقت أذى بالضحية قبل وفاته، وكان أن تكفلت تلك الهيئات (صندوق الضمان الاجتماعي، أو صناديق الضمان عن تعويض ضحايا حوادث نقل الدم، وشركات التأمين) بدفع مبالغ التعويض أو مصاريف العلاج والعمليات الجراحية، أو

---

[8] –Cass. Civ. 1ere Ch., 28 avril 1998, J.C.P. 1998, 11, 10088, Rap. P. SERGOS.

– اشار اليه: د. قادة شهيدة، المسؤولية المدنية للمنتج، دراسة مقارنة، دار الجامعة الجديدة، الاسكندرية، ٢٠٠٧، ص٢١٧.

[9] –Cass. Civ. 2ere Ch., 23 Nov. 1983, Bull civ, 11, n0 188, J.C.P. 1998, Ed, G, 1985, 11, 20378, N. Y.

– اشار اليه: د. قادة شهيدة، المصدر السابق، ص٢١٧.

المصاريف المعاشية للمضرور، ويعطيها هذا الحق في الرجوع على المدعى عليه أو مؤمنه (شركة التأمين المؤمن لديها المسؤول عن الضرر).

المطلب الثاني
مجلس حماية المستهلك

حينما يؤدي انتهاك مصالح المستهلكين إلى ارتكاب مخالفة، أو جنحة، أو جناية، تثبت الصفة لمجلس حماية المستهلك في تحريك ومباشرة الدعوى العمومية، بحسبانه المحامي للمصالح الجوهرية لجمهور المستهلكين.

إن تحريك الدعوى العمومية من قبل مجلس حماية المستهلك أمام المحاكم العراقية يكون في الغالب بعد إبلاغها بالشكوى من قبل أحد المستهلكين المتضررين، أو بعد إخطاره من قبل لجان التفتيش بعد معاينتها للمخالفة[١٠].

ويحسن بنا الإشارة هنا، إلى أن الدعوى المدنية- التي للمتضرر مصلحة في رفعها- ترتبط بالدعوى العمومية، بل يكاد هذا الحكم يمثل القاعدة في تطبيقات القضاء المقارن في مجال دعاوى التعويض عن الأضرار التي ترتبها المنتجات المعيبة، إذ ينتظر غالبا إثارة الجهة المختصة للدعوى أمام المحكمة الجنائية، ليتدخل فيها كطرف مدني مستفيدا من جهة سرعة الإجراءات والحكم في الدعوى، ومن تحرره، ومن تحرره من عبء الإثبات (المسؤولية والعيب).

ومن المفيد التذكير هنا، أن المشرع العراقي منح مكافأة مالية لا تقل عن 100,000 مئة الف دينار ولا تزيد عن مليون دينار تسدد من الجهة ذات العلاقة التي يتم الاخبار امامها اذا ادى الاخبار الى ادانة الفاعل واكتساب القرار درجة البتات[١١].

المبحث الثاني
الإجراءات الواجب اتباعها لقبول دعوى حماية المستهلك

---

[١٠]- انظر: المادة ٥/ ثالثا من قانون حماية المستهلك العراقي رقم ١ لسنة ٢٠١٠، والمادة ٥/ تاسعا/ ٣ من ذات القانون.

[١١]- انظر: المادة ١٠/ ثالثا من قانون حماية المستهلك العراقي رقم ١ لسنة ٢٠١٠.

كأصل عام فإن الإجراءات التي يتعين على الطرف المتضرر من حوادث الاستهلاك مراعاتها حين رفعه لدعوى التعويض، لا تكاد تخرج عن الأحكام المنصوص عليها في قواعد الإجراءات المدنية، إذا عن له رفعها أمام القضاء المدني، أو الأحكام الواردة في قانون اصول المحاكمات الجزائية إذا اختار سبيل التداعي أمام جهة القضاء الجزائي.

إن إعمال قواعد الإجراءات في هذا الصدد، تتوقف على الإجابة عن السؤال الآتي: هل أن إخلال المهني بالتزامه القانوني (عقدي أو تقصيري) ارتبط بارتكابه لجنحة أو مخالفة أم لا؟

فإذا كانت الإجابة بنعم- وهي الأكثر تصورا- ففي هذه الحالة فإن المتضرر من الفعل (الإيجابي أو السلبي) له الخيار بين رفع دعواه للمطالبة بالتعويض عن الضرر أمام المحكمة الجزائية، أو ارتياد المحكمة المدنية للفصل في دعواه[١٢]، والجاري العمل به أمام القضاء المقارن أن الضحية كثيرا ما يتخير السبيل الأول – المحكمة الجزائية – مستفيدا من مزايا الترافع أمام جهات القضاء الجنائية[١٣]، متوسلا في ذلك أحد الطريقين:

الطريق الأول: يكون عن طريق التأسيس مدنيا بطريق رفع الدعوى، وفي هذه الحالة يفترض أن الدعوى العمومية لم تباشر من قبل الجهة المختصة، ويستوي هنا أن ترفع الدعوى المدنية مع الدعوى العمومية، أو بالتبعية لها.

هذا ويستفيد المتضرر هنا من اتساع مجال المطالبة القضائية –الدعوى المدنية- الذي نصت عليه المادة ١٠ من قانون اصول المحاكمات الجزائية العراقي بقولها: (لمن لحقه ضرر ..... أن يدعي بالحق ضد المتهم والمسؤول مدنيا عن فعله ....)، مما يعني جواز مقاضاة المدعى عليه المتهم والمسؤول مدنيا عن فعله سواء كان، شخصا طبيعيا أو مؤسسة خاصة، بل حتى المرافق العامة ذات الطابع

---

[١٢]- انظر: المادة ٩ من قانون اصول المحاكمات الجزائية العراقي رقم ٢٣ لسنة ١٩٧١ (المعدل).

[١٣] - فبالإضافة الى ميزة سرعة الفصل في دعواه من القاضي الجزائي، وقلة التكاليف وبساطة الإجراءات، فإن المضرور من حوادث الاستهلاك يستفيد من المساعدة الذي تقدمها له الجهة المختصة في مجال إثبات فساد وخلل المنتوج المؤدي إلى إلحاق الضرر به.

الاقتصادي والتجاري[١٤]، بل إن نطاق المساءلة هنا يشمل، وبحسب ذات المادة – أي المادة ١٠-، كافة أوجه الضرر، مادية كانت، أو جسمانية، أو أدبية، مادامت ذات صلة بالدعوى العمومية.

وقد اتاحت المادة ١٠ ايضا للمتضرر من الجريمة فرصة الادعاء مدنيا بتقديم شكواه بعريضة أو طلب شفوي يثبت في المحضر اثناء جمع الادلة أو اثناء التحقيق الابتدائي أو أمام المحكمة التي تنظر الدعوى الجزائية في أية حالة كانت عليها حتى صدور القرار فيها ولا يقبل ذلك من المتضرر لأول مرة عند الطعن تمييزا، حيث نصت المادة ١٠ على انه: (من لمن لحقه ضرر مباشر مادي أو أدبي من أية جريمة أن يدعي بالحق المدني ...).

ويتيح القانون الفرنسي للمتضرر، وفي حالات المخالفات، الادعاء بالتبليغ المباشر أمام الجهة القضائية المختصة مع تقديم كفالة مالية.

الطريق الثاني: يكون التأسيس المدني بطريق التدخل، والفرض أن يؤدي الدعوى العمومية قد باشرها مجلس حماية المستهلك، فيتدخل المتضرر المدني في الدعوى بعد إبلاغه برفعها.

ويبدو أن هذا الحل هو الأكثر قبولا لدى المستهلك المتضرر، وخاصة حين لا تسعفه وسائل الإثبات للوقوف على معيوبية المنتوج المؤدية إلى الضرر.

ويبقى حق المتضرر مدنيا في التدخل في هذه الحالات مرتبطا بالأفعال. التي بلغ بها والناتجة عن حادثة الاستهلاك. فليس له تجاوزها إلى غيرها من الوقائع الجديدة.

وغني عن البيان، أن القول السالف بتفضيل المتضرر من عيوب المنتوجات اللجوء إلى المحاكم الجزائية لن يعدمه وسيلة طلب التعويض أمام جهات القضاء المدني بحسبانها صاحبة الاختصاص الأصيل للنظر في الدعاوى، وخاصة أن السبيل الأول –القضاء الجنائي- قد يوصد في وجه ذوي الحقوق المتضررين من حوادث الاستهلاك[١٥].

ولقد اجازت المادتان ٢٥ و٢٦ من قانون اصول المحاكمات الجزائية العراقي للمضرور مباشرة الدعوى المدنية منفصلة عن الدعوى الجزائية، مما يعني انعقاد الاختصاص للمحكمة المدنية للفصل في دعوى التعويض التي يرفعها المستهلك المتضرر، وحينها ترجى حكمها إلى غاية صدور الحكم الجنائي، ومن الطبيعي أن

---

[١٤]– انظر: د. سامي النصراوي، دراسة في اصول المحاكمات الجزائية، ج١، في الدعوى العمومية والدعوى المدنية والتحري والتحقيق والاحالة، ط١، ١٩٧٢، ص٢٣٤.

[١٥]– انظر: د. سامي النصراوي، مصدر سابق، ص١٧٦.

يقفل أمام المدعي المدني الطريق الجنائي، إلا إذا رفعت الجهة المختصة –مجلس حماية المستهلك مثلا- الدعوى، ولم تصدر المحكمة المدنية حكمها في القضية.

المبحث الثالث
اثبات دعوى المستهلك

ليس هناك من شك، في أن جدية الدعاوى التي يرفعها المتضررون من حوادث فعل المنتوجات المعيبة، تتوقف في المقام الأول بمدى تمكن المدعي من إثبات الضرر ونسبته لعيب المنتوج.

وقد تعسف لجان التفتيش التابعة لمجلس حماية المستهلك المتضرر في الإثبات، حينما يرتبط الإخلال المدني بخطأ جنائي، وحينها تضطلع بتجميع أدلة الإدانة، وتكون عينها محل الإثبات الذي يتأسس عليه الطرف المدني للمطالبة بالتعويض، وهذا الافتراض لا يتحقق في كل الأحوال.

هذا وإن تفرد دعاوى الاستهلاك ببعض الأحكام الخاصة في مسألة الإثبات لن يحول البتة دون الرجوع إلى القواعد العامة المنصوص عليها في القانون المدني، وقانون المرافعات المدنية، وهو ما يمكن الاصطلاح عليه بالمبدأ العام الواجب إعماله في هذا الصدد (المطلب الأول).

بيد أن خصوصية حوادث الاستهلاك تظهر بجلاء في كون الإثبات، ينصب على معطيات علمية وتقنية، تتصدى الخبرة (البيولوجية أو الفيزيوكيميائية) لكشفها، بالصورة التي يبدو معها أن الفصل في تلك المسائل يتوقف، وبدرجة كبيرة، على ما تنتهي إليه تلك الخبرة (المطلب الثاني).

المطلب الأول
المبدأ العام في الإثبات

إن حق المتضرر في التعويض عن الأضرار الناتجة عن فعل المنتوجات المعيبة يرتبط من حيث الأصل بمدى إمكانية إثباته لمصدر الالتزام الذي يقع على المدين (المنتج) بإصلاح الضرر أو جبره، سواء كان تصرفا قانونيا، أو واقعة مادية.

وبغير هذا الدليل، فإن الحق، وعلى رأي الأستاذ بلانيول، لن يحيى، ولن يتعزز، بل ولن يمكن المدعي من مزيته.

هذا وبمقتضى الأصول العامة للإثبات، فإنه يقع على المدعي اثبات الالتزام، ويقع على المدعى عليه إثبات التخلص منه، وهو ما تؤكده المادة ١٣١٥ من

القانون المدني الفرنسي بقولها: «على الدائن إثبات الالتزام، وعلى المدين إثبات التخلص منه»[١٦].

وغني عن البيان، أنه حينما يطلب المستهلك من المهني تنفيذ التزام، يتعين عليه إثبات وجوده (التدليل على مصادره)، ولن يحول هذا دون تمكين المنتج من إثبات أن الالتزام قد نفذ.

ومن المناسب الإشارة هنا، ان مسلك القضاء الفرنسي يجري على عدم التطبيق الحرفي للمبدأ الوارد في المادة ١١٣٥ من القانون المدني، وخاصة في حالة تذمر المستهلك من عدم التنفيذ الكلي للالتزام (عدم تسليم المنتوج)، أو الإخلال بالالتزام بالإعلام، إذ يقع على المدين عبء إثباته للالتزام[١٧].

وغالبا ما ينصب الإثبات على وقائع مادية، وهو ما يعني التدليل عليها عن طريق الكتابة، أو البينة، أو القرائن، أو الإقرار، أو اليمين، وطبعا عن طريق الخبرة على النحو الذي سيأتي عرضه لاحقا.

ولكن هل يعني هذا، أن إطلاق يد المدعي في تخير ما يشاء من طرق الإثبات السالفة، كفيل بتذليل عقبات الإثبات التي يواجهها المضرور في دعواه؟

ومن دون المصادرة على المطلوب، فإن الواقع العملي الذي تجري فيه إثارة مسؤولية المنتج من قبل المتضررين يدعونا إلى التحفظ، بل والتشكيك في الحكم السالف، وهو ما دفع جمعيات حماية المستهلك في فرنسا إلى الدعوى إلى قلب عبء الإثبات -ولو في حالات محددة-، عن طريق إعمال تقنية القرائن القانونية.

وأمام تلك الاحتجاجات، سجلنا بعض التحول في مسلك القضاء الفرنسي، والذي ذهب أحيانا إلى اعتبار خطأ المهني مفترضا وخاصة في حالات نقل الدماء الموبوءة بداء فقدان المناعة، بل أنه لم يتوان في التأكيد أحيانا، على اعتبار أن

---

[١٦]- انظر: د. سليمان مرقس، المسئولية المدنية في تقنينات البلاد العربية، القسم الأول، الاحكام العامة، معهد البحوث والدراسات العربية، مطبعة الجبلاوي، ١٩٧١، ص٤٦١، د. حسن علي الذنون، المبسوط في المسؤولية المدنية، ج١، الضرر، شركة التايمس للطبع والنشر المساهمة، بغداد، ١٩٩١، ص٢٤٤.

[١٧]- انظر: د. سامي النصراوي، مصدر سابق، ص١٧٦.

مجرد طرح منتوج معيب، يكفي وحده لإثبات خطأ المنتج والموزع[١٨]، بل أن هناك توجيهين أوربيين ذهبا إلى التخفيف من عبء الإثبات عن المتضرر دون إعفائه كلية، أما الأول فهو التوجيه الأوربي لسنة ١٩٨٥، وقد تم نقله إلى القانون المدني من خلال القانون ٩٨-٣٨٩، وأما الثاني فهو الصادر سنة ١٩٩٩ والخاص بالبيع وضمان السلع الاستهلاكية.

ومن المناسب الإشارة إليه في هذا الصدد، أن ذات الانشغالات، هي التي غذت النقاش الكبير الذي دار في الجمعية الوطنية الفرنسية إبان صدور القانون ٩٨-٣٨٩، المتعلق بالمسؤولية عن فعل المنتوجات المعيبة، بين من يرى بضرورة نقل عبء الإثبات كلية في جهة المنتج، عن طريق تكليفه بإثبات أن الضرر لا يرجع إلى المنتوج الذي طرحه، واتجاه آخر يكتفي بتذليل بعض العوائق التي تعترض المضرور إبان رفعه لدعواه[١٩].

والبين أن المشرع الفرنسي، هو ينقل التوجيه الأوربي إلى النظام القانوني الفرنسي، انتهى إلى اعتناق الرأي الثاني، على اعتبار أن المادة ٩/١٣٨٦ من القانون ٩٨-٣٨٩، والتي نقلت الحكم الوارد في المادة ٤ من التوجيه الأوربي بقولها: «إن على المدعي إثبات الضرر، وعيب المنتوج، ورابطة السببية بينهما».

ويبدو النص السالف مختلفا عن القواعد العامة المتعلقة بالتعويض عن نقص الضمان (ضمان العيوب الخفية)، من حيث عدم اشتراطه قدم العيب في الدعوى التي يرفعها المتضرر من فعل المنتوجات المعيبة، وهو ما أكدته المادة ١١/١٣٨٦ لاحقا من ذات القانون، والتي أعطت للمنتج إمكانية الدفع بعدم المسؤولية بمقولة أن العيب لم يكن في المنتوج أثناء طرحه.

هذا وبالرغم من تبني المشرع الفرنسي للرأي السالف، فإن ذلك لم يمنع وجود آراء فقهية تتطلب إثبات العناصر الثلاثة، أو الاكتفاء أحيانا ببعض القرائن.

---

[١٨]- قضت محكمة النقض الفرنسية في حكمها الصادر في ٢٠/ مارس/ ١٩٨٩ بأنه: (البائع المهني هو ملزم بتسليم المنتجات خالية من كل عيب أو نقص في الصنع بشكل ينشئ ضررا للأشخاص أو الأموال).

- Civ. 1re 20 mars 1989, D. 1989, p. 381, note P. Malaurie, RTD civ. 1989, p. 356, obs. P. Jourdain. V. Viney (G.), TRAITÉ DE DROIT CIVIL, Introduction la responsabilité, L.G.D.J, No. 169.

[١٩]- انظر: د. قادة شهيدة، مصدر سابق، ص٢٥١.

ويبقى أن المطالبة بإثبات العيب ترى فيه بعض المحاكم بديلا لا مناص من الأخذ به ليستعاض عن فكرة خطأ المنتج التي شكك الكثير في ضرورتها.

وإذا كان للباحث -يقول د. قادة- أن يدلي بدلوه في هذا الصدد، فإنه يبدو أن تكليف المضرور من حوادث المنتوجات المعيبة، بالإثبات على النحو السالف، قد يمثل أحد العقبات الهامة لتداعي الضحايا أمام القضاء، للمطالبة بحقهم في التعويض. ومهما قيل بأن إعفاء المضرور من إثبات وجود العيب قبل طرح المنتوج المعيب للتداول هو مستوى معقول للحماية، فهو قول تدحضه حقائق الواقع العملي. فإذا كان صعبا -على الأقل في الوقت الراهن- الوصول إلى قرينة العيب فأقله قبول افتراض الفعل المنتج، حينما تعزز الظروف حدوثه، إذ لا يعقل أن تستبعد مسؤولية المنتج، ومعها حق المضرور في التعويض، حين نعجز عن نسبته إلى خطأ المستهلك، أو أسباب أخرى[٢٠].

إن قواعد العدالة تقتضي إرجاع الضرر إلى نقيصة أو عيب المنتوج الذي جعله خطيرا على سلامة المستهلك، ولا يعد هذا التفسير بأي شكل خروجا عن القواعد التي دأب القضاء الفرنسي السير عليها سابقا، والمستوحاة من القاعدة الانجلوساكسونية: "الشيء ينبئ عن نفسه"، بل لا تكاد التخريجات القضائية، التي سارت عليها محكمة النقض الفرنسية تشذ عن هذا المبدأ، في قضايا الدم الموبوء بداء فقدان المناعة، فهي تتطلب في رافع دعوى التعويض، ضرورة استجماع العناصر الثلاثة المنصوص عليها في القواعد العامة: عيب سلامة المنتوج (الفعل المنتج)، الضرر، ورابطة السببية بينهما.

وفي تعليقه على الحكم السالف، تراوح رأي الفقه الفرنسي بين من يرى أن النص بالصيغة التي ورد بها، من شأنه أن يثقل كاهل المتضرر، الذي غالبا ما يكون مفتقدا للدراية الفنية، وترهقه تكاليف الخبرة التي يبتغيها للتدليل على دعواه.

بل إن عدم قبول الحل الوارد في نص المادة ٩/١٣٨٦ دفع بعضهم إلى التساؤل: ألا يمكن اعتبار تكليف المدعي بإثبات العيب، هو رجوع إلى الدعوى بضرورة إثبات خطأ المنتج؟

وأما القراءة الثانية، التي تبناها اتجاه آخر من الفقه الفرنسي، فهي مبناة على النظر على أن ما ورد في النص السالف، هو تذليل محسوس لعقبات الإثبات التي كان يواجهها المتضرر (المستهلك)، حين رفعه لدعواه مادام النص السالف -وعلى نحو ما سبق الإشارة إليه- لا يطالبه بإثبات قدم العيب (قرينة أسبقية العيب على الطرح)، وهو في رأيهم الذي دفع المشرع الفرنسي إلى تبني الموقف الوسط، حتى

---

[٢٠]- نقلا عن د. قادة شهيدة، مصدر سابق، ص٢٥٣.

يمنع من أن تغمر ساحة القضاء بدعاوى لا تتوفر فيها عنصري الجدية والمصلحة، وحتى يحافظ على التوازن المطلوب بين حقوق المستهلكين ومصالح المهنيين[٢١].

وبغض النظر عن النقاشات الفقهية التي صاحبت صدور القانون ٩٨-٣٨٩ أو بعد التصديق عليه، فإن القضاء الفرنسي لم يثبت عنه استبعاد إثبات العيب من لدن المتضرر.

ويبدو أن الاكتفاء بإدراك الأحكام السالف تبيانها، بات غير مسعف لوحده لتبين حلقة معيوبية المنتوج المولد للضرر والمفضي للمسؤولية، بالنظر لمستوى التقانة العالية للمنتوجات، وتعدد وتداخل العمليات التصنيعية المساهمة في إنتاجه، بل تزايد الوسطاء بين مرحلة التصنيع والاستهلاك، كل ذلك يدفع بالقضاء إلى الاستعانة بالخبرة العلمية.

المطلب الثاني
الخبرة

وهي معاينة يجريها أشخاص ذوو خبرة ودراية في مسائل علمية أو تقنية بتكليف من القاضي (تلقائيا، أو بطلب من أحد الأطراف) ليتوصل بواسطتهم إلى استخلاص معلومات تكون ضرورية لحسم النزاع المعروض عليه، وعلى الأخص التوصل إلى وجود علاقة من عدمه، بين فعل المنتوج والضرر المدعى به.

والاستعانة بالخبير – كقاعدة عامة - مسألة اختيارية، فمحكمة الموضوع هي التي تقرر ذلك سواء من تلقاء نفسها أم بناء على طلب الخصوم مالم يرد نص في القانون بوجوب الاستعانة بالخبير[٢٢]، لكن الواقع دل في نطاق التطبيقات المقارنة

---

[٢١]– انظر: د. علي الفتاك، مصدر سابق، ص٤٤٥.

[٢٢]– انظر: د. صلاح الدين الناهي، مصدر سابق، ص٥٤.

على أنه في حوادث الاستهلاك من النادر أن ينفك قضاة الموضوع عن هذا الاجراء.

وبالرجوع إلى المادة ١٤٠ من قانون الإثبات العراقي رقم ١٠٧ لسنة ١٩٧٩ (المعدل) فإنها تنص على انه: (اولا: للمحكمة ان تتخذ من تقرير الخبير سببا لحكمها. ثانيا: رأي الخبير لا يقيد المحكمة، وعليها اذا قضت بخلاف رأيه ان تضمن حكمها الاسباب التي اوجبت عدم الاخذ برأي الخبير كلا أو بعضا).

ورغم الجوازية التي يؤكد عليها الحكم السالف، فإن الواقع العملي في هذا الصدد، يؤكد على حرص قضاة الموضوع وتأكيدهم على ضرورة قيام القائمين بالتحليل، بتحرير تقرير يسلم لهم لتقديره.

هذا وإن الرجوع إلى التطبيقات القضائية المقارنة يؤكد لنا أن الخبرة (العلمية أو الطبية) في حوادث الاستهلاك، كثيرا ما ساهمت في تكوين قناعة القاضي حول الموضوع.

أن الخبرة غير المحتج عليها تمثل في هذا الصدد سندا مهما ينبني عليه قرار القاضي، وهو في اعتقادنا الدافع لحرص القضاة المختصين بالفصل في هذه المسائل، على استدعاء القائمين بعملية الخبرة لطلب بعض الشروحات، خاصة وأن تقارير الخبرة كثيرا ما تحتوي في جنباتها معلومات وصيغا علمية وبيولوجية وتقنية، ليس بمستطاع القاضي استيعابها.

وإن ما يعزز من قيمة النتائج المترتبة عن الخبرة وأثرها في أحكام القضاة، أن لها في الإثبات قوة المحررات الرسمية، ولها حجية بما اشتملت عليه من تاريخ وتصريحات الخصوم.

وما نلاحظه حاليا في كثير من الدول هو محاولة الاستفادة من التطور التقني والمعلوماتي في مسائل الاثبات، بداية من الادلة الالكترونية، وانتهاء بظهور مفهوم تتبع الأثر، والذي نعتقد أنه سيحدث ثورة كبرى في قانون الإثبات في مجال الاستهلاك، بل سيسهم في الحصول على معلومات متسلسلة، وكاملة عن منتوج في مختلف حلقات التصنيع والإنتاج، وظهر هذا جليا في صناعة اللحوم، بملاحقة المصدر المستقى منه المادة من بداية مولد الحيوان، وتبيان أصوله إلى المربي، ثم القائم بعملية الذبح، فالموزع.

ويأتي المبدأ الثاني (تتبع الأثر) عن طريق الحامض الأميني «DNA» ليدعم المبدأ الأول، بمنحه الدلائل البيولوجية الكافية للتدليل على أصل الحيوان.

وما من شك أننا مدعوون إلى الاستفادة من هذه التطورات، على اعتبار أن العراق يستورد سنويا عددا لا بأس به من اللحوم المجمدة، وكلنا نذكر ما أثاره مرض جنون البقر والحمى المالطية من هلع لدى المستهلك العراقي.

الخاتمة.

جاءت هذه الدراسة المتواضعة لإلقاء الضوء على موضوع الاجراءات الواجب اتباعها من قبل المستهلك المضرور لحماية حقوقه قبل المنتج، وهي إجراءات موزعة بين قانون المرافعات المدنية وقانون اصول المحاكمات الجزائية وقانون الاثبات بالأضافة الى قانون حماية المستهلك، فحاولنا جمعها بصورة تمكن المستهلك من معرفة الطريق الذي يسلكه للوصول الى حقه في التعويض من جهة وللتعرف على مكامن الضعف والتعقيد في هذه الاجراءات من جهة اخرى.

وقد توصلنا من خلال البحث الى جملة من النتائج والتوصيات نعرضها على شكل نقاط وكالآتي:

- النتائج:

١ـ تبين لنا من خلال البحث أن المشرع يجيز ليس فقط للمستهلك المضرور رفع الدعوى، وأنما يجوز كذلك لذوي المضرور رفع الدعوى، بالأضافة الى الغير المتضرر من فعل المنتجات المعيبة.

٢ـ يستطيع المستهلك رفع دعوى التعويض أمام المحاكم الجزائية تبعا للدعوى العمومية، كما يجوز له رفعها أمام المحاكم المدنية، كما يستطيع التدخل في الدعوى المرفوعة على المنتج من قبل مجلس حماية المستهلك أو الجهات ذات العلاقة بصورة مباشرة.

٣ـ يستطيع المستهلك اثبات مسؤولية المنتج بكافة طرق الاثبات، لان الضرر الذي اصابه نتيجة خطأ المنتج واقعة مادية يجوز اثباتها بكافة طرق الاثبات.

- التوصيات:

١ـ تفعيل قانون حماية المستهلك، وتشكيل مجلس حماية المستهلك ولجان التفتيش المرتبطة به، في اقرب وقت ممكن، لان عدم تفعيل القانون يجعل حماية المستهلك تخضع للقواعد العامة في القانون المدني، وهي قواعد قد لا تسعف في حماية المستهلك لصعوبة الاثبات وتعقد الاجراءات، كما ان بقاء القانون معطلا معناه عدم الزام المنتج بكل ما الزمه به القانون من التزامات تصب في مصلحة المستهلك.

٢ـ ندعو الى النص صراحة على السماح للمستهلك بأثبات التصرف القانوني الذي يربطه بالمنتج بكافة طرق الاثبات استثناء من القواعد العامة بأثبات التصرفات القانونية المنصوص عليها في قانون الاثبات رقم ١٠٧ لسنة ١٩٧٩.

٣- تنظيم اجراءات دعوى حماية المستهلك بصورة مفصلة في قانون حماية المستهلك بحيث تضمن للمستهلك الوصول الى حقه في التعويض بأسرع طريق واضمن طريق بعيدا عن الاجراءات المعقدة في دعوى التعويض الخاضعة للقواعد العامة، كما ندعو الى تشكيل محكمة متخصصة في كل منطقة استئنافية تنظر في دعاوى حماية المستهلك يرأسها قاضي من ذوو الكفاءة والخبرة في قضايا حماية المستهلك.

٤- اقامة دورات وعقد ندوات وورش عمل وبرامج تلفزيونية لتوعية المستهلكين بحقوقهم، وكيفية اتباع الاجراءات القانونية للوصول الى هذه الحقوق.

المصادر:

اولا: باللغة العربية.

١- د. احمد شرف الدين، انتقال الحق في التعويض عن الضرر الجسدي، مطبعة الحضارة العربية، الفجالة، بلا سنة طبع.

٢- د. حسن علي الذنون، المبسوط في المسؤولية المدنية، ج١، الضرر، شركة التايمس للطبع والنشر المساهمة، بغداد، ١٩٩١.

٣- حسين عامر، المسئولية المدنية، التقصيرية والعقدية، مطبعة مصر، ط١، ١٩٥٦.

٤- د. محمود جمال الدين زكي، مشكلات المسئولية المدنية، الجزء الأول، مطبعة جامعة القاهرة، ١٩٩٠.

٥- د. محمد عبد القادر الحاج، مسؤولية المنتج والموزع، دراسة في قانون التجارة الدولية مع المقارنة بالفقه الاسلامي، دار النهضة العربية، القاهرة، ٢٠٠٤.

٦- د. سليمان مرقس، المسئولية المدنية في تقنينات البلاد العربية، القسم الأول، الاحكام العامة، معهد البحوث والدراسات العربية، مطبعة الجبلاوي، ١٩٧١.

٧- د. سامي النصراوي، دراسة في اصول المحاكمات الجزائية، ج١، في الدعوى العمومية والدعوى المدنية والتحري والتحقيق والاحالة، ط١، ١٩٧٢.

٨- د. علي الفتاك، تأثير المنافسة على الالتزام بضمان سلامة المنتوج، دار الفكر الجامعي، الاسكندرية، ٢٠٠٨.

٩- د. فتحي عبد الرحيم عبد الله، دراسات في المسئولية التقصيرية (نحو مسؤولية موضوعية)، منشأة المعارف، الاسكندرية، ٢٠٠٥.

١٠- د. صلاح الدين الناهي، الوجيز في المرافعات المدنية والتجارية، دراسة مقارنة، شركة الطبع والنشر الاهلية، بغداد، ١٩٦٢.

١١- د. قادة شهيدة، المسؤولية المدنية للمنتج، دراسة مقارنة، دار الجامعة الجديدة، الاسكندرية، ٢٠٠٧.

ثانيا: باللغة الفرنسية.

1- Viney (G.), TRAITÉ DE DROIT CIVIL, Introduction á la responsabilité, L.G.D.J.

مفهوم اللجوء والهجرة في القانون الدولي وتطبيقاتها على هجرة العراقيين والسوريين

أ . م. د. علي حميد العبيدي
كلية المأمون الجامعه / قسم القانون

المستخلص
تعد الهجرة أو اللجوء ظاهرة لازمت الانسان عبر العصور في مختلف المجتمعات البشرية، وهي من النشاطات الإنسانية الطبيعية ، واسبابها متعددة منها ما يتعلق بأسباب سياسية أو اقتصادية أو دينية، أو علمية، أو لأسباب امنية تتعلق بتأجج الصراعات الطائفية أو انتشار التنظيمات الارهابية أو منها ما يتعلق بالهروب من ميادين الصراعات والحروب والويلات والنكبات والكوارث والاضطهاد والظلم والتعسف.
أن ظاهرة هجرة العراقيين والسوريين إلى الخارج بإعداد كبيرة من الظواهر الحديثة نسبيا، إذ لم يعرف التاريخ المعاصر لها مثيلا، وبغية الوقوف على المفاهيم ذات العلاقة بظواهر اللجوء والهجرة في القانون الدولي ... لابد من التطرق ولو باختصار الى تلك المفاهيم ومن ثم التطرق الى تطبيقاتها على هجرة العراقيين والسوريين الى القارة الاوربية وبيان اسبابها وآثارها السلبية وكيفية معالجتها وصولا الى وضع المقترحات بشأنها.

الكلمات المفتاحية: اللجوء ، الهجرة، العراقيين والسوريين

Abstract
Asylum and immigration is a phenomenon that accompanied man through the ages in all different human societies. It is one of the natural and human activities. It has multiple causes. It may include causes related to political, economic, and religious or security reasons. It may relate to escaping from sectarian conflicts, wars and terrorist organizations, including .
The phenomenon of migration of Iraqis and Syrians abroad in large numbers is a relatively new phenomenon, as recent history has never known such an instance. In order to identify the relevant

international law concepts of the phenomena of asylum and migration they should be explained. Then the paper deals with the applications these concepts to the migration of Iraqis and Syrians to the European states, stating its reasons and its negative effects and how to address them to put proposals for dealing with this phenomenon.

Key words :asylum , migration, Iraqis ,Syrians

المقدمة

تعد ظاهرة اللجوء والهجرة من الظواهر التي لازمت الانسان عبر العصور في مختلف المجتمعات البشرية، وهي تعتبر ايضا من النشاطات الإنسانية الطبيعية في جميع العصور والأمكنة ، كذلك هي ظاهرة قديمة قدم الإنسانية نفسها، ويعود ذلك لأسباب متعددة منها ما يتعلق بأسباب سياسية أو اقتصادية أو دينية، أو علمية، أو لأسباب امنية تتعلق بتأجيج الصراعات الطائفية وانتشار التنظيمات الارهابية أو منها ما يتعلق بالهروب من ميادين الصراعات والحروب والويلات والنكبات والكوارث والاضطهاد والظلم والتعسف، ولا شك في إن التوسع في دائرة المعارف والعلوم المختلفة ومواكبة التطور في العالم ووسائل الاتصال المختلفة، قد شجعت هي الاخرى الإنسان على الهجرة والبحث عن مناطق أكثر أمانا للعيش وممارسة نشاطاته الاعتيادية ، غير إن الصراعات السياسية والعرقية كان لها الدور الأكبر في هجرة أبناء الوطن، وترك أوطانها الأصلية والبحث عن أوطان بديلة للحفاظ على حياة ومستقبل أبنائها.

والهجرة أو اللجوء كظاهرة أما أن تكون مشروعة أو غير مشروعة، والهجرة غير المشروعة تمثل ظاهرة جديدة في الساحة الدولية، إلا إنها في الوقت نفسه تعتبر ظاهرة ذات أهمية كبيرة تستدعي أن يكون لها مجالا واسعا في مجال القانون الداخلي والقانون الدولي الحديث.

وتعد ظاهرة هجرة العراقيين والسوريين إلى الخارج بإعداد كبيرة من الظواهر الحديثة نسبيا، إذ لم يعرف التاريخ المعاصر لها مثيلا، وبغية الوقوف على المفاهيم ذات العلاقة بظواهر اللجوء والهجرة في القانون الدولي ... لابد من التطرق ولو باختصار الى تلك المفاهيم ومن ثم التطرق الى تطبيقاتها على هجرة العراقيين والسوريين الى القارة الاوربية وبيان اسبابها وآثارها السلبية وكيفية معالجتها وصولا الى وضع المقترحات بشأنها.

تبرز اهمية اختيارنا لعنوان هذا البحث من خلال النظر الى الاعداد الهائلة من العراقيين والسوريين المهاجرين والمهجرين سواء في داخل البلدين او الى الدول

الاوربية او غيرها من الدول ..... نتمنى ان نوفق في اعطاء الموضوع حقه من البحث ... ومن الله التوفيق.

المبحث الأول

انواع اللجوء والهجرة

اكتسب مفهوم اللجوء طابعا فلسفيا وقانونيا، حيث انه يرتبط ارتباطا وثيقا بحقوق الانسان ، وكانا عنصرا اللجوء والهجرة عاملين مهمين في ترسيخ مفاهيم الدين الإسلامي؛ ويظهر ذلك من خلال هجرة الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) وأتباعه إلى المدينة المنورة .

وقد أعطى الله سبحانه وتعالى الإنسان المضطهد حق اللجوء إلى منطقة أو ارض دولة أخرى، إذ قال تعالى «يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ »[1] وقال تعالى: «وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً»[2].

وجاء الدين الاسلامي الحنيف ليؤكد الحق للإنسان في أن ينتقل من مكان إلى آخر، سواءً داخل بلده أو خارجها بحرية، دون أن يُصادر أحد هذه الحرية، بل إن الإسلام أجاز للإنسان التنقل للهجرة، ولكنه منع في ذات الوقت إجبار شخص على ترك وطنه أو إبعاده عنه دون سبب شرعي، فالأصل في الإسلام أن دار الإسلام وطن واحد لكل المسلمين، حيث لا يجوز تقييد حق المسلم في التنقل بين أنحائها المختلفة أو الهجرة إليها، وإنما يجب على كل بلد إسلامي أن تسمح بدخول كل مسلم يهاجر أو ينتقل إليه، دون التقيد بحدود سياسية أو جغرافية.

ان قراءة نصوص الإعلان العالمي لحقوق الإنسان يجد إنها براقة ومثالية، حيث تؤكد أن لكل " فرد حرية التنقل داخل وطنه وخارجه وله الحرية في اختيار مكان إقامته والحق في مغادرة أي بلد بما في ذلك بلده الأصلي، ولا يجوز تقييد هذه الحرية إلا لضرورة حماية الأمن الوطني أو النظام العام أو الآداب العامة أو حقوق الأخرين وحرياتهم، ولا يجوز حرمان أحد، تعسفا من حق الدخول إلى بلده "، أن هذه الحرية التي منحها الإعلان العالمي الحقوق الإنسان للفرد ، قد تصطدم بالقوانين الداخلية والدولية، ولكنه يجب في كل الاحوال حماية حقوق المهاجر أو اللاجئ.

إن الدولة مسؤولة عن توفير الأمن والاستقرار والطمأنينة لكافة مواطنيها وكل من يوجد على اراضيها من الأجانب، وهي مطالبة بمعالجة حالات اللجوء والهجرة

---

[1] سورة العنكبوت ،الآية ٥٦

[2] سورة النساء ، الآية (١٠٠).

بكل انواعها، بآليات قانونية وتنمية اقتصادية واجتماعية وغيرها من الجوانب الاخرى.

إن اللاجئ هو ذلك الشخص الذي يطلب اللجوء أو الإقامة في بلدٍ أخر غير موطنه لسببٍ قاهر خارج عن إرادته، قد يكون هذا السّبب سياسي، أو بسبب الحروب الدائرة في موطنه، أو التمييز العنصري ضده سواء للونه أو دينه أو جنسه، مما يُعرّض حياته للخطر إذا استمر في العيش في تلك البلاد، فيطلب اللجوء إلى بلدٍ أخر طلباً للأمن والأمان لنفسه أو له ولأسرته، أما المهاجر فهو شخص قبل أو ارتضى لنفسه الانتقال إلى منطقة أو دولة جديدة والاستقرار بها.

ومن المهم هنا أن نفرق بين المهاجر واللاجئ ، فالمهاجر عادة ما يكون له مركز قانوني في الدولة الجديدة ، أما اللاجئ فليس له مركز قانوني في الدولة التي لجأ إليها، بحيث يفقد الحماية الدبلوماسية لدولته الأصلية و يكون سبب لجوئه إما سياسيا ، عنصريا ، اقتصاديا أو بسبب الحروب.

إن الدول لديها قوانين واجراءات تتعامل بموجبها مع الهجرة والمهاجرين ،اما اللجوء فإن الدولة تتعامل معه بموجب قواعد حماية اللاجئين وقواعد اللجوء المحدّدة في التشريعات الوطنية وقواعد القانون الدولي على حد سواء.

إن القواعد المنظمة لحقوق الانسان المهاجر أو اللاجئ سواء كان بصورة شرعية أو غير شرعية تعد جزءا لا يتجزأ من حقوق الانسان التي تضمنتها المواثيق الدولية ، إذ تشير المصادر والقوانين الدولية إلى العلاقة الوطيدة التي تجمع بين الهجرة أو اللجوء كظاهرة اجتماعية ذات بعد إنساني واحترام لحقوق الإنسان، فقد كانت مسألة الحماية الدولية للمهاجرين واللاجئين مطروحة منذ عقود على الساحة الدولية، وأخذت هذه الحقوق بعداً عالمياً واسعا وعريضا، فمنذ أن صدر الاعلان العالمي لحقوق الإنسان، وافقت عليه جميع الدول بلا استثناء، ثم صدرت ملاحق أخرى له تهتم ببيان حقوق الإنسان الاجتماعية أو الاقتصادية أو الإعلامية أو التعليمية أو السياسية أو غيرها، وهي الأخرى حظيت بتأييد من عدد كبير من دول العالم ،ولا شك في إن أهم خصائص النظام العالمي المعاصر في الوقت الراهن احترام حقوق الانسان، وإن إنكارها قد يؤدي إلى أعمال عنف أو تدخل أجنبي مسلح.

اشارت المادة/١ (أ) الفقرة /٢ من اتفاقية الأمم المتحدة بخصوص اللاجئين عام ١٩٥١ إلى الأسباب الداعية لقبول اللاجئ، وأكد بروتوكول الأمم المتحدة بشأن الملجأ الإقليمي عام ١٩٦٧ على تلك الاسباب : وهي على النحو الآتي:

أ- **الخوف:** ويقصد بالخوف ما كان ناتجاً عن التعرض للتعذيب والاضطهاد، وهو حالة نفسية تستدعي من اللاجئ الهروب إلى مكان يشعر فيه بالأمان .

ب- **الاضطهاد:** وهو ما كان ناتجاً عن التعرض والتهديد للحياة والحرية، وانتهاك حقوق الإنسان التي نصت عليها الإعلانات والمواثيق الدولية.

ج- **التمييز:** وهو يطلق على الاختلافات في المعاملة، والحقوق والفرص، وغير ذلك مما يولد شعوراً بعدم الأمان.

د- **العرق:** ويطلق على الانتماء إلى فئة اجتماعية معينة قد تشكل أقلية ضمن مجموعة من السكان.

ه- **الدين:** وهو المعتقد الذي يعتنقه الإنسان، وكما هو معلوم ان الحرية الدينية مكفولة للإنسان وفق الإعلانات والوثائق الدولية.

و- **الانتماء:** قد يكون الانتماء لفئة اجتماعية سبب من أسباب اللجوء؛ إذا انعدمت الثقة في ولاء تلك الفئة للنظام السياسي الحاكم، مما يعرضها للملاحقة والاضطهاد.

ز- **الرأي السياسي:** وهو ناتج عن اعتناق أراء سياسية مخالفة لما ينتهجه النظام السياسي الحاكم، مما يؤدى إلى الخوف من الاضطهاد، إلا أن ذلك الخوف لابد أن يكون له ما يبرره من انتهاكات فعلية كالسجن أو التضييق[3].

إن الهجرة كما اسلفنا ما هي إلا نوع من حركة السكان سواء كانت ضمن حدود الوطن أو تتجاوز حدود الوطن إلى أوطان أخرى و تحاول منظمة الهجرة الدولية وضع مفاهيم واضحة ودقيقة لأنواع الهجرة منها الداخلية أو الخارجية الاختيارية أو القهرية، وكذلك تعمل المفوضية السامية لشؤون اللاجئين، ولقد اتخذت ظاهرة الهجرة واللجوء على مدى التاريخ أشكال وانواع عدة ومختلفة، ويمكن ادراج انواع اللجوء والهجرة مهما اختلفت تسمياتها أو أنواعها بما يلي، وسنقوم بتوضيح وبيان المفاهيم القانونية لهذه الانواع في المبحث اللاحق:

١. **اللجوء الانساني**
٢. **اللجوء السياسي**
٣. **اللجوء الديني**
٤. **اللجوء الاقتصادي**
٥. **اللجوء الغذائي**
٦. **الهجرة الداخلية**
٧. **الهجرة الخارجية**

---

[3] صلاح الدين طلب فرج،"حقوق اللاجئين في الشريعة الاسلامية والقانون الدولي"،مجلة الجامعة الإسلامية، العدد الأول، يناير ٢٠٠٩، ص ١٦٩

٨. الهجرة الدولية
٩. الهجرة الشرعية
١٠. الهجرة غير الشرعية
١١. الهجرة الاختيارية
١٢. الهجرة الاجبارية
١٣. الهجرة السياسية

المبحث الثاني

المفاهيم القانونية للهجرة واللجوء

حددت المادة الاولى من اتفاقية الأمم المتحدة لسنة ١٩٥١ الخاصة بوضع اللاجئين المفهوم القانوني لمصطلح اللاجئ " Refugee"، حيث تقرر أنه ينطبق على "أي شخص يوجد نتيجة لأحداث وقعت قبل الأول من يناير سنة ١٩٥١ وبسبب تخوف له ما يبرره من التعرض لاضطهاده لأسباب ترجع إلى عرقه أو دينه أو جنسيته أو انتمائه لعضوية فئة اجتماعية معينة أو آرائه السياسية خارج دولة جنسيته وغير قادر أو لا يريد بسبب ذلك التخوف أن يستظل بحماية دولته، أو كل شخص لا يتمتع بجنسية ويوجد خارج دولة إقامته المعتادة بسبب تلك الظروف ولا يستطيع أو غير راغب بسبب هذا التخوف أن يعود إلى تلك الدولة" [4].

كان موضوع تعريف اللاجئ يقتصر على اللجوء قبل العام ١٩٥١ حسب منطوق المادة الاولى من الاتفاقية المذكورة إلا إن مفهوم اللاجئين بموجب بروتوكول عام ١٩٦٧ الخاص باللاجئين قد توسع لينطبق على جميع حالات اللاجئين في العالم، اضافة الى بعض قرارات الجمعية العامة للأمم المتحدة والمجلس الاقتصادي والاجتماعي واللجنة التنفيذية للمفوضية العليا للاجئين التي قررت تمديد الحماية إلى "الأشخاص المجبرين على البحث عن الملجأ خارج بلادهم الأصلية، أو بلد الجنسية، بسبب العدوان الخارجي، أو الاحتلال أو السيطرة الأجنبية أو الأحداث التي تضع النظام العام في خطر، في كل أو بعض هذه البلاد"، وبناءً على ما جاء في تلك القرارات، فإن المفوضية العليا لشؤون اللاجئين قد أضافت توسعًا جديدًا بخصوص سبب اللجوء، حيث لم تقصر اللجوء فقط على سبب الاضطهاد، و إنما أضافت فئة أخرى، هي فئة الأشخاص الذين يفرون من بلادهم بسبب النزاع

---

(4) أحمد الرشيدي **الحماية الدولية للاجئين** ، مركز البحوث والدراسات السياسية، القاهرة ١٩٩٧ ، ص ٢٠ .

المسلح، والمتمثل في عدوان خارجي، أو في احتلال أو سيطرة أجنبية أو أحداث واضطرابات تضع النظام العام للبلد - كله أو بعضه - في خطر [5].

وفيما يلي نتطرق الى بعض المفاهيم القانونية الخاصة بالهجرة واللجوء:

١. مفهوم الهجرة

تعد الهجرة ظاهرة اجتماعية واقتصادية تتأثر بشكل كبير بعوامل داخلية وخارجية، وهي إحدى الخصائص المميزة للسكان في مختلف مناطق العالم، وتعني حق الأفراد أو السكان في الانتقال من منطقة إلى أخرى ومن بلد إلى آخر بسبب عدة عوامل تتمثل في البحث عن الوظيفة أو الهروب من المجاعة أو الجفاف أو التصحر أو سوء الرعاية الطبية أو الكوارث الطبيعية.

وقد جرى الاعتراف عالميا بالحق في الهجرة والانتقال من بلد لأخر منذ اكثر من نصف قرن وذلك بإقرار الاعلان العالمي لحقوق الانسان عام ١٩٤٨ [6].

٢. مفهوم اللجوء الانساني

وهو اللجوء إلى دولة أخرى بسبب الحروب والنزاعات أو التفرقة العنصرية باختلاف أنواعها، وربما يكون مؤقتا ينتهي بانتهاء السبب الذي بدأ به أو يكون دائما ، وقد اكتسب هذا النوع من اللجوء أهمية بالغة في العصر الحديث؛ نظرا لما تشهده بعض مناطق العالم من حروب عرقية وعنصرية؛ تدفع الأقلية المضطهدة إلى الهرب من أوطانها بحثاً عن الأمان في أقرب دولة لا توجد فيها مثل هذه النزاعات.

٣. مفهوم اللجوء السياسي

إن حقّ اللجوء السياسي مكفول قانونا لأيّ إنسان مورست بحقه الاضطهادات بشتّى أنواعها ، من فقر و جوع و بطالة وقمع ، فهو حقّ قضائيّ ، يخضع بشكل خاص لقواعد القانون الدولي لحقوق الإنسان ، وبشكل خاص اتفاقية الأمم المتحدة لعام ١٩٥١ الخاصة بوضع اللاجئين.

ويمنح حق اللجوء السياسي للشخص الذي تثبت حالة تعرضه لتهديد أو خطر يستهدفه شخصيا داخل بلده بسبب معتقداته الدينية أو الفكرية، أو السياسية، مع

---

[5] حمود السيد حسن حسن، "حماية اللاجئين إبان النزاعات المسلحة"،**مجلة السياسة الدولية**، العدد ١٦٢، أكتوبر ٢٠٠٥، ص ١١.

[6] انظر نص المادة (١٣) التي تنص على " ١- لكل فرد حق في حرية التنقل وفى اختيار محل إقامته داخل حدود الدولة، ٢- لكل فرد حق في مغادرة أي بلد، بما في ذلك بلده، وفى العودة إلى بلده".

ضرورة وجود الادلة والاثباتات القوية التي تثبت ذلك ، وغالبا ما يكون هذا النوع من اللجوء دائمي.

٤. مفهوم اللجوء الديني

ينصرف معنى اللجوء الديني الى ما يتعرض له الفرد من مضايقات في معتقداته الدينية وممارسة الاضطهاد الشخصي ضده، وقد يندرج هذا النوع تحت مفهوم اللجوء السياسي أو سببا له، ولكنه هو نوع من انواع اللجوء التي اشارت اليه معظم المواثيق الدولية ومنها على وجه الخصوص اتفاقية الأمم المتحدة لعام ١٩٥١ الخاصة بوضع اللاجئين [7].

٥. مفهوم اللجوء الاقتصادي

إن اللجوء الاقتصادي هو نوع من انواع اللجوء الى مناطق او بلدان اخرى بقصد الحصول على لقمة العيش نتيجة الكوارث البيئية أو الطبيعية أو المجاعة التي تصيب بلدا ما، حيث يتصل اللجوء الاقتصادي اتصالا وثيقا باللجوء الغذائي.

٦. مفهوم الهجرة الداخلية

الهجرة الداخلية بشكل عام هي " شكل من أشكال انتقال السكان من أرض تدعي المكان الأصلي أو مكان المغادرة إلي أخرى تدعي مكان الوصول أو المكان المقصود ويتبع ذلك تغير في محل الإقامة"[8].

ادى تطور الاقتصاد العالمي في العصر الحديث وما صاحبه من تدويل للعمل ولرأس المال الى اتساع حركة السكان في جميع أرجاء الأرض واجتذاب العمال الى مراكز المدن التي ازدهرت فيها النشاطات التجارية والاقتصادية[9].

والهجرة الداخلية هي الهجرة التي تتم داخل حدود الدولة بغض النظر عن المسافة التي يقطعها المهاجر ، فقد تكون انتقالاً من مسكن إلى آخر داخل الحي الواحد أو المدينة الواحدة أو مدينة أخرى أو من الريف إلى الحضر ، أو من المناطق المأهولة إلى المناطق غير المأهولة لتعميرها ، والهجرة الداخلية في معظمها تتم في إطار مسافات قصيرة نسبياً ، ولعل من اسبابها ما يحدث في الطبيعة من عوامل طاردة مثل الجفاف والتصحر وفقدان الغذاء والمرعى والغطاء النباتي، او برغبة

---

[7] انظر نص الفقرة (٢) من المادة (١) من الاتفاقية الخاصة بوضع اللاجئين لعام ١٩٥١ .

[8] سيد عبد الله ولد المحبوبي، الهجرات الداخلية والتنمية في موريتانيا، الثاني الحرج، منشور بالتعاون مع صندوق الأمم المتحدة للسكان بموريتانيا، ١٩٩٧، ص:١٨ .

[9] نادر فرجاني ، سعيا وراء الرزق ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، لبنان ١٩٨٨ ، ص٣٠ .

من الانسان المهاجر الذي ربما تؤثر فيه عوامل نفسية ضاغطة مثل ظروف الحروب ،الاضطرابات الأمنية ،القهر السياسي ، تردي الأحوال الاقتصادية والمعيشية، وعلى هذا الاساس فالهجرة الداخلية هي انتقال الأفراد من منطقة ما إلى منطقة أخرى داخل حدود الدولة.

٧. الهجرة الخارجية

ونعني بها انتقال السكان أو جماعات منهم بشكل طوعي أو قهرا من بلدهم الأصلي إلى بلد آخر للعيش فيه، أي انها هجرة الى خارج حدود الدولة ، وتتخذ الهجرة الخارجية شكلا واتجاها واحدا ، فكل تيارات الهجرة الدولية تنطلق من الدول النامية الفقيرة باتجاه الدول المتقدمة الغنية لأسباب كثيرة منها البحث عن فرص العمل والأجور المرتفعة أو إكمال الدراسة، أو الهروب لأسباب أمنية، وتتمخض عن الهجرة الخارجية مشاكل وانعكاسات سواء على الدول النامية التي تخرج منها تيارات الهجرة أو على الدول المتقدمة المستقبلة لها.

وعليه فإن الهجرة الخارجية هي أن يعبر المهاجر أو جماعة من المهاجرين الحدود السياسية للوطن الأم باتجاه دولة أخرى، والهجرة الخارجية تتميز بطول المسافة التي يقطعها المهاجر، كما حدث في هجرة الشعوب الأوربية التي تعد من اكبر الهجرات التي عرفها التاريخ الحديث التي توجهت الى أمريكا اولا ثم الى استراليا وجنوب القارة الأفريقية[10] .

٨. الهجرة الدولية

ينصرف مفهوم الهجرة الخارجية الى مفهوم الهجرة الدولية فهما يحملان المقاصد والمفاهيم نفسها، وقد جرى الاعتراف عالميا بالحق في التنقل منذ أكثر من نصف قرن مضى وذلك باعتماد الإعلان العالمي للحقوق الإنسان [11] .

ووفقا لما جرت الإشارة إليه في المؤتمر الدولي للسكان و التنمية الذي انعقد في عام١٩٩٤ يمكن أن يكون للهجرة الدولية المنظمة آثار ايجابية أو سلبية على المجتمعات المهاجر منها والمجتمعات المهاجر إليها على حد سواء وبإمكان الهجرة أيضا أن تعمل على نقل المهارات وان تسهم في إثراء البلد المهاجر اليه .

ويمكن تعريف الهجرة الدولية على أنها هجرة تشير إلى انتقال عدد من أفراد المجتمع إلى مجتمع آخر طلبا للعمل أو فرارا من الاضطهاد أو تطلعا لفرص أحسن في الحياة أو غيرها، وهي ايضا ما يطلق عليه بالهجرة الخارجية المشار

---

(10) سيد عبد الله ولد المحبوبي ، المصدر السابق، ص ١٩.

(11) انظر المادة (١٣) من الاعلان العالمي لحقوق الانسان.

اليها انفا، والهجرة الدولية أو الخارجية تنطوي على ثلاثة أنواع هي:

أ- الهجرة الموسمية أو الفصلية :وهي هجرة يقوم بها الأفراد في مواسم معينة من السنة إلى خارج بلادهم ثم يعودون بعد انتهاء المواسم .

ب- الهجرة المؤقتة :وهي تمثل الهجرة التي ينتقل فيها الأفراد أو الجماعات من منطقة إلى أخرى انتقالا مؤقتا مثلما يحدث بالنسبة لهجرة العمالة في مواسم العمل إلى بعض البلاد التي يتوافر فيها فرص العمل ومستويات الأجور المرتفعة ، ويطلق علي هذا النوع من المهاجرين اسم المهاجرين العائدين والذين يترددون بين حين وآخر علي موطنهم الأصلي نظرا لارتباطهم بهذا الوطن لأسباب اجتماعية و اقتصادية.

ج- الهجرة الدائمة :ويقصد بها انتقال الفرد وأسرته خارج وطنه بصفة نهائية وفي نيته عدم العودة إلى وطنه الأصلي ، والهجرة الدائمة قد تكون فردية أو جماعية أو منظمة، مثل هجرة الأوروبيين إلى أمريكا واستراليا قبل الحرب العالمية الأولى .

٩. الهجرة الشرعية

يقصد بالهجرة الشرعية من الناحية القانونية عبور الحدود للوصول إلى بلد آخر خارج الحدود الوطنية، وتتم بموافقة السلطات المختصة في كل من البلد الاصلي الذي هو مصدر الهجرة والبلد المهاجر اليه أو الجاذب للهجرة، و يتم ذلك عبر المنافذ الحدودية أو الأماكن المحددة للدخول، سواء كان ذلك جوا أو بحرا أو برا لإقليم الدولة ، وتشترط معظم الدول لدخول أراضيها أو الخروج منها وجود جواز سفر ساري المفعول صادر عن السلطات المختصة أو وثيقة سفر تقوم مقام جواز السفر مع احترام مبدأ التعامل بالمثل . وعليه فإن الشروط والمتطلبات الأساسية التي تتميز بها الهجرة الشرعية هي:

أ- يجب إن تستند علي الأطر القانونية والأسس التي تحددها الدول.

ب- إن تكون الهجرة عبر المنافذ والطرق التي تحددها الدولة للخروج والدخول.

ج- إن تكون الهجرة بعلم مسبق للسلطات داخل الدولة وإن لا يهاجر الفرد متخفياً.

د- إن تكون الهجرة بواسطة وثائق ومستندات حقيقية غير مزورة.

ه- أن يصل المهاجر إلي الدولة المهاجر إليها عبر المنافذ والطرق التي تحددها

و- أن توافق الدولة المهاجر إليها على استضافة الشخص المهاجر.

ز- إن لا تتخطي فترة الإقامة المدة الزمنية المحدد أو تتجاوز الغرض الأساسي الذي من أجله تمت الهجرة.

١٠. الهجرة غير الشرعية

الهجرة غير الشرعية هي كل دخول عن طريق البر أو البحر أو الجو إلي إقليم دولة اخرى بطريقة غير قانونية أو بوثائق مزورة أو عن طريق شبكات الإجرام المنظمة أو من خلال الدخول بطريقة قانونية بموافقة السلطات بالحصول علي تأشيرة ومن ثم البقاء بعد انتهاء الفترة المحددة أو تغير غرض الزيارة دون موافقة السلطات، والمهاجرين غير الشرعيين هم الأشخاص الذين يعملون بطريقة غير قانونية خلال إقامة مسموح بها قانوناً [12].

ويتضح من التعريف اعلاه إن الهجرة غير الشرعية تتمثل في ثلاثة أشخاص يمكن إن تطلق عليهم صفة الهجرة غير الشرعية وهم:

أولاً : الأشخاص الذين يدخلون بطريقة غير قانونية إلى دول الاستقبال ولا يوفقون في ترتيب وضعهم القانوني.

ثانياً : الأشخاص الذين يدخلون دول الاستقبال بطريقة قانونية ويبقون دون موافقة بعد انتهاء مدة الإقامة القانونية لهم.

ثالثاً : الأشخاص الذين يقومون بتغيير موقفهم القانوني الأساسي..

١١. الهجرة الاختيارية: (أو الطوعية)

يقصد بالهجرة الطوعية هي الهجرة التي تتم بالرغبة والمبادرة الفردية من الأشخاص سعياً وراء ظروف معيشة أفضل ، أي أنها تكون من اختيار الشخص نفسه وبمحض إرادته، ويكون لديه الرغبة الكافية والكاملة للانتقال والعيش في مكان غير موطنه الأصلي.

١٢. الهجرة الإجبارية (التهجير)

تتم تحت ظروف ضغط معينة أو بواسطة قوة خارجية تعمل على اجبار الفرد أو مجموعة من الأفراد للهجرة الى خارج اوطانهم وتعمل بالضد من ارادتهم، كما يقصد بها الهجرة الفردية أو الجماعية، بسبب الحروب والصراعات والكوارث الطبيعية، وقد تعني الهجرة الاجبارية التهجير الإجباري أو القسري و إزاحة الافراد أو السكان من مكان لآخر ، مثل ما حدث في فلسطين ، كما كانت تجارة

(12) القاضي بيار فرنسيس ، الهجرة غير المشروعة بين الدول العربية ، ورقة عمل مقدمة في بيروت ـ لبنان ، ٤ ـ ٥ ، ٢٠١١م ، ص ٢.

الرقيق في إفريقيا تعتبر من أكبر الهجرات الاجبارية من أجل العمل التي شهدتها الإنسانية في القرنين الخامس عشر والسادس عشر حيث تعتبر من أبرز الأمثلة على ذلك [13].

١٣. الهجرة السياسية

الهجرة السياسية هي هجرة فرد أو جماعة لأسباب سياسية ومضايقات مستمرة من قبل السلطة الحاكمة في بلد المهاجر السياسي، والمضايقة تكون بسبب التوجهات السياسية والاختلافات الفكرية بين المهاجر السياسي والنظام السياسي الحاكم، وتتم الهجرة السياسية أما عن طريق النفي من قبل النظام الحاكم أو من قبل سلطة الاحتلال الاجنبي لبلد المهاجر السياسي، أو عن طريق القرار الارادي الشخصي بالفرار الى خارج البلاد وطلب اللجوء السياسي في البلد الاخر، ومن هذا المنطلق قد تتشابه الهجرة السياسية مع الهجرة الاجبارية .

والشخص المهاجر لأسباب سياسية هو الذي يغادر وطنه نتيجة لقهر أو ضغط تمارسه السلطة الحاكمة بصفته يحمل عقيدة أو تصورًا سياسيًا مخالفًا لعقيدة أو تصور السلطة الحاكمة والتوجه بهذه الصفة نحو موطن آخر بحثًا عن الامن والأمان والحرية هو ما يطلق عليه باللجوء السياسي.

المبحث الثالث

الآثار القانونية للهجرة واللجوء

سنناقش هذا المبحث في فقرتين الاولى تتعلق بالآثار القانونية للهجرة واللجوء، والثانية تتعلق بتطبيقات مفاهيم اللجوء والهجرة على العراقيين والسوريين .

اولا - الآثار القانونية للهجرة واللجوء

تترتب على حالات اللجوء والهجرة التزامات وواجبات على الموطن الاصلي للمهاجر أو اللاجئ، وكذلك على موطن البلد المستقبل، وكذلك على المهاجر أو اللاجئ نفسه فقضية الهجرة واللجوء تثير الرأي العام المحلي والدولي، وذلك لجوانبها الإنسانية والقانونية وتوابعها الاجتماعية و النفسية.

وقد عالج بروتوكول مكافحة تهريب المهاجرين عن طريق البر والبحر والجو المكمل لاتفاقية الامم المتحدة لمكافحة الجريمة عبر الوطنية لسنة ٢٠٠٠ مسألة تهريب المهاجرين، ورتب التزامات على الدول بإصدار تشريعات تعاقب كل من قام بفعل تهريب المهاجرين او أسهم في ذلك وفقا لأنظمتها القانونية واعتبار هذا

---

(13) فتحي محمد أبو عيانه ، جغرافية السكان اسس وتطبيقات ، الطبعة الرابعة، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية ١٩٩٣،ص ٢٠٤.

العمل من الجرائم عبر الوطنية التي تجب المعاقبة عليها، مع العرض إن المهاجرين غير مسؤولين جنائيا بموجب هذا البرتوكول نظرا لكونهم هدفا للسلوك الاجرامي.

وعليه فان اختلاف التحليلات حول هذه الوضعية الانسانية يجب الا تستغل لأهداف سياسية تطمس الحقيقة المأساوية لهذه الظاهرة التي اصبحت اليوم تثير فينا التساؤل المريب عن اهدافها وغاياتها والمروج لها خارج الاوطان بهدف تحطيم القدرات الشبابية بحرمانها من التمتع بحقوقها الشرعية وفق المواثيق والمعايير الدولية.

ومن هذا المنظور يستوجب أن تتظافر الجهود المحلية والاقليمية والدولية لمعالجة ظاهرة الهجرة واللجوء لتتوافق مع الاعلان العالمي لحقوق الانسان وحرية الفرد في التنقل عبر العالم.

إن النتائج والآثار التي تترتب على حالات الهجرة واللجوء كثيرة ومتعددة ويمكن الاشارة الى البعض منها كما يأتي:

أ- زيادة ملحوظة في عدد سكان المدن والدول المستقبلة ونقصان في سكان المدن الطاردة، وقد تكون زيادة أو ارتفاع نسبة النمو السكاني سببا للهجرة وذلك طلبا للعيش.

ب- تترتب على المدن والدول المستقبلة اعباءً اضافية تتمثل في نقص الخدمات الرئيسية بصفة عامة.

ج- ظهور مجمعات سكنية غير نظامية في المدن المستقبلة، ومنها على سبيل المثال مدن الصفيح والاكواخ، ويدور الحديث هنا عن الهجرة بشكل عام و لا تكون منها بالضرورة الى اوروبا .

د- نقص الايدي العاملة والخبرات والكفاءات العلمية في موطن المهاجر أو اللاجئ الاصلي وزيادة في الموطن الآخر.

ه- زيادة البطالة ومعدلات الانحراف.

و- انتشار العديد من الجرائم ، وممارسة العادات التي لا تتفق مع الحياة الحضرية في المدن.

ز- بروز ظواهر الاختلاف في التراكيب النوعية للمجتمع.

ح- اقتران وجود اللاجئ أو المهاجر بتبعات مالية باهظة تشمل كلفة السكن والدراسة والخدمات الطبية والمصاريف الشخصية.

ط- اشغال المهاجرين للدور او الشقق السكنية يخلق اشكالات غير قليلة.

ي- الحسابات السياسية بدور الوافدين والقلق الذي يسببه هذا الوجود الكبير لسلطات الدولة، ومبعثه التوتر وعدم الأمان الناشئ بين تلك الجاليات على اختلاف سلوكياتها وأساليب تعاملها.

ك- فقدان المواهب والعقول لصالح بلدان أخرى الناتج عن هجرة العقول والكفاءات الى الخارج.
ل- تترتب اللجوء والهجرة مشاكل ومعاناة انسانية وسياسية واقتصادية واجتماعية وامنية محلية.
م- وغيرها من النتائج الاخرى ذات الصلة.

وللحد من ظاهرتي اللجوء والهجرة اللتان تمثلان الآفة التي تؤرق المجتمعات يجب البحث عن حلول جذرية لاستئصال هذه الظواهر من جذورها وذلك من خلال:

١- توجيه الاهتمام لها وتوفير الامن والامان للإنسان على اختلاف قومياته ومذاهبه وميوله وافكاره، وتوفير الخدمات الصحية والاجتماعية واستغلال خدمات البيئة في اقامة صناعات محلية صغيرة اضافة إلى تحسين ظروف الحياة.
٢- التعامل بصيغ مقنعة تجسد تطلعات الانسان عبر الخطاب السياسي الذى يجب أن يرافقه برنامجا تنمويا واضحا يمس كافة شرائح المجتمع.
٣- إن مسؤولية الدولة الواحدة في معالجة هذه الظاهرة قد لا تكفى وذلك لتداعياتها القانونية والاقتصادية والاجتماعية وإبعادها الإقليمية والدولية ولذلك بات لزاما على الدول الاقليمية والدول المستقبلة للهجرة واللجوء ان تكيف انظمتها القانونية مع روح القوانين الدولية وخاصة الاعلان العالمي لحقوق الانسان وحرية الفرد في التنقل.
٤- إن الدولة التي تتغاضى عن خروج مواطنيها بصفة غير شرعية تعد في نظر القانون الدولي مقصرة في حق مواطنيها، والدول التي يتسلل إليها المهاجرون واللاجئون ينظرون إلى دولة اللاجئ والمهاجر بعين الريبة والشك، لأن الدول تحرص على حماية مواطنيها وحدودها من التسلل من أو إلى إقليمها الدولي.
٥- إن الدولة مسؤولة عن توفير الاستقرار والطمأنينة لكافة مواطنيها، وهى مطالبة بمعالجة هذه الجوانب بآليات قانونية وتنمية اقتصادية وتربية سليمة مبنية على حب الوطن والعمل الجاد لتنمية البلد.

ثانيا – تطبيق مفاهيم اللجوء والهجرة على العراقيين والسوريين

نلاحظ إن هناك اعداد كبيرة كما اسلفنا من العراقيين والسوريين قد وصلوا إلى أوروبا بواسطة القوارب والسفن الصغيرة عبر البحر من تركيا واليونان وايطاليا واماكن اخرى غيرها، خلال هذا العام والعام الماضي، فأي من مصطلحي اللجوء والهجرة ينطبق عليهم؟ وما هي الاحكام التي تنطبق عليهما؟

في الواقع، إن المصطلحين المذكورين معاً قد ينطبق عليهما، فغالبية العراقيين والسوريين الذين وصلوا هذا العام إلى اوروبا قد أتوا بشكل خاص من وطنيهما الغارقين في الحروب والصراعات المحلية أو الدولية التي اجبرتهم على طلب اللجوء والهجرة، وهم يحتاجون إلى الحماية القانونية الوطنية أو الدولية، وبالنسبة إلى الكثيرين منهم قد يكون مصطلح "مهاجر" هو الأصح للتطبيق عليهم.

والمفوضية العليا لشؤون اللاجئين تستخدم مصطلحي "لاجئ ومهاجر" عند الإشارة إلى تحركات الأشخاص عبر البحر، فهي تستخدم مصطلح "لاجئ" عندما تشير إلى الأشخاص الفارين من الحروب أو الاضطهاد عبر حدود دولية، ومصطلح "مهاجر"، عندما تشير الى أشخاص ينتقلون عبر البحر أو اماكن الدخول الاخرى لأسباب لا يشملها التعريف القانوني لمصطلح لاجئ.

واي كان من المصطلحين ينطبق على هجرة العراقيين او السوريين، فإن القواعد والاحكام الاتفاقية أو العرفية التي اشرنا اليها في سياق هذا البحث ينطبق عليها، وعلى هذا الاساس تجب معاملتهم وفقها وتسهيل مهمة عودتهما او توطينهما وتوفير الحماية لهما وفقا للقواعد القانونية الوطنية والدولية.

الخاتمة

من الملاحظ إن معظم المهاجرين واللاجئين في عالمنا يتوجهون إلى الدول الغنية وفي مقدمتها دول شمال أمريكا واستراليا والاتحاد الأوروبي. ويعود اختيارهم لهذه البلدان إلى سعيهم لإيجاد فرصة عمل تساعدهم على تحسين مستواهم المعيشي والهروب من واقع بلدانهم المرير.

إن الاوضاع الامنية إلى جانب أسباب اقتصادية وسياسية واجتماعية اخرى قد تكون في مقدمة الأسباب التي أجبرت الكثير من العراقيين والسوريين على الهجرة إلى خارج البلاد، والملاحظ إن هجرة العراقيين والسوريين اليوم بدون هدف ولا سابق موعد، انها هجرة ملفتة للنظر ، فالمهاجرون قد تركوا فراغاً ملحوظاً في كافة القطاعات، فهم سعوا للخلاص من دوامة العنف والحروب والارهاب الخطير وقد أحدثت الهجرة فجوة في النسيج الاجتماعي الحي في المجتمعين العراقي والسوري.

إن عملية الهجرة تستنزف العراق وسوريا من عمالته وكفاءاته العلمية واساتذته الجامعين، وهدف الغرب هو استقطاب الشباب العراقي والسوري على وجه التحديد ، وان فتح باب الهجرة بهذا الوقت هو سياسة مقصودة هدفها إسقاط العراق وسوريا وغيرهما من الدول الاخرى.

فعلى الحكومتين العراقية والسورية إن أرادتا إيقاف الهجرة إلى خارج بلديهما أن تتخذا العديد من الإجراءات السياسية والاقتصادية والأمنية والدستورية ، ومحاولة فتح آفاق أمام المواطنين والشباب منهم بشكل خاص من خلال تعيينهم ، والاخذ بنظر الاعتبار الاسباب والمعالجات المشار اليها في هذا البحث وغيرها من الاجراءات الاخرى التي تصب في هذا الاتجاه.

و من هذا المنطلق نرى ضرورة تعاون جميع البشر في دول العالم ، حتى لا تخدش الصلة الجامعة بين بني آدم، والموضحة لحقوقهم الطبيعية، بغض النظر عن الحدود السياسية بينهم، لأنها أمور اعتيادية طارئة، توجد اليوم وتزول غداً، وعلى هذا الأساس نفهم قول الله تعالى في الآتين المشار اليهما سابقا : «يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ»، وقوله تعالى: « وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً».

المصادر

القرآن الكريم

١- الاتفاقية الخاصة بوضع اللاجئين لعام ١٩٥١ .
٢- الاتفاقيات والبروتوكولات الدولية الاخرى ذات العلاقة.
٣- أحمد الرشيدي الحماية الدولية للاجئين ، القاهرة ، مركز البحوث والدراسات السياسية، ١٩٩٧ .
٤- الاعلان العالمي لحقوق الانسان.
٥- حمود السيد حسن حسن، "حماية اللاجئين إبان النزاعات المسلحة"،السياسة الدولية، العدد ١٦٢، أكتوبر ٢٠٠٥.
٦- سيد عبد الله ولد المحبوبي، الهجرات الداخلية والتنمية في موريتانيا، الثاني الحرج، منشور بالتعاون مع صندوق الأمم المتحدة للسكان بموريتانيا، ١٩٩٧.
٧- صلاح الدين طلب فرج،"حقوق اللاجئين في الشريعة الاسلامية والقانون الدولي"،مجلة الجامعة الإسلامية، العدد الأول، يناير ٢٠٠٩.
٨- فتحي محمد أبو عيانه ، جغرافية السكان اسس وتطبيقات ، الطبعة الرابعة، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية ١٩٩٣.
٩- القاضي بيار فرنسيس ، الهجرة غير المشروعة بين الدول العربية ، ورقة عمل مقدمة في بيروت ـ لبنان ، ٤ ـ ٥ ، ٢٠١١م .
١٠- نادر فرجاني ، سعيا وراء الرزق ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، لبنان ١٩٨٨ .

المادة الثالثة المشتركة من اتفاقيات جنيف الأربعة لعام ١٩٤٩ (إتفاقية مصغرة) دراسة قانونية تحليلية تطبيقية للمادة الثالثة المشتركة من إتفاقيات جنيف الأربع لعام (١٩٤٩) وبروتوكولها الثاني الإضافي لعام (١٩٧٧) في ضوء واقع التعامل الدولي.

م.م.خنساء محمد جاسم الشمري
كلية المأمون الجامعة / قسم القانون

المستخلص
يمثل قانون جنيف الجزء الاساس من النظام الدولي الانساني ، ويتضمن اتفاقيات جنيف الاربع لعام ١٩٤٩ ، فضلا عن بروتوكوليها الاضافيين لعام ١٩٧٧ ، كما يتضمن حماية ضحايا المنازعات المسلحة الدولية وغير الدولية ، وتتفرد المادة الثالثة المشتركة في الاتفاقيات الاربع بكونها الوحيدة التي عالجت موضوع حماية ضحايا المنازعات المسلحة غير الدولية .
ان هذه المادة كفلت الحد الادنى من المعاملة الانسانية لضحايا هذه المنازعات وجاء البروتوكول الثاني لعام ١٩٧٧ الاضافي ليكملها ، فاتى بنصوص تفصيلية تضمن حماية اوسع لضحايا النزاعات المسلحة ذات الطابع غير الدولي .
ان المادة الثالثة المشتركة المكملة ولانفرادها بتوفير الحماية لضحايا المنازعات المسلحة غير الدولية تعد بحق اتفاقية مصغرة .

الكلمات المفتاحية : المادة الثالثة المشتركة، اتفاقية مصغرة، اتفاقيات لاهاي، اتفاقيات جنيف، النزاعات المسلحة، الحرب الدولية، الحرب الأهلية.

Abstract

The four Geneva conventions(1949) and their additional Protocol (II) of 1977 are international treaties which are considered the core of international humanitiran law. Article (3) , Common in all agreementsg is the only one that provides protection to the victims of non – international armed conflicts.
This article was developed by the second additional Protocol of 1977 which contains detailed rules for insuring wider protection for such victims.
Article (3) can be termed as a (minimized Convention)by itself

المقدمة

ان الحرب حالة لازمت البشرية منذ فجر التاريخ. فمنذ العهود الأولى لوجود الإنسان عرفت الحرب كأداة لتسوية الخلافات. وللحرب آثار مدمرة على البشرية في جميع المجالات السياسية والإجتماعية والإقتصادية والثقافية، وخلال القرن العشرين – شهد المجتمع الدولي – حروباً ضارية أستخدمت خلاصة ما جاءت به عبقرية الإنسان من وسائل الشر والإيذاء والهدم والدمار.

ومن هنا .. أوجدت بعض الجماعات القديمة قواعد ترمي إلى التخفيف من ويلات الصراعات المسلحة، ولا شك أن هذه القواعد كانت هي الجذور الأولى للقانون الدولي الإنساني.

ونتيجة لهذا التوجه الدولي، شهد المجتمع الدولي ولادة العديد من المعاهدات الدولية متعددة الأطراف، والمعروفة بإتفاقيات لاهاي أو (قانون لاهاي) ، وهي مجموعة من القواعد التي ترمي إلى تنظيم أساليب ووسائل القتال في الحروب البرية والبحرية.

وعندما أنتهت الحرب العالمية الثانية التي خلفت حصيلة ثقيلة من الضحايا لم يسبق للبشرية أن شهدتها، وجد المجتمع الدولي أنه لابد من تطوير القواعد المنظمة للحروب فإتجهت الدول إلى إبرام إتفاقيات جنيف الأربع لعام ١٩٤٩ والمعروفة بإسم قانون جنيف .

وبقدر تعلق الأمر بموضوع البحث الذي يناقش مادة مشتركة في اتفاقيات جنيف آنفة الذكر، ألا وهي المادة الثالثة المشتركة، فقد تضمنت إتفاقيات جنيف نحو (٤٢٩) مادة عالجت مشكلات حقوق الإنسان في الحروب التي تنشب بين

الدول بإستثناء المادة الثالثة المشتركة التي عالجت موضوع النزاع المسلح الذي ليس له صفة دولية، والتي تعتبر مكملة للبرتوكول الثاني الإضافي لإتفاقيات جنيف والموقع عليه سنة ١٩٧٧، الذي أنطوى على توسيع مضمون القواعد التي توفر حماية لحقوق الإنسان بصورة أشمل مما كانت تقدمه المادة الثالثة السالفة الذكر لحالات النزاعات المسلحة غير الدولية ونموذجها الحرب الأهلية.

لذلك سنحاول أن نسلط الضوء على هذه المادة واصفين إياها باتفاقية مصغرة لإنفرادها في معالجة موضوعة النزاع المسلح غير الدولي... متناولين ذلك في مبحثين، في الأول منها التنظيم الدولي للنزاعات المسلحة غير الدولية وفقاً للمادة الثالثة المشتركة وعلى ثلاثة مطالب، وأفردنا المبحث الثاني للبرتوكول الثاني لعام ١٩٧٧.

المبحث الأول
التكييف القانوني للمنازعات المسلحة غير الدولية
وفقاً للمادة الثالثة المشتركة

لقد جاءت إتفاقيات جنيف الأربع لعام ١٩٤٩ لتعالج موضوعة النزاعات المسلحة غير الدولية، تلك المنازعات التي يمكن أن ينصرف مفهومها إلى كل العمليات العدائية التي لا يكون في إطارها إلا شخصاً واحداً من أشخاص القانون الدولي العام أو بعبارة أدق إلا دولة واحدة، حيث أن إصطلاح النزاعات المسلحة غير الدولية – كقاعدة عامة – ينحصر في النزاعات المسلحة التي تنشأ داخل حدود إقليم الدولة بين السلطة القائمة من ناحية وجماعة من الثوار والمتمردين من جانب آخر[1]، إلا أن الناحية الواقعية تكشف لنا أن النزاعات المسلحة غير الدولية تنصرف إلى طائفة شديدة التنوع من صور التمرد المسلح ضد الحكومة القائمة في الدولة، إذ هي تنصرف إلى التظاهرات وأعمال العصيان المسلحة، القلاقل والاضطرابات الداخلية، أعمال الشغب، الحروب الأهلية التي بمناسبتها تتحلل مقتضيات الوحدة الداخلية والسلام الاجتماعي داخل الدولة[2].

---

[1] د. حازم عتلم: قانون النزاعات المسلحة الدولية، (المدخل – النطاق الزمني)، دار النهضة العربية، القاهرة، ٢٠٠٨، ص ص١٣٣ – ١٥٢.

[2] د. هشام بشير وإبراهيم عبد ربه، المدخل لدراسة القانون الدولي الإنساني، ط١، المركز القومي للإصدارات القانونية، القاهرة، ٢٠١٢، ص١٣٤.

ولقد تميزت هذه الإتفاقيات الموضوعة في التواريخ (١٨٩٩،١٩٠٧) بالعديد من الخصائص منها إنها عملت على تثبيت القواعد الخاصة بكيفية بدء الحرب وطرق وأساليب القتال، حيث تم فيها تقنين القواعد العرفية المتعلقة بالحروب وأعمال القتال وأستحداث قواعد جديدة فيها[٣].

ونجد أن قواعد القانون الدولي لم تكن تهتم بمسألة النزاعات المسلحة الداخلية أو القائمين بها والآثار التي تترتب عليها في الفترة التي سبقت إبرام إتفاقيات جنيف الأربع لعام ١٩٤٩، وتلك هي حقبتنا الزمنية الأولى، إذ أن الحروب الأهلية هي التي كانت سائدة، وكان هذا النوع من الحروب يخضع، من حيث المبدأ، للقانون الداخلي، إلا إذا أعترفت السلطة القائمة للثوار بصفة المحاربين[٤]، فكانوا يتمتعون بموجب هذا الإعتراف ببعض الحقوق في مواجهة حكومتهم، وهي أن يتم معاملتهم في حال القبض عليهم أسرى وليس كخونة ومجرمين[٥]، إلا أن الاعتراف بصفة المقاتلين كان يخضع لشروط عدة :

١- أن يتمكن الثوار من احتلال جزء من إقليم الدولة.

٢- ممارسة حقوق السيادة على هذا الجزء من الإقليم.

٣- أن يخضع الثوار لتنظيم وقيادة عسكرية تطبق قواعد وأعراف الحروب.

لقد أدركت الدول بعد الحرب العالمية الثانية حقيقة أنه سيقل نشوب الحروب الدولية وسيزداد إندلاع الحروب الأهلية، ومما هو جدير بالذكر ان ميثاق الأمم المتحدة وإن كان يمنع اللجوء للحرب إلا أن هذا الحظر لم يطبق إلا على المنازعات الدولية، أما المنازعات الداخلية فغير محظورة [٦]، وفوق هذا وذاك فإن

---

[٣] د.نغم إسحاق زيا: القانون الدولي الإنساني والقانون الدولي لحقوق الإنسان، دار المبطوعات الجامعية، الإسكندرية، ٢٠٠٩، ص٣٢.

[٤] د.سعيد سالم جويلي ، المدخل لدراسة القانون الدولي الإنساني، ، دار النهضة العربية، القاهرة، ٢٠٠١ – ٢٠٠٢، ص٢٩٨.

[٥] د.هشام بشير، مصدر سابق، ص١٣٥، ويضيف أنه عادةً كانت الدول تلجأ إلى الإعتراف حتى تعفي نفسها من تحمل المسؤولية عن الأضرار التي تلحق بالأجانب المتواجدين على أراضيها أو التي تلحق بدول أخرى مجاورة من جراء الحرب الأهلية.

[٦] جان س بكتيه : القانون الدولي الإنساني تطوره ومبادئه ، بحث منشور في دراسات في القانون الدولي الإنساني تقديم د.مفيد شهاب ، دار المستقبل العربي، بيروت، ، ٢٠٠٩.ص٦٦.

المجتمع الدولي المعاصر لم يعد يستطيع أن يغض الطرف عن الأهوال والفضائع التي تعرفها النزاعات المسلحة غير ذات الطابع الدولي.

ومن باب التسليم بالحقائق أعلاه استقر القانون الدولي العام منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر على كفالة قدر من التنظيم الدولي لصورة بعينها من صور النزاعات المسلحة غير الدولية، التي عدت الأكثر عنفاً بينها جميعاً ونقصد بذلك الحرب الأهلية بمفهومها الفني الدقيق، والتي بمناسبتها يأخذ الصراع طابعاً دموياً في عموميته على نحو يفترض معه تدخل قواعد القانون الدولي لضمان كفالة الحد الأدنى من متطلبات الإنسانية[٧].

فكيف عالجت هذه الإتفاقيات موضوعة المنازعات المسلحة غير الدولية؟

إن المراحل التمهيدية لإعداد مشروع إتفاقات جنيف لحماية ضحايا الحرب لعام ١٩٤٩، قد شهدت إتجاهاً إستهدف تطبيق المبادئ الواردة في الإتفاقيات في جميع حالات النزاعات المسلحة، أي حتى في تلك الحالات التي لا يتوافر لها الطابع الدولي، أو تلك النزاعات التي تدور داخل أراضي إحدى الدول بين القوات الحكومية وفريق الثوار أو المتمردين[٨]، إلا أن هذا الإتجاه لقي معارضة شديدة في مؤتمر جنيف فقد عارضت معظم الوفود تطبيق إتفاقيات جنيف على حالات النزاعات الداخلية، وتوسطت بعض الآراء منادية بوجوب الإتيان بحل وسط، يتحصل في تطبيق محدود لمبادئ الاتفاقات، وأنتصر هذا الحل التوفيقي وأستقر بنص المادة الثانية المشتركة من إتفاقيات جنيف لتطبق على حالات النزاعات المسلحة ذات الطابع الدولي[٩] بينما جرت صياغة نص المادة الثالثة المشتركة لتتناول أحكاماً تطبق على المنازعات المسلحة غير ذات الطابع الدولي.

---

[٧] د.حازم عتلم، مصدر سابق، ص١٣٥.

[٨] د. صلاح الدين عامر، مقدمة لدراسة القانون الدولي العام، دار النهضة العربية، القاهرة،٢٠٠٧.، ص١٠١٩.

[٩] تنص المادة الثانية المشتركة من إتفاقيات جنيف الأربع على أن ((علاوة على الأحكام التي تنفذ وقت السلم، تطبق هذه الإتفاقية في جميع حالات إعلان الحرب أو في حالة أي اشتباك مسلح آخر، يمكن أن ينشب بين طرفين أو أكثر من الأطراف السامين المتعاقدين حتى إذا لم يكن أحد الأطراف قد اعترف بقيام حالة الحرب.تطبق هذه الإتفاقية أيضاً في جميع حالات الاحتلال الجزئي أو الكلي لأراضي أحد الأطراف السامين المتعاقدين حتى إذا كان هذا الاحتلال لا يواجه مقاومة مسلحة وحتى إذا لم تكن إحدى الدول المشتبكة في القتال طرفاً متعاقداً بهذه الإتفاقية فإن الدول المتعاقدة تبقى مع ذلك، ملتزمة بأحكامها في علاقاتها المتبادلة، وعليها فوق ذلك أن تلتزم بها في علاقاتها مع الدولة المذكورة، إذا قبلت هذه الأخيرة أحكام الإتفاقية وطبقتها)).

المطلب الأول
مفهوم النزاع المسلح وفقاً للمادة الثالثة المشتركة

إن إشتداد عود الحركة الإنسانية وحركة حقوق الإنسان والرغبة في كفالة نوع من الحماية لضحايا المنازعات المسلحة غير الدولية كان له الفضل الأكبر في ولادة الاتفاقية المصغرة ، إلا أن صياغة هذه المادة وبالشكل الذي تصدرت به إتفاقيات جنيف الأربع لم يكن أمرا سهلاً، فمن جانب الوفود المشاركة التي حضرت مؤتمر جنيف الدبلوماسي، وضمن الأعمال التحضيرية لصياغة نص المادة، كانت المناقشات تتعالى معلنة عن رغبة حقيقية في حصر تطبيق المادة الثالثة على المنازعات المسلحة الداخلية، التي تتوافر فيها شروط معينة تكشف عن مظاهر تنظيم مناوئ للحكومة للشرعية[١٠]، وإن القول بغير ذلك سيؤدي إلى إجبار الحكومات في قبول الإلتزام بإعطاء الخارجين عليها الضمانات القانونية المعتادة وأبسط التدابير الإنسانية[١١].

وعلى الصعيد الإنساني، فإن اللجنة الدولية للصليب الأحمر أعلنت أنها تحبذ تطبيق هذه المادة على أوسع نطاق ممكن، إلا أنها ما لبثت إلا أن عادت وأستدركت مجاراتها للرؤية الإنسانية الراجحة بتفعيل المفهوم الواسع لإصطلاح النزاع المسلح غير ذي الطابع الدولي، بإن شددت في تعليقها على ذلك ((بإن مثل هذا التفسير لا يحد إطلاقاً من حق الدولة في الردع، ولا يزيد من سلطة الفريق المتمرد))، مستوعبة في توطئتها السالفة مخاوف عدد كبير من الوفود من أن يمتد نطاق تطبيق المادة إلى كل عمل يرتكب بالقوة، بما في ذلك جميع أشكال الفوضى والعصيان، الأمر الذي يؤدي إلى المساس بمبدأ السيادة، ذلك المبدأ العتيد الذي لا تنفك الدول من التشبث به، فلك يدور فيه نجم وجودها أو عدمه، أضف إلى ذلك أن قبول الدول لذلك التوصيف المرن لمصطلح النزاع المسلح كان بدافع وجلها هي الأخرى في أن يتجبر على تطبيق قواعد دولية مفروضة عليها بدعوى نشوب نزاع مسلح داخلي على أقاليمها[١٢]، فكان عليها أن تقبل أهون الأمرين، وهكذا صيغت المادة الثالثة، كحل وسط في محاولة للتوفيق بين الإعتبارات الإنسانية ومصالح الدول.

---

[١٠] صلاح الدين عامر، مصدر سابق، ص١٠٢٧.

[١١] جان س بكتيه ، مصدر سابق ، ص٦٨.

[١٢] د. نمجشيد ممتاز: القواعد الإنسانية الدنيا المطبقة في فترة الاضطرابات والتوترات الداخلية، مقال منشور في المجلة الدولية للصليب الأحمر، ع ٦١، السنة ١١، أيلول ١٩٩٨، ص٤٤٤.

وتنص المادة الثالثة المشتركة على أنه في ((حالة قيام نزاع مسلح ليس له طابع دولي في أراضي أحد الأطراف السامية المتعاقدة، يلتزم كل طرف في النزاع بأن يطبق كحد ادنى الأحكام الآتية :

١- الأشخاص الذين لا يشتركون مباشرة في الأعمال العدائية، بمن فيهم أفراد القوات المسلحة الذين ألقوا أسلحتهم، والأشخاص العاجزين عن القتال بسبب المرض أو الجرح أو الاحتجاز أو لأي سبب أخر، يعاملون في جميع الأحوال معاملة إنسانية دون تمييز قائم على العنصر أو اللون أو الدين أو المعتقد أو المولد أو الثروة، وأي معيار مماثل أخر.

ولهذا الغرض، تحظر الأفعال الآتية في جميع الأوقات والأماكن :

أ- الإعتداء على الحياة والسلامة البدنية وبخاصة القتل بجميع أشكاله والتشويه والمعاملة القاسية والتعذيب.

ب- أخذ الرهائن.

ج- الإعتداء على الكرامة الشخصية وعلى الأخص المعاملة المهينة الحاطة بالكرامة.

د- إصدار الأحكام وتنفيذ العقوبات دون إجراء محاكمة سابقة أمام محكمة مشكلة تشكيلاً قانونياً، وتكفل جميع الضمانات اللازمة في نظر الشعوب المتمدنة.

٢- يجمع الجرحى والمرضى ويعتنى بهم.

ويجوز لهيئة إنسانية غير متحيزة كاللجنة الدولية للصليب الأحمر أن تعرض خدماتها على أطراف النزاع،

وعلى أطراف النزاع أن تعمل فوق ذلك وعن طريق إتفاقات خاصة على تنفيذ كل الأحكام الأخرى في هذه الإتفاقيات)).

وتمثل هذه المادة بنصها الحالي تقدماً جوهرياً، لإنها تعني أن المنازعات الداخلية التي تقع في المستقبل لن تكون تماماً خارج نطاق قانون جنيف ومع إنها لا تخضع بدقة لهذا القانون كما تخضع الحروب الدولية فإنها مع ذلك تقع في نطاق سلطة[١٣].

ولم تعرّف المادة الثالثة المشتركة، النزاع المسلح الداخلي لكنها انطلقت من واقع أفترض حدوثه على أرض أحد الأطراف المتعاقدة[١٤].

إن إطلاق تعبير (النزاع المسلح الداخلي) في صدر هذه المادة، أتاح تطبيقها على أوسع نطاق ممكن، فمن المسلم به أن النزاع المسلح غير ذي الطابع الدولي أوسع في مفهومه ودلالته من الحرب الأهلية، ويبدو أن هذا هو أعظم الأمال التي عملت اللجنة الدولية للصليب الأحمر لتحقيقها، إذ كانت الصوت المنادي الذي

---

[١٣] جان س بكتيه ، مصدر سابق ، ص٦٨.

[١٤] د.هشام بشير وإبراهيم عبد ربه، مصدر سابق، ص١٣٨.

يصدح في كل المؤتمرات متمسكاً بذلك التفسير الواسع، وعلى النحو الذي فضلناه، بل وشكلت اللجان تلو اللجان لدراسة المشاكل المتعلقة بتطبيق المادة الثالثة المشتركة، إذ أنها وفي هذا الاتجاه تسعى إلى إرساء قواعد أفضل الممارسات الدولية مستهدفة تطبيقها على أوسع نطاق ممكن[١٥]، كما أن أختيار هذه الصيغة المفتوحة المثيرة للفضول، وما نعني به هنا (النزاع المسلح غير الدولي) من قبل المناقشين في مؤتمر جنيف يقودنا إلى إستقراء حقيقة جلية للعيان، مفادها أنهم قرروا في النهاية التوفيق بين خلافاتهم المتعددة بوسيلة بسيطة وعامة وهي عدم الوصول إلى أي نتيجة نهائية، وترك مسألة التطبيق لتقلبات الحاجة الدولية. وهكذا، تمتد أحكام المادة الثالثة المشتركة صراحة في مواجهة النزاعات المسلحة غير الدولية التي تثور على وجه العموم في أراضي أحد الأطراف السامين المتعاقدين،

وبعبارة أخرى، فإن المادة الثالثة - محور البحث - تعترف بالشخصية القانونية الدولية للمتمردين، بصرف النظر عن الإعتراف بهم من قبل الدولة أو من قبل الغير، ويعد ذلك تطوراً ملحوظاً في حماية حقوق الإنسان في المنازعات المسلحة الداخلية فقد أصبحت تلك الحماية غير متوقفة على شرط الإعتراف، ولكنها تخضع لشروط موضوعية[١٦]، مما جعل هذه الحقبة الزمنية، عصراً ذهبياً لم تشهد النزاعات المسلحة غير الدولية في التنظيم، له مثيل.

إن تعبير (النزاع المسلح) يدل بوضوح على أن المادة تشير فقط إلى الإضطرابات الشبيهة بالحرب ولا تغطي الجرائم العادية، كما أن تعبير كل طرف يؤكد درجة التطور التي تحققت بدون أشتراط أن يكون الطرف المتأثر شخصاً قانونياً يستطيع الدخول في إرتباطات دولية. وإلى جانب ذلك فقد ذكر أن الدولة حين تصادق على الإتفاقيات فإنها تفعل ذلك بالنيابة عن كل مواطنيها ممن فيهم أولئك الذين يتمردون على السلطة القائمة، وإن كان من خصائص هذه الزمرة بحكم طبيعتها أن لاتعترف بما تتخذه الدولة من إجراءات[١٧].

---

[١٥] المجلة الدولية للصليب الأحمر مصدر سابق، ص٤٤٤.

[١٦] د.سعيد سالم، مصدر سابق، ص٢٥٤.

[١٧] جان س بكتيه ، مصدر سابق، ص٦٨.

المطلب الثاني
الحقوق والضمانات المكفولة وفقاً للمادة الثالثة المشتركة

إن القانون الدولي الإنساني (International Humanitarian Law) مصطلح جديد ظهر في النصف الثاني من القرن العشرين ليطبق على المنازعات المسلحة الدولية وغير الدولية[١٨].

وإن إبتكار مصطلح (القانون الدولي الإنساني) يرجع إلى (Max Huber) القانوني المعروف، والذي شغل منصب رئاسة اللجنة الدولية للصليب الأحمر سابقاً ولعدة سنوات، ولم يلبث هذا المصطلح أن ظهر حتى تم تبنيه من قبل العديد من الفقهاء، ويكاد يكون اليوم مصطلحاً رسمياً متداولاً على الصعيد الدولي.

إن حقوق وضمانات الاتفاقية المصغرة التي أتت على نقاط تفصيلية، تُلزم طرفي اللعبة، أي الطرفين المتحاربين، السلطة القائمة وجماعة المتمردين على حد سواء، لذلك نجد أن محكمة العدل الدولية قد وصفت القواعد المكتنفة في ثنايا الإتفاقية المصغرة في حكمها الصادر في قضية الأنشطة العسكرية وشبه العسكرية في نيكارغوا عام ١٩٨٦ بإنها (مبادئ أساسية عامة للقانون الدولي الإنساني)[١٩].

إن الحقوق والضمانات التي جاءت بها المادة الثالثة المشتركة، ما هي إلا تكريس للمبادئ الإنسانية الأساسية التي يستند إليها القانون الدولي الإنساني ويدور في فلكها وجوداً وعدماً. حيث أنها تسمح بلا شك بتوفير حماية أفضل للإنسان الذي يقع في دوامة التوترات الداخلية، ولا أروع من أن تم النص على هذه المبادئ في صدد مادة مشتركة في أربع إتفاقيات شكلت في مجموعها قانون جنيف الذي يمثل دون شك، على الأقل من حيث الحجم، ثلاثة أرباع قانون الحرب القائم حالياً.

إن الحقوق والضمانات التي تبنت الاتفاقية المصغرة كفالتها لضحايا المنازعات المسلحة غير الدولية، في حقيقتها لا تعدو وبحسب المدلول اللفظي الدقيق – لنص المادة ٣ ما هي إلا (أفعال محظورة) في جميع الأوقات والأماكن الذي يدور أتون النزاع الداخلي ضراسة ووحشية في حدوده[٢٠].

ويبدو أن شراح القانون الدولي الإنساني وفقهاؤه قد ارتأوا تعبيراً مرادفاً (للأفعال المحظورة) يتحد معها (معنى) ويختلف (لفظاً) ألا وهو (جرائم الحرب)، والتي عُد إيراد حظرها في أحضان الإتفاقية المصغرة، قفزة نوعية في إطار الإرتقاء بحقوق الإنسان في هكذا نوع من النزاعات.

---

[١٨] د.هشام بشير وإبراهيم عبد ربه، مصدر سابق، ص٨.

[١٩] مجموعة أحكام محكمة العدل الدولية لعام ١٩٨٦، ص١١٤، القضية رقم ٢٢٠.

[٢٠] جان بكتيه، مبادئ القانون الدولي الإنساني: من أصدارات اللجنة الدولية للصليب الأحمر، جنيف، ١٩٧٥، ص٧.

وحظرت المادة في صدر محتواها جملة من الأفعال جاء في أولها :
١- الاعتداء على الحياة والسلامة البدنية وبخاصة القتل بجميع أشكاله والتشويه والمعاملة القاسية والتعذيب.

إن كل أمرئ يعرف أن الحياة أثمن ما يحوزه الإنسان، فإذا لم يقر للإنسان بحق الحياة، فليس هناك معنى لأي من الحقوق الأخرى على الإطلاق وإن للفرد حق احترام حياته وسلامته البدنية والروحية وخصائصه الشخصية[٢١]، فضلاً عن أن التعذيب من أجل انتزاع المعلومات، يصيب الفرد بمعاناة لا توصف ويعتبر انتهاكاً خطيراً لكرامة الإنسان... ويوجد خطر كبير من أن تؤدي زيادة الوحشية وسوء المعاملة، وتنظيم الإرهاب والإرهاب المضاد، فيما يتعلق بهذه الأساليب البغيضة إلى عادة مروعة تضعف في النتيجة الضمير الأخلاقي كما أن التعذيب يحط من قدر فاعليه بقدر ما يسيء إلى الضحية)) [٢٢].

وفيما يتعلق بأخذ الرهائن فقد حظرت المادة أخذ الرهائن[٢٣]، بل أن هذه الجريمة عدت من الجرائم الخطيرة التي شملها مبدأ عالمية الإختصاص وعلى النحو الذي سنبينه في السطور القادمة.

ويشير الفرع ج من الفقرة الثانية من الاتفاقية المصغرة إلى الاعتداء على الكرامة الشخصية وعلى الأخص المعاملة المهينة والحاطة بالكرامة، إذ يتمتع الشرف واحترام الذات بمكانة خاصة لدى الإنسان، لدرجة يضع فيها بعض الأفراد قيمتهم الأخلاقية مثل الحياة ذاتها، وعليه فإن كرامة الإنسان تجب حمايتها وعدم المساس بها من قبل الغير)) [٢٤]. وكذلك فإن الوحشية الناشئة عن الكراهية التي يتوسلها العنف تستدعي الثأر والأعمال الانتقامية، وبالتالي مزيداً من العنف.

---

[٢١] جان بكتيه، مصدر سابق، ص٤٣.

[٢٢] تنص المادة (٢) من إتفاقية مناهضة التعذيب وغيره من ضروب المعاملة أو العقوبة القاسية أو اللاإنسانية أو المهينة، الصادرة في ١٠ كانون الأول ١٩٨٤، والنافذة في ٢٦ حزيران ١٩٨٧، على أن ((لا يجوز التذرع بأية ظروف إستثنائية أياً كانت، سواء كانت هذه الظروف حالة حرب أو تهديداً بالحرب أو عدم أستقرار سياسي داخلي أو أية حالة من حالات الطوارئ العامة الأخرى كمبرر للتعذيب)).

[٢٣] وبهذا الصدد فإن الإتفاقية الدولية لمناهضة أخذ الرهائن لعام ١٩٧٩ تلزم جميع الأطراف بملاحقة المتهمين بأخذ الرهائن أمام القضاء وتسليمهم لها إلا أن نطاق تطبيقها يتحدد في أوقات السلم فقط.

[٢٤] د. سعيد سالم جويلي، مصدر سابق، ص١٤١.

أما الفرع د من الفقرة ٢ من الإتفاقية المصغرة فقد أولت أحكاماً ملحوظاً لحق الإنسان في الاعتراف بشخصيته أمام القانون، إذ لا تكفي حماية كرامة الإنسان الجسدية والمعنوية، بل يجب بالإضافة إلى ذلك إحترام شخصيته أمام القانون، كما يجب ضمان ممارسته الكاملة لحقوقه المدنية، خاصة تلك التي تتعلق بحقه بالإلتجاء إلى القانون وتوقيع العقود، وقد ورد هذا الحق في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الصادر عام ١٩٤٨ .

وتجدر الإشارة إلى أن المبادئ الأساسية التي أستند إليها النظام القانوني للإتفاقية المصغرة، محور البحث قد وردت في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان لعام ١٩٤٨، فهي مبادئ عامة يشترك بها فرعين من فروع القانون الدولي العام ألا وهما القانون الدولي الإنساني والقانون الدولي لحقوق الإنسان[٢٥].

إن النظر إلى الأحكام الواردة في صدر المادة الثالثة، وعلى أساس أنها (إنتهاكات خطيرة) تلتزم الدول بالامتناع عن إتيانها، يقودنا إلى قاعدة عالمية الاختصاص[٢٦]، والتي تقضي بأن من مصلحة كل دولة أن تحيل إلى العدالة

---

[٢٥] على أن النطاق الزمني لتطبيق كلا القانونين متغاير، فالقانون الدولي لحقوق الإنسان طبق في أوقات السلم فقط بينما قواعد القانون الدولي الإنساني تطبق في أوقات النزاعات المسلحة الدولية وغير الدولية... انظر بهذا الشأن :

ICRC – What is the difference between humanitarian Law and human rights Law 1/1/2004, ICRC publication "international humanitarian Law, answers andyourQuestions/recourse

https://www.icrc.org/eng/resources/documents/misc/5kzmuy.htm

[٢٦] وهذا ما أشارت اليه المادة الثالثة المشتركة حيث جاء فيها ان الانتهاكات الخطيرة ما يأتي :

١- أعمال ترتكب ضد أفراد تحميهم الإتفاقيات : القتل العمد، التعذيب أو المعاملة اللاإنسانية بما في ذلك التجارب الحيوية والأعمال التي تسبب عمداً معاناة شديدة أو إصابة خطيرة للجسم أو أضراراً بالصحة.

٢- أعمال ترتكب ضد الجرحى والمرضى والغرقى والمدنيين ، الاتلاف العمدي للممتلكات ومصادرتها مما لا تبرره ضرورة عسكرية.

٣- أعمال ترتكب ضد أسرى الحرب والمدنيين : إرغامهم على الخدمة في قوات دولة معادية أو تعمد حرمانهم من حقهم في محاكمة قانونية عادلة.

٤- أعمال ترتكب ضد المدنيين : النفي أو الإبعاد غير القانوني والاعتقال غير القانوني وأخذ الرهائن.

مرتكبي جرائم معينة تهم المجتمع الدولي بأسره بغض النظر عن جنسية مرتكبيها أو جنسية ضحاياها[٢٧].

وإذا ما اتفقنا على أن الأعمال المحظورة بالتعبير الفني الدقيق لنص المادة الثالثة هي مخالفات جسيمة لقانون الحرب، فهي وبالنتيجة المنطقية جرائم حرب[٢٨].

وبالعودة إلى قاعدة عالمية الإختصاص، نجد أن الإختصاص بهذه الجرائم ينعقد لكل دولة من دول العالم، لكون مرتكبيها يعد عدو للجنس البشري ويعتبر ما قام به مساس بمصالح الجماعة الدولية. وبالتالي تلتزم كل دولة تلقي القبض على المجرم أما بمحاكمته أو بتسليمه إلى دولة أخرى تتولى محاكمته طبقاً لمبدأ التسليم أو المحاكمة.

إن الهدف من الإختصاص العالمي هو حرمان المتهمين بإقتراف الجرائم الخطيرة التي تعتبر إهانة لمجتمع الدول ككل للحصول على ملاذ آمن[٢٩].

وبقدر تعلق الأمر بالاتفاقية المصغرة.. نجد من الأهمية بمكان أن نشير إلى أن المحكمة الجنائية الدولية ليوغسلافيا سابقاً وفي قضية النائب العام ضد تاديشن قد تبنت المبدأ الذي يقضي بإن (المخالفات الجسيمة) المرادفة الآن لعبارة (جرائم الحرب) لا تقترف سوى في النزاعات المسلحة الدولية[٣٠].

---

[٢٧] بعكس القضاء العادي الذي يعتمد على علاقة بين الجريمة والدولة.. انظر في هذا الشأن أ.محمدي بو زينة أمنة: آليات تنفيذ القانون الدولي الإنساني، دار الجامعة الجديدة، الإسكندرية،٢٠١٤ ، ص١٤٥.

[٢٨] إن جميع اتفاقيات جنيف لعام ١٩٤٩ والبروتوكول الإضافي الأول ١٩٧٧ بالإضافة إلى إتفاقية مكافحة التعذيب، تنص جميعها على وجوب التزام الدول الأطراف في هذه المعاهدات بالاختصاص القضائي العالمي، انظر المادة الثالثة المشتركة بين اتفاقيات جنيف لعام ١٩٤٩: المادة ٢/٤٩ من الإتفاقية الأولى، المادة ٢/٥٠ من الإتفاقية الثانية، المادة ٢/١٢٩ من الإتفاقية الثالثة والمادة ٢/١٤٦ من الإتفاقية الرابعة، والمادة ٨٨/ م من البروتوكول الإضافي الأول لعام ١٩٧٧.

[٢٩] أ .محمدي بوزينة أمنة ، مصدر سابق ، ص١٤٧.

[٣٠] المجلة الدولية للصليب الأحمر ، مصدر سابق، القرار الصادر في الحقوق، تشرين الأول (١٩٩٥) في القضية رقم IT – 94 – AR 72 الفقرة ١٤١.

المطلب الثالث
النطاق الشخصي للمادة الثالثة المشتركة

لقد اشتملت المادة الثالثة المشتركة في فقرتها الأولى وعلى أساس خطاب يتسم بالموضوعية والتجريد على بدء المعاملة الإنسانية لجميع الأشخاص الذين لا يشاركون في عمليات القتال أو الذين لم يعودوا قادرين على ذلك، ومن بينهم أفراد القوات المسلحة الذين ألقوا السلاح بصورة جماعية، أو فردية.

إن إتفاقيات جنيف تقوم في مجملها على مبدأ المعاملة الإنسانية، إلا أن هذا لا يعني أن لمقاتلي الحروب الداخلية صفة أسير الحرب قانوناً، بل أن مجرد حملهم السلاح يعطي لدولتهم مسوغاً في أن تحاكمهم وفق قوانينها على أن تراعي الشروط والضمانات القضائية[٣١]. أي تقيم الموازنة التي يتحقق بأعمالها تطبيق المادة الثالثة المشتركة، إذ في مقابل حقها في الملاحقة القضائية وتسليط العقاب القانوني عليها أحترام إجراء محاكمة عادلة.

وبقدر تعلق الأمر بمبدأ إنسانية المعاملة المفروضة بالتعبير اللفظي الصريح لنص الفقرة (١)، فمما لا شك فيه أن هذا المبدأ يعد من المبادئ الأساسية في القانون الدولي الإنساني، ويلعب دوراً رئيسياً في أحترام وحماية حقوق الإنسان وحرياته أثناء الحرب والنزاعات المسلحة، وعليه تقضي هذه الفقرة، بوجوب(معاملة الضحايا بإنسانية)، من خلال إحترام شرفهم ودمهم وصيانة الذات البشرية وكرامتها في أشد الظروف قسوة وضراوة.

كما وألمحت الفقرة (١) من هذه المادة وفي ذيلها إلى مبدأ أخر من المبادئ العامة للقانون الدولي الإنساني. ويبدو أن من أتى على صياغة هذه الفقرة قد أراد أن يقيم نوع من التزاوج الافتراضي بين المبدأين لتكون منظومة الحماية المكفولة على أحسن وجه، فالتغاضي عن مبدأ عدم التمييز بين من قررت الحماية لصالحهم قد يقوض المبدأ الأساسي (المعاملة الإنسانية) فلا إنسانية في التعامل إذا كانت قائمة على التمييز بين بني البشر إستناداً إلى معيار معين كاللون أو الجنس أو اللغة أو الطبقة أو أي معيار مشابه، وعليه فإن تطبيق هذه الفقرة يستدعي أن يكون بلا تمييز يستند إلى عوامل ظاهرية أو شكلية.

ويبدو واضحاً أن واضعي النص قد وفقوا في إتيان هكذا صياغة أتحد فيها مبدئان لا يقل أحدهما عن الأخر في أهمية الوجود، رغبة في توفير حماية فضلى.

---

[٣١] د.عامر الزمالي : الفئات المحمية بموجب أحكام القانون الدولي الإنساني بحث منشور في دراسات في القانون الدولي الإنساني ، مصدر سابق، ص١١٨.

ولو أن النص كان قد أتى على إيراد أحدهما دون الآخر لذهب تيار الحماية التقليد إدراج الرياح. ولكان الحال كالتي نقضت غزلها بعد جهد أنكاثا.

ولو انتقلنا إلى الفقرة (٢) من الإتفاقية المصغرة، لوجدنا أنها قد أتت بعبئ وإلزام آخر على عاتق الدول الأطراف في قانون جنيف، إذ نصت على أن ((يجمع الجرحى والمرضى ويعتنى بهم)).

ويبدو أن المادة (٨) الفقرة الثانية من البروتوكول الأول لسنة ١٩٧٧ الملحق بإتفاقيات جنيف الأربعة قد وفق في بيان المقصود بهذه الفئة، إذ نصت في فرعها (أ) إلى أن ((الجرحى والمرضى هم الأشخاص العسكريون أو المدنيون الذين يحتاجون إلى مساعدة أو رعاية طبية بسبب الصدمة أو المرض أو أي إضطراب أو عجز بدني كان أو عقلي الذين يحجمون عن أي عمل عدائي. وتشمل اللفظتان أيضاً حالات الوضع والأطفال حديثي الولادة والأشخاص الآخرين الذين قد يحتاجون إلى مساعدة أو رعاية طبية عاجلة، مثل ذوي العاهات وأولات الأحمال الذين يعجزون عن أي عمل عدائي))[٣٢].

ولاستكمال المنظومة الدفاعية لحقوق الإنسان في إطار الإتفاقية أتى الشطر الأخير منها بتفعيل دور اللجنة الدولية للصليب الأحمر، إذ جاء ذيل المادة الثالثة المشتركة في إتفاقيات جنيف الأربع على النص على أن ((... ويجوز لهيئة إنسانية غير متميزة كاللجنة الدولية للصليب الأحمر أن تعرض خدماتها على أطراف النزاع ...)).

إن اللجنة الدولية للصليب الأحمر، - التي تأسست في جنيف سنة (١٨٦٣) وأقرتها إتفاقيات جنيف والمؤتمرات الدولية للصليب الأحمر، مؤسسة إنسانية مستقلة- (ف١م ١من النظام الاساسي للجنة الدولية للصليب الأحمر الصادر في (٢١ / حزيران/ ١٩٧٣) والنافذ في (٢٠ تموز ١٩٩٨)، وهي بغير منازع الجهاز المحايد الذي يعمل في زمن المنازعات المسلحة الدولية - أو الاضطرابات الداخلية (م ١/٤/د من النظام الاساسي).

ولأعمال اللجنة الدولية للصليب الأحمر (ممثلة بالجمعيات الوطنية في الدول المتعاقدة) بصفة عامة وجوه ثلاث، حماية ضحايا الحرب، ونقل الأخبار بواسطة الوكالة المركزية للبحث عن المفقودين والتزويد بإمدادات الإغاثة (م٤من النظام الاساسي)، والذي يهمنا هنا هو حماية ضحايا الحرب[٣٣]، إذ أنها الرسالة الأصلية والمميزة للجنة الدولية للصليب الأحمر.

---

[٣٢] يعالج البروتوكول الأول الإضافي لسنة ١٩٧٧ موضوع النزاعات المسلحة الدولية.

[٣٣] يرجع الفضل في إنشاء اللجنة الدولية للصليب الأحمر إلى المواطن السويسري ((هنري دونان)) الذي شهد معركة (سولفارينو) التي وقعت على أرض إيطاليا بين الجيش النمساوي والجيش

إن اللجنة الدولية للصليب الأحمر تقوم بدور فعال في تنفيذ قواعد القانون الدولي الإنساني في النزاعات المسلحة غير الدولية، وهو ذات الدور الذي تمارسه في المنازعات المسلحة الدولية، وهي تمارس دورها هذا وبتخويل صريح من المادة الثالثة المشتركة ، ومن خلال تذكير الأطراف بالقواعد الأساسية للقانون الدولي الإنساني، إذ إنها تتخذ تدابير تستجيب للاحتياجات الأكثر إلحاحاً وذلك من خلال إجلاء الأشخاص المعرضين للخطر أو نقلهم وتقديم مواد الإغاثة وتنظيم وصولها وتوزيعها على المدنيين ومتابعة إنشاء المناطق الآمنة والمستشفيات لعلاج المرضى والجرحى، كما تقوم اللجنة بتقديم مساعدات مادية قائمة على مبدأ عدم التحيز لضحايا النزاعات وتعطي الأولوية للحالات الأكثر تضرراً، وكذلك إسعاف وحماية وإنقاذ الجرحى والمرضى الذين ينتمون لأي من طرفي النزاع[٣٤].

الفرنسي في (٢٤ يوليو ١٨٩٥)، والتي راح ضحيتها في نهاية الساعات الستة عشرة (٤٠٠٠٠) ضحية بين قتيل وجريح، تلقى (٩٠٠٠) من الجرحى العسكريين حتفهم، نتيجة لنقص الإسعافات الطبية الأولية... وقد دوّن (دونان) هذه الشواهد الأليمة فيما بعد في كتابه الشهير ((تذكار سولفارينو)) الذي نشره على حسابه الخاص عام (١٨٦٢)، موجهاً من خلال ندائين يدعو فيهما إلى : تشكيل جمعيات إغاثة في وقت السلم لتكون جاهزة للعمل في وقت الحرب والثاني يدعو فيه إلى عقد اتفاقيات دولية لحماية العاملين في الخدمات الطبية... وتبعاً لذلك أبرمت إتفاقية جنيف في (١٧ فبراير لعام ١٨٦٣) التي أنشأت هيئة الصليب الأحمر ثم أنشئت بعد ذلك في مدينة جنيف بسويسرا لجنة مكونة من خمسة أعضاء كانت هي المحرك الأساسي لهيئة الصليب الأحمر والتي أطلق عليها في عام (١٨٨٠) اللجنة الدولية للصليب الأحمر.

The battle of solferino / British redcross, www. Red cross. Org. U. K.

[٣٤] لمزيد من التفاصيل، ينظر في دور اللجنة الدولية للصليب الأحمر في تنفيذ القانون الدولي الإنساني / محمدي بو زينة أمنة، مصدر سابق، ص٦٤ – ٧٥.

المبحث الثاني
التكييف القانوني للمنازعات المسلحة وفقاً للبروتوكول الإضافي الثاني لعام ١٩٧٧

تبدأ هذه الحقبة الزمنية – مدار البحث – بإبرام البروتوكول الثاني الملحق بإتفاقيات جنيف لعام١٩٤٩[٣٥]، إذ حفلت المرحلة التي أعقبت الحرب العالمية الثانية بالعديد من النزاعات المسلحة التي توصف غالباً بأنها داخلية أو غير ذات طابع دولي والتي ازدادت نتيجة لزيادة عدد الدول التي حصلت على استقلالها، وظاهرة عدم الاستقرار السياسي الذي كان سائداً في كثير من مناطق العالم حيث كانت هذه المنازعات تشكل نسبة من (٨٠) إلى (٩٠%) من المنازعات المسلحة، وكانت المشكلة – هنا – أن القواعد الموجودة في إتفاقيات جنيف لعام (١٩٤٩) لا تكفي لمواجهة متطلبات الحماية لضحايا المنازعات المسلحة غير الدولية[٣٦].

من جانب آخر أدت زيادة حالات التدخل الأجنبي (Foreign Intervention) في الحروب الأهلية (CiviL Wars) كالتدخل في فيتنام، وقبرص، لبنان، انكولا، وفي دول أخرى كثيرة، إلى عجز نصوص جنيف عن مواجهة هذه الحالات[٣٧].

لقد أدرك الفقه[٣٨] بصفة عامة قصور قانون الحرب في جملته عن مسايرة الواقع الدولي الجديد والتواؤم مع متطلباته، وعليه توالت الدعوات من جانب المشتغلين بدراسات القانون الدولي العام، والجمعيات العلمية إلى إعادة النظر فيه،

---

[٣٥] إذ أن البروتوكول الأول والذي تزامن إبرامه مع البروتوكول الثاني، قد عالج موضوع النزاعات المسلحة الدولية ووفر حماية أكبر لضحايا هذه النزاعات، وكان أبرز ما تضمنه الاعتراف بالشخصية القانونية الدولية للشعوب التي تناضل ضد التسلط الاستعماري والاحتلال الأجنبي أو التمييز العنصري، واعتبر البرتوكول النزاع المسلح الذي تكون هذه الشعوب طرفاً فيه، من المنازعات المسلحة الدولية ويخضع لقواعد القانون الدولي الإنساني.
انظر المادة١ف٢ من البروتوكول الإضافي الأول الملحق باتفاقيات جنيف الأربعة لعام (١٩٤٩).

[٣٦] د. سعيد سالم جويلي، مصدر سابق، ص٢٥٦.

[٣٧] لقد أطلق الفقه على هذه الحروب تسمية الحروب الأهلية الدولية (international civil wars)، المصدر أعلاه، ص٢٥٦.

[٣٨] على الرغم من أن الفقه كان ينظر بقناعة بادية إلى ذلك البناء القانوني الحديث الذي أقامته جنيف. انظر د. صلاح الدين عامر، مصدر سابق، ص١٠٣١.

لمحاولة جعله أكثر توافقاً مع حقائق الحياة الدولية المعاصرة، وأدنى إلى مسايرة ظروفها الحديثة، وظهرت الدراسات والمقالات حول هذا الموضوع في مختلف اللغات[٣٩].

وتطبيقاً لهذا التوجه ((عقد مؤتمر الخبراء الحكوميين للعمل على تطوير القواعد المطبقة على النزاعات المسلحة وقد ضم مؤتمرين لخبراء الصليب الأحمر والهلال الأحمر، بالإضافة إلى مؤتمرين للخبراء الحكوميين وقدمت اللجنة الدولية ثمان مشاريع لسد ثغرات إتفاقيات جنيف لعام (١٩٤٩) وعرضت هذه المشاريع عقب المشاورات التي جرت في (١٩٧١) أو (١٩٧٢) على المؤتمر الدبلوماسي لتأكيد وتطوير القانون الدولي الإنساني المطبق في المنازعات المسلحة والتي دعت إلى عقده الحكومة السويسرية تطبقها محل إيداع إتفاقيات جنيف وعقد المؤتمر أربع دورات من سنة (١٩٧٤) إلى سنة (١٩٧٧)، توجت باعتماد بروتوكولين إضافيين لإتفاقيات جنيف لسنة (١٩٤٩))[٤٠].

المطلب الأول
النطاق المادي للبرتوكول

تنص المادة الأولى من البروتوكول الإضافي الثاني لإتفاقيات جنيف لعام ١٩٧٧ على مايأتي:

١- يسري هذا اللحق ((البروتوكول)) الذي يطور ويكمل المادة الثالثة المشتركة بين إتفاقيات جنيف المبرمة في (١٢ اب / أغسطس ١٩٤٩) دون أن يعدل من الشروط الراهنة لتطبيقها على جميع المنازعات المسلحة التي لا تشملها المادة الأولى من اللحق (البرتوكول)[٤١] الإضافي لإتفاقيات جنيف المعقودة في (١٢

---

[٣٩] المصدر نفسه ، ص١٠٣٢.

[٤٠] تقرير اللجنة الدولية للصليب الأحمر بعنوان (من نهاية الحرب العالمية الثانية حتى فجر القرن الحادي والعشرين)، عمل اللجنة الدولية للصليب الأحمر تحت تأثير الحرب الباردة وعواقبها (١٩٤٥ – ١٩٩٥). ٢٩ – ٤ – ١٩٩٥ منشور في المجلة الدولية للصليب الأحمر، العدد ٣٠٥ بقلم فرانسوا بونيون.www.Icr.Org/ar.

[٤١] تنص المادة الأولى الفقرة الثالثة من البروتوكول الإضافي الأول لسنة (١٩٧٧) على أن ((٣ – ينطبق هذا الملحق (البروتوكول) الذي يكمل اتفاقيات جنيف لحماية ضحايا الحرب الموقعة بتاريخ (١٢ آب / أغسطس ١٩٤٩) على الأوضاع التي نصت عليها المادة الثانية المشتركة فيما بين هذه الإتفاقيات.٤– تتضمن الأوضاع المشار إليها في الفقرة السابقة، المنازعات المسلحة التي تناضل بها الشعوب ضد التسلط الاستعماري والاحتلال الأجنبي وضد الأنظمة العنصرية.

آب / أغسطس ١٩٤٩)، المتعلق بحماية ضحايا المنازعات الدولية المسلحة الملحق (البروتوكول) الأول والتي تدور على إقليم أحد الأطراف السامية المعاقدة بين قواته المسلحة وقوات مسلحة منشقة أو جماعات نظامية مسلحة أخرى وتمارس تحت قيادة مسؤولة عن جزء من إقليمه من السيطرة ما يمكنها من القيام بعمليات عسكرية متواصلة ومنسقة، وتستطيع تنفيذ هذا اللحق (البروتوكول).

٢- لا يسري هذا الملحق (البروتوكول) على حالات الاضطرابات والتوترات الداخلية مثل الشغب وأعمال العنف العرضية وغيرها من الأعمال ذات الطبيعة المماثلة التي لا تعد منازعات مسلحة.

لقد أوردت الفقرة الأولى من هذه المادة شروطاً لم تكن موجودة في المادة الثالثة المشتركة، إذ تولت الفقرة تعريف النزاعات المسلحة الداخلية التي يسري عليها البروتوكولان بأنها :

١) تدور على إقليم أحد الأطراف السامية بين قواته المسلحة وبين قوات مسلحة منشقة أو جماعات نظامية مسلحة أخرى.

٢) تمارس تحت قيادة مسؤولة ما.

٣) على جزء من إقليمه من السيطرة ما يمكنها من القيام بالعمليات العسكرية المتواصلة ومنسقة.

٤) تستطيع تنفيذ هذا الملحق (البروتوكول).

إن المعنى المفهوم من هذه الفقرة أن أحكام البروتوكول لا تنطبق إلا في حالتين يتحدد بهما وصف النزاع المسلح غير الدولي وهاتان الحالتان هما :

١) النزاع المسلح بين القوات المسلحة للدولة وبين قوات مسلحة منشقة عليها.

٢) النزاع المسلح بين القوات المسلحة للدولة وبين مجموعات مسلحة تابعة للثوار أو المتمردين ضد السلطة. كأن يكون النزاع المسلح الداخلي بين فصائل مختلفة داخل الدولة وليس بالضرورة ضد قوات الدولة، ففي مثل هذه الحالات تصبح الدولة عاجزة عن إعادة الأمن ونظامها العام والسيطرة على الأوضاع أو قد تكون هناك حالة من التفكك الداخلي بانهيار أجهزة الدولة وفي معظم الحالات التي تنهار فيها هياكل الدولة فإن المحافظة على النظام العام وكذلك الاشكال الأخرى للسلطة تقع بين أيدي فصائل مختلفة فالدول تظل قائمة ولا تختفي لكنها تفقد القدرة على إنجاز وظائفها الاعتيادية.

إن تفكك هياكل الدولة يكون على مستويات مختلفة ففي بعض الحالات تبقى الحكومة محتفظة بسيطرتها على فئة قليلة من السكان وجزء صغير من أراضيها.

وذلك في ممارستها لحق الشعوب في تقرير المصير، كما كرسه ميثاق الأمم والإعلان المتعلق بمبادئ القانون الدولي الخاصة بالعلاقات الودية والتعاون بين الدول طبقاً لميثاق الأمم المتحدة)).

وقد تبقى وبدرجة متقدمة ممثلة بمنطوقها في المجتمع الدولي.. لكنها من الناحية الداخلية تتكون من فصائل متفككة متعددة، وهذه الصورة الأخيرة هي تفكك هياكل الدولة، على المستوى الداخلي والخارجي.

وعندما تصل الدولة إلى هذه المرحلة فإنها تفقد وجود هيئة معينة شرعية تمثلها أمام المجتمع الدولي، أما على المستوى الداخلي، فتتسع دائرة الفوضى والجرائم وتكون على أوجها. وتفقد الفصائل الموجودة فيها السيطرة على أفرادها مما يؤدي إلى انعدام وجود قيادات على شكل متسلسل ممثلين حقيقيين تستطيع المنظمات الإنسانية الحوار معهم.

ولأجله تسمى هذه النزاعات المسلحة الداخلية بالنزاعات الفوضوية، ولها آثار سلبية ذات ثقل لا يستهان به، فستحاول كل فئة أو طائفة أن تجعل هدفها متركزاً في الحصول على ظهور واسع لامع في الساحة مما يدفعها للاقتتال مع غيرها من الجماعات المنافسة للحصول على الحصة الأكبر من الأراضي. وما يتبع ذلك من بالضرورة من عدم التمييز في القتال للوصول إلى الهدف بين من هو مدني ومحارب خصوصاً إذا كان المدنيون يتبعون طائفة أخرى فيضطرون بذلك إلى اللجوء والتشرد، وهذا يعني المزيد من أعمال *العنف* والجرائم[٤٢].

وفيما يتعلق بالشرط الثالث لأعمال تطبيق البروتوكول على النزاع المسلح غير الدولي، فإن اشتراط كون الجماعات المسلحة المنشقة أو الفصائل المنظمة مسيطرة على جزء من إقليم الدولة أمر يشكل تهديداً خطيراً على حياة المدنيين، إذ ستعمل هذه الجماعات جاهدة وبكل الوسائل من السيطرة الفعلية على جزء من إقليم الدولة، من أجل الاستفادة من أحكام البروتوكول الثاني وحمايته، وما يتبع ذلك من ويلات ستصيب السكان المدنيين[٤٣].

ومما يجدر قوله في هذا السياق أيضاً، أن المادة لم تحدد من هي الجهة التي تقرر توافر الشروط المطلوبة في الجماعات المسلحة[٤٤]، من حيث كونها مسيطرة

---

[٤٢] انظر الوثيقة المرفقة (٣٠) التي تقدمت بها اللجنة الدولية للصليب الأحمر في اجتماعها الدوري حول القانون الدولي الإنساني في جنيف في (١٩ – ٣٠ كانون الثاني ١٩٩٨) وتحت عنوان ((تفكك هياكل الدولة)).

[٤٣] نغم إسحق زيا ، مصدر سابق، ص ص١٠٥ – ١٠٦.

[٤٤] كان هذا هو وجه الاعتراض الذي تقدم به الوفد الكولومبي وعلى أساسها تقدم بمقترح أن يعود إلى الدولة التي يجري على أرضها النزاع تحديد الشروط المذكورة، لأنها صاحب السيادة على إقليمها، نغم إسحق زيا ، مصدر سابق، ص١٠٦.

على جزء من أراضي الدولة وتمارس هذه السيطرة تحت قيادة مسؤولة عنها وتقوم بعمليات متواصلة ومنسقة[٤٥].

ويمكن القول – بصفة عامة – أن البروتوكول الثاني يستهدف طائفة معينة من المنازعات المسلحة الداخلية التي تكون على درجة عالية من الخطورة (مثال الحرب المدنية الاسبانية، والحرب في نيجيريا)[٤٦].

وعليه وتطبيقاً للفقرة الثانية من ذات المادة فإن البرتوكول لا يسري على حالات الاضطرابات او التوترات الداخلية التي لا ترقى إلى النزاع المسلح.

كذلك أشارت المادة (١) من البروتوكول الثاني وبصراحة الفقرة الأولى منها على أن الاختصاص المادي لا يعقد إليها إلا للمنازعات المسلحة غير الدولية التي تحدث على أرض أحد الأطراف بين قواته المسلحة وقوات مسلحة مشقة أو جماعات نظامية مسلحة أخرى، وكما بيناه تفصيلاً، بمعنى أنه لابد أن تكون الدولة طرفاً في النزاع، وتطبيقاً لهذا النص اللفظي الصريح، يخرج من نطاق اختصاص البرتوكول جميع صور النزاعات المسلحة التي تكون بين مجموعتين من المتمردين (كما هو الحال في دولة الصومال)[٤٧].

وقد أكدت أحكام البروتوكول على سيادة الدولة التي يجري النزاع على إقليمها[٤٨] فنص على عدم جواز إتخاذ أحكامه ذريعة للتدخل الخارجي في النزاع المسلح أو في الشؤون الداخلية أو الخارجية[٤٩]. كذلك لم يجر التذرع بأحكامه بقصد المساس بسيادة أي دولة أو بمسؤولية أية حكومة في الحفاظ وبكافة الطرق المشروعة على النظام والقانون في الدولة أو في إعادتهما إلى ربوعها أو الدفاع عن الوحدة الوطنية للدولة أو سلامة أراضيها[٥٠].

ومن الملاحظات أيضاً على هذه المادة أنها لم تستخدم تعبير (أطراف النزاع) الذي أوردته المادة الثالثة المشتركة لإتفاقيات جنيف الأربع والسبب يعود إلى رغبة الدول في الحفاظ على سيادتها، كي لا يكون فيه اعتراف صريح من جانبها في ظل

---

[٤٥] نغم إسحق زيا ، المصدر نفسه، ص١٠٦.

[٤٦] د. سعيد سالم جويلي، مصدر سابق، ص٢٦٥.

[٤٧] د. سعيد سالم جويلي، مصدر سابق، ص٢٦٥.

[٤٨] وبرغم ذلك وجهت وفود كل من الهند، كينيا، الفلبين انتقاداً للبروتوكول على أساس أن أحكامه تشكل تدخلاً في الشؤون الداخلية للدولة صاحبة السيادة ويجب أن تعالج النزاع وفق أحكام قانونها الداخلي. نغم إسحق، ص١٠٦.

[٤٩] ينظر المادة ٣ف٢ من البرتوكول الإضافي الثاني لعام ١٩٧٧.

[٥٠] ينظر المادة ٣ف١ من البروتوكول الإضافي الثاني لعام ١٩٧٧.

اتفاقية دولية بالمتمردين، إذا ما نشب نزاع مسلح من النوع الوارد في (ف) (١) م (١) على أراضيها، وثانياً لقطع الطريق على المتمردين ضدها في أن يقوموا بإستغلال هذا المصطلح لتبرير الجرائم التي يرتكبوها على أنها كانت أعمال نضال ضد الحكومة القائمة[٥١].

مما تقدم، يتضح أن البرتوكول الثاني على الرغم من أنه قام بتطوير المادة (٣) المشتركة من إتفاقيات جنيف لعام (١٩٤٩)، نظراً لقصورها عن مواجهة التطورات الجديدة والواقع العملي الدولي، إلا أنه وبتحديده لشروط معينة لازمة في النزاع المسلح يكون قد ضيق من نطاق المادة الثالثة المشتركة التي أصبحت جزءاً من العرف الدولي بل ومن النظام العام[٥٢].

المطلب الثاني
النطاق الشخصي للبرتوكول

ويقصد بالنطاق الشخصي للبروتوكول، مضمون الحماية الإنسانية التي كفلت نصوص البروتوكول ضمانها لضحايا النزاعات المسلحة غير الدولية، إذ أنه جاء ليسد الثغرات في المادة الثالثة المشتركة وليوفر ضمانة وحماية إنسانية أوفر لضحايا هذه المنازعات من تلك التي جاءت المادة الثالثة المشتركة بها، وذلك دون تمييز مجحف قائم على العنصر أو اللون أو الجنس أو اللغة أو الدين أو العقيدة أو الآراء السياسية أو غيرها، المادة (٢) من البروتوكول.

أما الباب الثاني من البروتوكول فقد تناول وتحت عنوان المعاملة الإنسانية، الضمانات الأساسية لجميع ضحايا المنازعات المسلحة غير الدولية من الذين لا يشتركون بصورة مباشرة أو الذين يكفون عن الاشتراك في الأعمال العدائية، وسواء قيدت حريتهم أم لم تقيد، فقد كفلت المادة الرابعة حقهم في أن يحترم أشخاصهم وشرفهم ومعتقداتهم وممارستهم لشعائرهم الدينية، وحثت المادة على وجوب معاملتهم وفي جميع الأحوال معاملة إنسانية دون أي تمييز، كما أوردت المادة إلزاماً أخر يقضي بحظر الأمر بعدم إبقاء أحد على قيد الحياة.

---

[٥١] د. نغم إسحق، مصدر سابق، ص١٠٧.

[٥٢] بمقارنة عدد الدول التي قامت بالتوقيع والتصديق على البروتوكول الثاني نجد اختلافاً واضحاً حيث بلغ عدد الدول التي صدقت على جنيف ما يقرب من (١٧٦) دولة في حين الدول التي صدقت على البروتوكل بلغ عددها (١١٦) دولة فقط. علاوة على أن قواعد البرتوكول الثاني لم تصل بعد إلى مستوى القواعد العرفية الدولية... ينظر د. سعيد سالم جويلي، مصدر سابق، ص٢٦٦.

وجاءت الفقرة الثانية من نفس المادة لتورد طائفة من (الأعمال المحظورة) الأخرى، إذ حظرت هذه الفقرة أعمالاً معينة توجه ضد الأشخاص الوارد ذكرهم في الفقرة الأولى أعلاه، واعتبرت أن إتيان مثل هذه الأعمال يعد من قبيل (المخالفات الجسيمة) للبروتوكول، ولعل الاعتداء على حياة الأشخاص وصحتهم وسلامتهم البدنية أو العقلية يأتي في مقدمتها إذ حظرت ف أ / ٢ / م٤ القتل والمعاملة القاسية كالتعذيب أو التشويه أو أية صورة من صور العقوبات البدنية، ومن جملة الأعمال المحظورة أيضاً الجزاءات الجنائية وأخذ الرهائن وأعمال الإرهاب وانتهاك الكرامة الشخصية والاغتصاب والإكراه على الدعارة والرق وتجارة الرقيق وكذلك أعمال السلب والنهب، بل ويعتبر محظوراً أيضاً وبصراحة في ح / ف٢ / م٤ من البروتوكول التهديد بارتكاب أي من الأفعال المذكورة أعلاه.
إن دراسة الحماية الإنسانية التي كفل البروتوكول الثاني توفيرها لضحايا النزاعات المسلحة غير الدولية تقتضي دراستها في نقطتين هما؛

أولاً : حماية المقاتلين :

إن حماية المقاتلين تشتمل على تلك الحماية المقررة للأسرى والجرحى والمرضى والمنكوبين في البحار والقتلى وسنتناولها في النقاط الآتية :

١- حماية الأسرى :

لم يرد في الملحق الثاني لعام (١٩٧٧) المضاف إلى إتفاقيات جنيف لعام (١٩٤٩) الخاص بالنزاعات المسلحة غير الدولية ذكر مصطلح الأسرى وإن جاءت المادة الخامسة منه مقررة للحقوق والمعاملة التي يعطيها القانون الدولي العام للأسرى عادة. ويبدو أن واضعوا الملحق قد استخدموا تعبير (الأشخاص الذين قيدت حريتهم) مجاراة مع رغبات الدول الأطراف التي تحاشت استخدام مصطلح (الأسرى) حتى يتسنى للدولة التي تجري العمليات العسكرية على أراضيها إتخاذ الإجراءات اللازمة بشأن المتمردين من القبض عليهم والتحقيق معهم ومحاكمتهم بموجب قانونها الوطني[٥٣].

ويبدو أن البروتوكول قد وفق في ضمانه حقوق الأسرى إذ أتى بمجموعة من الحقوق والحريات لا تختلف كثيراً عن تلك المقررة في النزاعات المسلحة الدولية، التي تتمثل بوجوب احترام أشخاصهم وشرفهم ومعتقداتهم وممارستهم لشعائرهم الدينية ووجوب معاملتهم في جميع الأحوال معاملة إنسانية دون أي تمييز مجحف.

---

[٥٣] د.عبد الغني عبد الحميد محمود : حماية ضحايا النزاعات المسلحة في القانون الدولي الإنساني والشريعة الإسلامية دراسات في القانون الدولي الإنساني د. مفيد شهاب، مصدر سابق، ص٢٩٧.

كذلك أتت الفقرة الثانية من المادة (٢) من البروتوكول الثاني بنص يقضي بشمول الأسرى بحماية المادتين الخامسة والسادسة عند انتهاء النزاع.

إلا أن الفقرة أعلاه استخدمت اصطلاح (الأشخاص الذين قيدت حريتهم لاسباب تتعلق بهذا النزاع) وكذلك (كافة الذين قيدت حريتهم بعد النزاع للأسباب ذاتها) وذلك إلى أن ينتهي مثل هذا التقييد للحرية.

ويتمتع الأسرى وفقاً للمادة الخامسة من البروتوكول بوجوب حماية الجرحى والمرضى منهم، كما يتعين توفير الطعام والشراب بشكل متساو مع السكان المدنيين المحليين. كما يجب تأمين الضمانة الصحية والطبية لهم والوقاية ضد قسوة المناخ وأخطار النزاع المسلح.

ويسمح لهم بتلقي الغوث ،كما يسمح لهم بممارسة شعائرهم الدينية ،كما يجب أن يؤمن لهم – الاستفادة من شروط العمل وضماناته أسوة بالسكان المدنيين.

كذلك ألزمت الفقرة الثانية من المادة نفسها أن يراعى احتجاز النساء في أماكن منفصلة عن الرجال ويوكل الإشراف المباشر عليهن إلى نساء، ويستثنى من ذلك رجال ونساء الأسرة الواحدة منهم يقيمون معاً. كذلك يسمح لهم بإرسال وتلقي الخطابات ،ويتعين عدم مجاورة أماكن الاعتقال والاحتجاز لمناطق القتال. ويتعين إجلاء الأشخاص عن تعرض أماكن اعتقالهم أو احتجازهم للأخطار الناجمة عن النزاع المسلح إذا كان من الممكن إجلاؤهم في ظروف يتوفر فيها قدر مناسب من الأمان، وعند إطلاق سراح هؤلاء الأشخاص يجب إتخاذ التدابير اللازمة لضمان سلامتهم، وتوفر المادة (٦) من البروتوكول الضمانة القضائية (للأشخاص المقيدة حريتهم) إذ أتت هذه المادة وتحت مسمى المحاكمات الجنائية، بجملة من النصوص التي تكفل هذه الضمانة، إذ أشارت الفقرة الأولى منها إلى نطاق تطبيقها يتحصر في المحاكمات والعقوبات الجنائية التي يتزامن حدوثها أبان النزاع المسلح. إذ لا يجوز إصدار أي حكم أو تنفيذ أية عقوبة حيال أي شخص ثبتت إدانته في جريمة دون محاكمة مسبقة من قبل محكمة تتوفر فيها الضمانات الأساسية للاستقلال والحيدة.

كذلك أشارت المادة إلى وجوب تضمين الإجراءات اخطار المتهم بتفاصيل الجريمة المنسوبة إليه، وكفالة حق الدفاع له قبل أو أثناء المحاكمة. ولا يجوز أن يدان أي شخص بجريمة إلا على أساس المسؤولية الجنائية الفردية.

كما أوجبت المادة عدم جواز إدانة أي شخص بجريمة على أساس اقتراف الفعل أو الامتناع عنه الذي لا تشكل وقت ارتكابه جريمة جنائية بمقتضى القانون الوطني أو الدولي.

وتحظر المادة إيقاع أية عقوبة أشد من العقوبة السارية وقت ارتكاب الجريمة، كما ومن حق المذنب أن يستفيد من نص القانون الذي قد يصدر بعد ارتكاب الجريمة متضمناً عقوبة أخف.

وأوضحت المادة جملة من الضمانات القضائية الاساسية التي يجب كفالتها للمتهم تتمثل باعتباره بريئاً إلى أن تثبت إدانته وفق القانون (٦) ، وحقه في محاكمة حضورية ،وعدم جواز إجبار أي شخص على الإدلاء بشهادة على نفسه. أو على الإقرار بأنه مذنب ،واستكملت المادة منظومة الضمان القضائية المثلى بضرورة تنبيه أي مدان إلى طرق الطعن القضائية ومددها. وعدم جواز إصدار الحكم بالإعدام على من هم دون سن الثامنة عشر وقت ارتكاب الجريمة وكذلك أولات الأحمال أو أمهات صغار الأطفال.

وأوجبت المادة السلطات الحاكمة – لدى انتهاء العمليات العدائية بالسعي لمنح العفو الشامل على أوسع نطاق ممكن للأشخاص الذين شاركوا في النزاع المسلح أو الذين قيدت حريتهم لأسباب تتعلق بالنزاع المسلح من المعتقلين أو المحتجزين على حد سواء .

٢- حماية الجرحى والمرضى والمنكوبين في البحار :

تضمنت المادة الثالثة المشتركة من إتفاقيات جنيف الأربعة لعام (١٩٤٩) وكما رأينا، نصاً مقتضباً في حماية الجرحى والمرضى والمنكوبين في البحار، إذ أقرت لهذه الفئة (كما لغيرها من الفئات الوارد ذكرها في صدر المادة أعلاه) الحد الأدنى من المعاملة الإنسانية في جميع الأحوال وبدون تمييز وقت المنازاعات المسلحة غير الدولية.

وتحقيقاً للغاية من وضعه، أي البروتوكول، (استكمال نقص المادة الثالثة وسد الثغرات فيها) جاءت نصوصه بأحكام تفصيلية بغية توفير ضمانة حماية أكبر لهذه الفئة أبان هذه المنازعات، فقد اورد في الباب الثالث منه وتحت مسمى (الجرحى والمرضى والمنكوبون في البحار) في المواد من (٧ – ١٢) الحماية المقررة لهذه الفئة من ضحايا المنازعات المسلحة غير الدولية.

حيث قررت المادة السابعة وجوب احترامهم وحمايتهم حتى ولو لم يشتركوا في النزاع المسلح، وأن يعاملوا معاملة إنسانية وأن يلقوا جهد الإمكان العناية الطبية وبدون تمييز ، أما المادة الثامنة فإنها تقضي بضرورة البحث عنهم بعد أي اشتباك وتجميعهم كلما سمحت الظروف بذلك وحمايتهم من السلب والنهب وتأمين الرعاية الكافية لهم.

وأوردت المادة التاسعة نصاً يقضي بضرورة توفير الحماية لأفراد الهيئات الطبية والدينية وللمهام الطبية ولوحدات وسائط النقل الطبي ووجوب أحترام العلامة المميزة للصليب الأحمر والهلال الأحمر وعدم إساءة استخدامها.

يتضح من النصوص أعلاه منظومة للحماية وبشكل لا لبس فيه، أن البروتوكول الثاني قد وفر ضمانة حريات الجرحى والمرضى والمنكوبين في البحار في فترات النزاع المسلح غير الدولي بشكل يتقارب من تلك المقررة لهذه الفئة في فترات النزاع المسلح الدولي، وإلى حد كبير.

٣- حماية الموتى والمفقودين في القانون الدولي الإنساني :

على الرغم من الاهتمام الذي أولاه البروتوكول الأول الإضافي لإتفاقيات جنيف لعام (١٩٤٩) الموضوعة لحماية الموتى والمفقودين في النزاعات المسلحة الدولية[٥٤]، فإن الأمر لم يكن كذلك بالنسبة للبروتوكول الثاني الذي لم يول الأهمية ذاتها لموتى ومفقودي النزاعات المسلحة غير الدولية. إذ جاء تناولهم في المادة الثامنة وبطريقة مقتضبة، والتي نصت في آخر فقراتها ((... والبحث عن الموتى والحيلولة دون انتهاك حرماتهم وأداء المراسم الأخيرة لهم بطريقة كريمة))[٥٥].

ويبدو أن الإيجاز في البروتوكول الثاني لم يكن إلا للطبيعة الخاصة للنزاعات المسلحة غير الدولية، إذ لا يثير البحث عن الموتى ودفنهم ونقل الرفات مشاكل كتلك التي يثيرها النزاع المسلح الدولي.

فالنزاع المسلح غير الدولي يتم داخل إقليم ودولة واحدة، مما ييسر وصول أهالي الموتى إلى قبور ذويهم لقرب المكان[٥٦].

إن المادة الثامنة على إيجازها توفر كافة الضمانات والحقوق المقررة للموتى في النزاعات المسلحة غير الدولية، بشكل لا يقل عن تلك المقررة لموتى النزاع المسلح الدولي.

أما بالنسبة للمفقودين، فقد أوردت المادة الرابعة في الفقرة الثالثة (ب) نصاً أوجب إتخاذ جميع الخطوات المناسبة لتسهيل جمع الأسر التي تشتت لفترة مؤقتة بسبب النزاعات المسلحة غير الدولية[٥٧].

---

[٥٤] حيث خصص القسم الثالث من الباب الثاني (المواد ٣٢ – ٣٤) من البروتوكول لحماية الموتى والمفقودين في النزاعات المسلحة الدولية.

[٥٥] المادة ٨ من الباب الثالث من البروتوكول الثاني.

[٥٦] د.عبد الغني عبد الحميد محمود : حماية ضحايا النزاعات المسلحة في القانون الدولي الإنساني والشريعة الإسلامية دراسات في القانون الدولي الإنساني د. مفيد شهاب، مصدر سابق ، ص٣٠٥.

ثانياً : حماية السكان المدنيين :

أولى الباب الرابع من البروتوكول الثاني الإضافي لعام (١٩٧٧) اهتماماً بحماية السكان المدنيين في أثناء النزاعات المسلحة غير الدولية إذ تشير المادة (١٣) منه على أن السكان المدنيين يتمتعون بحماية عامة من الأخطار الناجمة عن العمليات العسكرية. وتطبيقاً لذلك يحظر اتخاذهم محلاً للهجوم، كما وتحظر أعمال العنف والتهديد به والرامية إلى بث الذعر في صفوف السكان المدنيين. كما وقررت الفقرة الثالثة من هذه المادة تمتع الأشخاص المدنيون بالحماية التي يقررها الباب الرابع ما لم يقوموا بدور مباشر في الأعمال العدائية وعلى مدى الوقت الذي يقومون خلاله بهذا الدور.

ونصت المادة (١٤) من الباب نفسه على حماية الأعيان التي لا غنى عنها لبقاء السكان المدنيين على قيد الحياة، كما وتحظر المادة ذاتها بتجويع المدنيين كأسلوب من أساليب القتال.

وقررت المادة (١٥) من ذات الباب، حماية الأشغال الهندسية والمنشآت المحتوية على قوى خطرة. وكذلك حماية الأعيان الثقافية وأماكن العبادة إذ لا يجوز جعلها محلاً للهجوم أو التدمير.

كما يحظر البروتوكول إجبار المدنيين على النزوح من أراضيهم لأسباب تتصل بالنزاع إلا إذا أقتضت الضرورة العسكرية أو توفير الأمن لأشخاص معينين مثل هذا الترحيل.

وتقرر المادة (١٨) وتحت مسمى جمعيات الغوث وأعمال الغوث، أحكاماً خاصة بشأن هذا المسمى، بحيث يجوز لجمعيات الغوث الكائنة في إقليم الطرف المتعاقد مثل جمعيات الصليب الأحمر والهلال الأحمر والأسد والشمس الأحمرين، أن تعرض خدماتها لأداء مهامها المتعارف عليها، فيما يتعلق بضحايا النزاع المسلح ويمكن للسكان المدنيين أن يقوموا (وبناءً على مبادرتهم الخاصة) بتجميع الجرحى والمرضى والمنكوبين في البحار ورعايتهم.

كما يجب أن تتم أعمال الإغاثة دون تمييز مجحف لصالح السكان المدنيين بموافقة الطرف المتعاقد المعني وذلك حين يعاني السكان المدنيون من الحرمان الشديد بسبب نقص المدد الجوهري ليقائهم كالأغذية والمواد الطبية.

ولابد من الإشارة أن واضعي البروتوكول الثاني الإضافي، لم تغب عن أذهانهم توفير الحماية لأكثر الفئات تأثراً بالنزاعات المسلحة عموماً وغير الدولية خصوصاً، وهي فئة الأطفال، إذ خصصت الفقرة (٣) من المادة الرابعة من الباب الثاني من البروتوكول أحكاماً تفصيلية لحماية الأطفال في فترات النزاعات

---

(٥٧) ب / ف ٣ / المادة ٤ من الباب الثاني من البروتوكول الإضافي الثاني.

المسلحة غير الدولية، إذ أوجبت توفير الرعاية والمعونة للأطفال بقدر ما يحتاجون إليه وبصفة خاصة تلقيهم التعليم، بما في ذلك التربية الدينية والخلقية.

كما لم تجز تجنيد الأطفال دون الخامسة عشرة في القوات أو الجماعات المسلحة أو اشتراكهم في العمليات العدائية بل أن الأطفال يظلون متمتعين بالحماية الخاصة التي توفرها لهم البروتوكول ولو اشتركوا في الأعمال العدائية بصورة مباشرة.

وأخيراً، أشارت المادة إلى وجوب إتخاذ الإجراءات لإجلاء الأطفال وقتياً عن المنطقة التي تدور فيها الأعمال العدائية إلى منطقة أخرى أكثر أمناً داخل البلد وبمصاحبة أشخاص مسؤولون عن سلامتهم وراحتهم، وذلك بموافقة الوالدين أو بموافقة الأشخاص المسؤولين عن رعايتهم قانوناً أو عرفاً.

ونذكر جميعاً ما يسمى بفقرة (مارتنز) الخاصة بمقدمة لائحة لاهاي ((أن السكان والمحاربين يظلون تحت حماية وتأثير مبادئ قانون الأمم التي انبثقت نتيجة للعادات المرعية بين الشعوب المتمدنة))[٥٨]، بل أن إتفاقيات جنيف تنص ((على أن كل طرف من أطراف النزاع، أن يضمن التطبيق الدقيق للمواد السابقة وأن يأخذ الحيطة للحالات غير المنظورة بما يتماشى مع المبادئ العامة للاتفاق الحالي))[٥٩]، كما يتعهد الأطراف، في مادة أخرى[٦٠] بنشر الاتفاقات ((لكي تصبح مبادؤها معروفة لدى السكان كافة...)).

وهكذا تجد كافة الدول الأعضاء في المجتمع الدولي نفسها ملزمة بإتفاقيات جنيف الأربعة لعام (١٩٤٩) وبروتوكوليها الإضافيين لعام (١٩٧٧)، لأن قواعدها امرة ومن النظام العام كونها تعالج موضوعات تتصل بالبشر وتهم المجتمع الدولي بأسره.

وبعد هذا الاستعراض للحقوق والضمانات التي كفلت نصوص البروتوكول الثاني الإضافي توفيرها لضحايا المنازعات المسلحة غير الدولية، نستطيع القول، أنها تتماثل مع تلك الحقوق والضمانات التي ضمنت إتفاقيات جنيف الأربع العام (١٩٤٩) والبروتوكول الأول الإضافي لعام (١٩٧٧) كفالتها لضحايا المنازعات المسلحة الدولية.

---

[٥٨] جان بكتيه، مصدر سابق، ص٣٠.

[٥٩] المادة ٤٥ من إتفاقية جنيف الأولى، والمادة ٤٦ من إتفاقية جنيف الثانية لعام ١٩٤٩

[٦٠] المادة ٤٧ من إتفاقية جنيف الأولى، والمادة ٤٨ من إتفاقية جنيف الثانية، والمادة ١٢٧ من إتفاقية جنيف الثالثة، والمادة ١٤٤ من إتفاقية جنيف الثالثة لعام ١٩٤٩

المطلب الثالث
تدويل النزاع المسلح والإتفاقية المصغرة

قد تبدو عبارة (التدويل) تحمل من الغرابة ما لم يسبق الإشارة إليه في الصفحات السابقة، إلا أنه ومن الناحية الواقعية فإن المجتمع الدولي شهد ويشهد العديد من الحالات التي يتحول فيها النزاع المسلح غير الدولي إلى نزاع دولي أو بعبارة أخرى، نزاع مُدول. وما يهمنا من عملية التحول في وصف النزاع هنا في نطاق تطبيق إلى آخر، مدى انطباق الاتفاقية المصغرة على هكذا نوع من النزاعات ذات الوصف المزدوج.الأمر الذي حدا بنا إلى دراسة هذا الموضوع في نقطتين أساسيتين خصصنا الأولى للبحث في أسباب تدويل النزاع المسلح غير الدولي بينما تناولنا في الثانية : نطاق تطبيق الإتفاقية المصغرة على النزاع المدول.

أولاً : أسباب تدويل النزاع المسلح غير الدولي

إن النزاع المسلح الدولي يمكن أن يتحول أثناء سريانه أو في نهايته إلى نزاع ذي طابع دولي في أحوال عديدة منها :

١- بالنظر إلى آثاره : وذلك إذا انتصر الثوار والمتمردون، إذ في هذه الحالة قد تظهر دولة جديدة، إذا كان غرض الثوار الانفصال، أو حكومة جديدة إذا كان هدفهم ينصب في قلب الحكومة القائمة فعلاً.

٢- يمكن أن تعترف الدول الأخرى بالمتمردين كمحاربين أو ثوار، وبالتالي يصبح النزاع الداخلي تجاههم له آثار دولية، وفي هذه الحالة يلتزم المحاربون باحترام قوانين الحرب.

ويتحول النزاع غير الدولي إلى دولي عندما تعترف الحكومة الشرعية بالجزء من سكانها المتمردين كمقاتلين [٦١].

٣- كما ويتحول النزاع المسلح غير الدولي إلى نزاع مسلح دولي عندما تتدخل دول أخرى في النزاع المسلح غير الدولي عن طريق تقديم الدعم والمساعدة إلى إحدى الجماعات المتناقسة.

٤- إن النزاع المسلح غير الدولي، يصبح دولياً عندما يصبح المتحاربون يحملون جنسيات مختلفة وأعمالهم تنسب لأكثر من دولة.

٥- كما وقد يدّول النزاع المسلح غير الدولي فيصبح دولياً عندما تتدخل قوات منظمة دولية في النزاع غير الدولي، كالأمم المتحدة أو منظمة إقليمية.

---

[٦١] د أحمد أبو الوفا ، مصدر سابق ، ص١١.

ثانياً : نطاق تطبيق الإتفاقية المصغرة في النزاع المدول

لا شك أن تدويل النزاع يثير مسألة القواعد القانونية واجبة التطبيق في النزاع المدول، ففي الصورة الأولى لا يثير تدويل النزاع مشكلة في التطبيق ذلك أن ما آل إليه النزاع أخيراً هو ظهور دولة جديدة تتمثل في الإقليم المنفصل. وفي هذه الحالة يكون النزاع القائم بين الحكومة الشرعية (التي انسلخ الإقليم من أراضيها فكون دولة جديدة) والدولة الجديدة (الإقليم المنفصل) نزاعاً مسلحاً دولياً تنطبق عليه أحكام المادة (٢) من إتفاقيات جنيف الأربعة لعام (١٩٤٩) وبروتوكولها الأول الإضافي لعام (١٩٧٧).

أما في الصورة الثانية من صور تدويل النزاع المسلح الدولي وهي اعتراف الدول الأخرى بالمتمردين كمحاربين أو ثوار، إن هذا الاعتراف سيعمل على إثارة المادة الثانية المشتركة بالنسبة إلى العلاقة بين الدولة المعترفة والثوار، بينما تظل العلاقة بين الحكومة الشرعية (طرف النزاع الأخر) وبين الثوار محكومة بقواعد الإتفاقية المصغرة.

وكذلك هو الحكم المنطبق في الصورة الثالثة من صور النزاع المدول آنفة الذكر، إذ أن دعم الدولة الثالثة للثوار المتمردين من شأنه تدويل النزاع المسلح غير الدولي وبالتالي تطبيق المادة الثانية المشتركة من إتفاقيات جنيف الأربعة لعام (١٩٤٩) والبروتوكول الأول الإضافي الملحق لعام (١٩٧٧) بينما يستمر سريان الإتفاقية المصغرة على العلاقة بين الحكومة الشرعية والثوار أو المتمردين.

وفي الصورة الرابعة من صور النزاع المدول بسبب (انتماء المتحاربون لجنسيات مختلفة بحيث تنسب أعمالهم إلى أكثر من دولة. وهو ما حصل في يوغسلافيا السابقة التي انقسمت عام (١٩٩١ – ١٩٩٢) إلى خمس دول (كرواتيا، سلوفينيا، مقدونيا، البوسنة والهرسك، صربيا) فالنزاعات المسلحة الداخلية فيها وبخاصة في البوسنة والهرسك، شهدت علاقات وثيقة ومستمرة بين الجيوش المنشقة وبين دول أخرى كالدعم الذي كانت تقدمه كرواتيا وصربيا إلى الأطراف المنشقة في البوسنة والهرسك، إلى جانب النزاع المسلح الدولي الذي كان قائماً من جهة بين صربيا والجبل الأسود من جهة والبوسنة والهرسك من جهة أخرى. وعليه عُدّ نزاعاً مسلحاً دولياً على أساس أنه قائم بين دولتين ذات سيادة)) [٦٦]، مما يعني استبعاد تطبيق الإتفاقية المصغرة كلياً.

وفي الصورة الأخرى من صور تدويل النزاع المسلح غير الدولي والتي تحققت نتيجة لتدخل منظمة دولية في النزاع المسلح بين الحكومة الشرعية والثوار أو المتمردين.

---

[٦٦] د. هشام بشير وإبراهيم عبد ربه، المصدر نفسه، ص١٤٢.

((وتتدخل المنظمات الدولية هنا اما بإرسال قواتها إلى أرض النزاع أو بتقديم الحلول وكما أشرنا لأسباب إنسانية، كما حصل مع كمبوديا الذي انتهى النزاع المسلح فيها بوضع اتفاقية باريس)) [٦٣].

ويترتب على ذلك سريان أحكام القانون الدولي الإنساني الخاصة بالنزاعات المسلحة غير الدولية (الإتفاقية المصغرة) والقواعد الخاصة بالمنازعات المسلحة الدولية.

الخاتمـــــــــة

إن تفاقم النزاعات المسلحة غير الدولية ولما تشهده مثل هذه المنازعات من وحشية، جعل الجماعة الدولية أمام مسؤولية حقيقية أزاء ضحايا هذه المنازعات ألا وهي توفير الحد الأدنى من المعاملة الإنسانية لهم تحت أتون ضراوة القتال. وقد وجدنا أن المادة الثالثة المشتركة كانت المنفردة بتوفير منظومة الحماية على الرغم من اقتضاب أحكامها، إلا أنها مثلت -في وقتها- معايير مقبولة ومبتكرة على وجه التحديد لحث الحكومات على تحمل مسؤولياتها. إذ تقدم (المعاهدة المصغرة) أو (الإتفاقية المصغرة) مبادئ توجيهية تعتبر حجة للمعاملة الإنسانية، وفضلاً عن ذلك فإن جزء من أحكامها على الأقل يتبع القانون الدولي العرفي.

لقد حرصت المادة على تكريس مبدأ أساسي في جميع نصوصها يعكس إدانة نمط معين في السلوك، إلا وهو قتل المدنيين الأبرياء والمساس بحريتهم وكرامتهم.

الاستنتاجات والمقترحات :

في ضوء الدراسة التفصيلية لموضوع البحث نستطيع أن نخلص إلى جملة من النتائج :

١- أن المادة الثالثة المشتركة يجب أن ينظر إليها برؤية موسعة على أساس أنها اتفاقية مصغرة للدول والجماعات المسلحة من غير الدول، وبالتالي لا يجوز التحلل منها بأي حال من الأحوال.

٢- لقد نصت هذه المادة على معايير قانونية أساسية تمثل الحد الأدنى من الحماية لضحايا المنازعات المسلحة غير الدولية وتنطبق عليهم بدون تمييز.

٣- لقد وفق صائغي هذه المادة في إيراد جملة من الجرائم التي ترتكب في المنازعات المسلحة غير الدولية وتحت مسمى خاص (أفعال محظورة) بتوصيف غير قابل للتغيير في أي وقت وأي مكان.

٤- إن الإشارة إلى دور اللجنة الدولية في تقديم خدماتها لأطراف النزاع، يلقي على عاتقها مسؤولية الدفاع عن صمود الاتفاقيات أمام اختبار الزمن، وفيه تأكيد لرسالتها الإنسانية المحضة وهي حماية ضحايا الحرب والعنف الداخلي واتقاء المعاناة التي تولدها هذه الحالات.

---

[٦٣] د. هشام بشير وإبراهيم عبد ربه، مصدر سابق، ص١٤٢.

٥- إن البروتوكول الثاني الإضافي لسنة (١٩٧٧) بإيراده شروطاً (معينة من المتمردين أو الثوار في أثناء نزاعهم مع الحكومة الشرعية) لتطبيق أحكامه يمثل انتكاسة كبيرة، ذلك أنه قنن النظرة الضيقة لمفهوم المنازعات المسلحة غير الدولية وقصرها على طائفة محددة من النزاعات ألا وهي الحرب الأهلية، وبذلك حُرم ضحايا فئة كبيرة من أعمال العنف الداخلي (التي لا ترقى إلى مرتبة الحروب الأهلية بسبب انتفاء أحد الشروط المطلوبة) في الاستفادة من الحماية المقررة بموجب البروتوكول.

٦- جاء البروتوكول الإضافي الثاني لسنة (١٩٧٧) بقواعد حماية تفصيلية لضحايا المنازعات المسلحة غير الدولية، الأمر الذي يجعل من البروتوكول بحق مستكملاً لنقص المادة الثالثة وسداً لثغراتها.

٧- إن النص على (مبدأ التمييز) في ثنايا المادة الثالثة المشتركة ونصوص البروتوكول، يمثل انتصاراً حقيقياً لحق الإنسان في المساواة وتلقي الحماية من نصوص القانون المكتوبة بدون تمييز.

٨- على الرغم مما قيل من حقيقة ظاهرية واقعية تستند إلى التعابير اللفظية الصريحة (أن البروتوكول كما هو الحال في المادة (٣) المشتركة في اتفاقيات جنيف لعام (١٩٤٩) جاء خالياً من أية ضمانات دولية تكفل انطباق أحكامه. فإننا نرى أن جل الالتزام بالاتفاقية المصغرة يكمن أساساً بالالتزام بالقواعد العرفية التي تقرر الحد الأدنى من الحماية الإنسانية لضحايا المنازعات المسلحة غير الدولية. فالدول تلتزم بالاتفاقية المصغرة أساساً على أساس العرف.

٩- إن خروج طائفة كبيرة من حالات العنف الداخلي من دائرة المنازعات المسلحة غير الدولية نتيجة لعدم انطباق (شروط البروتوكول المحددة) لا يعني إطلاق يد الطرفين لممارسة الأعمال التي تؤدي إلى انتهاك حقوق وحريات المدنيين في دوامة العنف.

إن تبقى الأطراف المعنية (أطراف الصراع) ملتزمة باحترام وضمان الالتزامات الإنسانية، على أساس أن مبادئ الإنسانية والتي تعود جذورها إلى أعماق التاريخ، إنها بداية الإنسانية أي الحد الأدنى القابل للتطبيق في كل زمان ومكان، وهي تلزم الدول التي قد لا تكون أطرافاً في الاتفاقات، ومع أنه تقوم على أساس المكتوب، فإنها تشكل أيضاً جزءاً من العرف السائد لدى الشعوب، الذي لا يستطيع أحد التهرب منه وكما قال سوفوكليس (Sophocles) (فوق القوانين المكتوبة هناك القوانين غير المكتوبة).

١٠- من المنطلق أعلاه، أن قانون جنيف (اتفاقيات جنيف الأربعة لعام (١٩٤٩) وبروتوكوليها الإضافيين لعام (١٩٧٧) ملزم للدول كافة التي وقعت عليه أم لم توقع، على أساس قواعده آمرة ملزمة للدول ولا يجوز لأي دولة التنصل منها أو مخالفتها، لأنها من النظام العام كونها تعالج مسائل تهم الإنسانية جمعاء.

المصادر

المراجع والكتب

١. د أحمد أبو الوفا : النظرية العامة للقانون الدولي الإنساني (في القانون الدولي وفي الشريعة الإسلامية) ، ط٣ ، دار النهضة العربية، القاهرة ،٢٠١٣.
٢. أمحمدي بوزينة أمنة : آليات تنفيذ القانون الدولي الإنساني، دار الجامعة الجديدة ، الأسكندرية ٢٠١٤.
٣. د جان بكتيه: مبادئ القانون الدولي الإنساني: من أصدارات اللجنة الدولية للصليب الأحمر، جنيف، ١٩٧٥
٤. د. حازم عتلم: قانون النزاعات المسلحة الدولية، (المدخل – النطاق الزمني)، دار النهضة العربية، القاهرة، ٢٠٠٨
٥. د سعيد سالم جويلي، المدخل لدراسة القانون الدولي الإنساني، ، دار النهضة العربية، القاهرة، ٢٠٠١ – ٢٠٠٢
٦. د.صلاح الدين عامر: مقدمة لدراسة القانون الدولي العام، دار النهضة العربية، القاهرة،٢٠٠٧.
٧. د مفيد شهاب دراسات في القانون الدولي الإنساني، ط٢، إعداد نخبة من المتخصصين والخبراء وتقديم ، دار المستقبل العربي، بيروت، ، ٢٠٠٩.
٨. د.نغم إسحاق زيا: القانون الدولي الإنساني والقانون الدولي لحقوق الإنسان، دار المبطوعات الجامعية، الإسكندرية، ٢٠٠٩
٩. د.هشام بشير وإبراهيم عبد ربه: المدخل لدراسة القانون الدولي الإنساني، ط١، المركز القومي للإصدارات القانونية، القاهرة، ٢٠١٢

الوثائق

١. إتفاقيات جنيف الأربع لحماية ضحايا الحرب الموقعة في ١٢ أب ١٩٤٩.
٢. البروتوكول الاضافي الأول لاتفاقيات جيف لعام ١٩٧٧
٣. البروتوكول الاضافي الثاني لاتفاقيات جيف لعام ١٩٧٧
٤. المجلة الدولية للصليب الأحمر، ع ٦١، السنة ١١، أيلول ١٩٩٨
٥. مجموعة أحكام محكمة العدل الدولية لعام ١٩٨٦
٦. ميثاق الأمم المتحدة لعام ١٩٤٥
٧. النظام الأساسي للجنة الدولية للصليب الأحمر الصادر في (٢١ / حزيران/ ١٩٧٣) والنافذ في (٢٠ تموز ١٩٩٨).

مواقع الانترنيت

تقرير اللجنة الدولية للصليب الأحمر بعنوان (من نهاية الحرب العالمية الثانية حتى فجر القرن الحادي والعشرين)، عمل اللجنة الدولية للصليب الأحمر تحت تأثير الحرب الباردة وعواقبها (١٩٤٥ – ١٩٩٥). ٢٩ – ٤ – ١٩٩٥ منشور في المجلة الدولية للصليب الأحمر، العدد ٣٠٥ بقلم فرانسوا بونيون.www.Icr.Org/ar.

https://www.icrc.org/eng/resources/documents/misc/5kzmuy.htm
The battle of solferino / British redcross, www. Red cross. Org. U. K.

دراسة الفعالية الحيوية لبعض معقدات فلزات السلسلة الانتقالية الأولى مع حامض السالسيليك والسيفالكسين ضد أنواع من البكتريا

م.م. اثير عبدالرحيم محمود د.عبدالقادر محمد عبدالقادر م. زينة غازي فيصل
الجامعة العراقية – كلية التربية

المستخلص

في دراسات سابقة لزيادة فعالية السيفالكسين الحيوية درست العديد من المعقدات السيفالكسين مع العديد من العناصر الانتقالية وضمن هذه الدراسة استخدمنا بعض الليكندات الإضافية لايجاد مركبات جديدة اكثر فعالية حيوية واقل سمية باستخدام طرق مختلفة لتحضير وتشخيص عدد من معقدات السيفالكسين مع بعض الايونات الثنائية لفلزات السلسلة الانتقالية الأولى (Cu, Co, Mn) وذلك باستخدام مولين من السيفالكسين كليكند مرة و مول واحد من السيفالكسين مع مول من حامض السلسليك كليكند مرة أخرى بالإضافة إلى مول واحد من تلك الفلزات، وتم دراسة بعض الصفات الفيزوكيميائية لهذه المعقدات لتفسير وتوضيح أهمية التثبيط لتلك المركبات، كما شخصت المعقدات المحضرة باستخدام أطياف FT-IR و UV.Vis. وقياس درجات الانصهار لها بالإضافة إلى قياسات الحساسية المغناطيسية، وتم دراسة الفعالية الحيوية للمعقدات الناتجة ضد خمسة انواع من البكتريا واعطت نتائج متفاوتة بالمقاومة لها مقارنة بالسيفالكسين.

الكلمات المفتاحية :الفلزات الانتقالية ،حامض السالسيليك ،السيفالكسين

Biological Activity of Some Complexes of First Transition Metals Series with Salicylic Acid and Cephalexin Against Bacteria

Abstract

In previous studies for increase the biological activity of the Cephalexin, there are many studies of complexes Cephalexin with different of transition elements. In the present study including the preparation and diagnosis of a number of complexes Cephalexin with some divalent metals of first transition chain as (Cu, Co, Ni, Zn, Mn) using two moles of Cephalexin as a ligand and other complexes

of one mole of Cephalexin with mole of salicylic acid as a ligand too with one mole of transition metals. Then, they are studied some physicochemical properties of these complexes to explain and illustrate the importance of inhibition of these compounds. In addition, these new complexes diagnosed using FT-IR and UV.Vis spectra and measuring the degree of melting point as well as magnetic susceptibilities. The biological activity was studied of the new prepared complexes against five types of bacteria and has given different results of resistance compared to Cephalexin.

١- المقدمة Introduction

١-١ الفلزات الانتقالية Transition Metals

تكون الفلزات الانتقالية مركبات معقدة ذات خصائص طيفية ومغناطيسية مهمة وكثير من هذه المركبات مكونة ضرورية في الأنظمة البيولوجية مثل الهيموكلوبين (كمعقد الحديد Fe)، والمركبات مضادات مرض السرطـــان (carboplatin cisplatin). المركب التناسقي Coordination Compound هو مركب مستقر لا يعطي كافة الأيونات المكونة له عند ذوبانه في الماء ، فمثلا معقد $[Co(NH_3)_6]Cl3$عند ذوبانه لا يعطي أيون Co(III) المجرد و جزيئات الامونيا ولكنه يعطي الايون المعقد $[Co(NH_3)_6]^{+3}$[1].

واستنادا إلى نظرية برونشتد- لوري[2] يمكن للأصرة التناسقية وبالتالي المركب المعقد أن تتكون بين أي ذرة أو أيون يستطيع أن يتقبل زوجاً من الالكترونات والذي يعد حامضاً حسب مفهوم لويس (Lewis Acid)، وأية ذرة أو أيون يستطيع أن يوفر هذا الزوج الالكتروني والذي يعد قاعدة لويس (Lewis Base) أما الليكاندات وهي الجزيئات أو الأيونات المحيطة بأيون الفلز المركزي والتي قد تمثل جزيئه متعادلة مثل NH_3، H_2O, CO أو جزءاً من أيون مثل Cl^- ، NH_2، CO_3^{2-}، CH_3COO^-. واستنادا إلى حاصل مجموع الشحنات للمركب المعقد فإن المعقد الناتج قد يكون أيوناً موجباً(معقداً كاتيونياً cationic complex) مثل$[Co(NH_3)_6]Cl_3$ أو أيوناً سالباً (معقداً انيونياً anionic complex) مثل $K_3[Cr(C_2O_4)_3]$ أو معقداً غير الكتروليتي أي غير مشحون مثل $[Pt(NH_3)_2Cl_2]$[3].

١-٢ السيفالكسين (Cephalaxine) [4]

مضاد حيوي قاتل للبكتريا من الجيل الأول من عائله السيفالوسبورينات، وهو فعال باستخدامه عن طريق الفم، يتميز بطيف فعالية واسع يشمل البكتريا ذات الصبغة

السالبة والموجبة بما فيها المكورة العنقودية الذهبية المنتجة للبيتا لاكتاميز، مثل سباحيات تحلل الدم، الكرويات المزدوجة الرئوية، الكرويات العنقودية هيموفيل الأنفلونزا و بروتيس ميرابيلس ، ميكروب الزكام، عصيات القولون ، كلبسيلا ، شيجلا ، و السالمونيلا. و يتميز تركيبة الكيميائي بأنه يمكن ان يكون ثنائي أو ثلاثي السن او ربما أكثر.

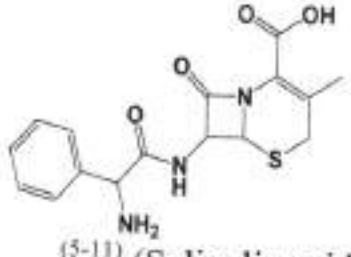

(5-11)

١-٣ حامض السالسيلك (Salicylic acid)

هو حامض كاربوكسيلي أروماتي عديم اللون يستخلص طبيعياً من بعض النباتات كالصفصاف الأبيض وإكليلية المروج ويمكن صنعه كذلك في المختبر ويستخدم في مجال الصيدلة كدواء لصداع الرأس ومسكن للألام ومضاد للالتهابات ومخفض لدرجة الحرارة ومفيد في محاربة حب الشباب وهو المركب الرئيسي لعدة أدوية معروفة خاصة الأسبرين. ويتميز تركيبه الكيميائي بكونه ليكنداً ثنائي السن كما في الشكل أدناه :

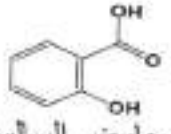

بنية حامض السالسيلك

١-٤ انواع البكتريا

بكتريا (**Escherichia coli**) هي من أهم أنواع البكتيريا التي تعيش في أمعاء الثديات. وتعرف أيضا باسم جرثومة الأمعاء الغليظة، تعيش في أمعاء الإنسان والحيوان دون أن تسبب أي مشاكل . ومع ذلك ، فهناك أنواع معينة (أو سلالات) من بكتيريا القولون التي يمكن أن تسبب التسمم الغذائي[٢٩]. البكتريا العنقودية (**staphylococcus epidermidis**) وهي مكوّرات غير متحرّكة، لا تبني البوغ، ترتيبها في العادة على شكل العناقيد، تتلوّن إيجابيًا حسب طريقة غرام، عدد أنواعها حاليًا يقارب العشرين أو يزيد. تتسبّب بالإصابات الجلدية مثل الداحس والقوباء[٣٠]. بكتريا العنقوديات الذهبيّة أو ستافيلوكوكس ايريس (**staphylococcus aureus**) نوع من البكتيريا ذات الصبغة الموجبة، عادة ما تعيش على جلد الإنسان أو في جوف الأنف. يتصف هذا النوع من الجراثيم بعدة صفات منها إيجابية التخثير، تفكيك الـ (DNA)، واستهلاكه للسكر من نوع

المانيتول. أحد الأمراض التي يسببها هذا النوع من الجراثيم هو متلازمة الصدمة التسممية، التي تؤدي إلى مرض شديد يصاحبه حمى، طفح أحمر واسع الانتشار مع تأثر أعضاء أخرى في الجسم[٢١]. بكتريا (**pseudomonas aeruginosa**) والتي تعتبر جراثيم ذات صبغة سالبة وهي مقاومة طبيعية للبنسلين وغالبيتها ذات الصلة بالمضادات الحيوية بيتا لاكتام ، ولكن تعد حساسة لل **piperacilling**، **imipenem**، توبراميسين، أو سيبروفلوكساسين[٢٢]. اما بكتريا (**klebsiella pneumoniae**) فتعد جنس بكتيري ذات صبغة سالبة أحد أعضاء عائلة البكتيريا المعوية , وهي بكتيريا عصوية الشكل، غير متحركة، غير مكونة للابواغ، ذات كبسولة بارزة مكونة من السكر المتعدد (**polysaccharides**) وسميت نسبة للعالم ادوين كليبس (**Klebs Edwin**) تسبب العديد من الأمراض مثل ذات الرئة و التهاب الجهاز البولي و أنتان الدم وغيرها[٢٣].

١-٥ تصميم الدواء: (Drug Design)

يشار إليه أحياناً بتصميم الأدوية العقلاني (أو المنطقي) أو تصميم الأدوية القائم على الهيكلية، هو عملية مبتكرة لإيجاد أدوية جديدة مبنية على معرفة الهدف البيولوجي. هذا الدواء الذي يتم تصميمه هو عادة ما يكون جزيئاً عضوياً صغيراً يقوم بتنشيط أو تثبيط وظيفة من جزيء حيوي مثل البروتين والذي يؤدي بدوره فوائد علاجية للمريض. بمعنى أبسط، أن تصميم الأدوية ينطوي على تصميم الجزيئات الصغيرة التي تتكامل في الشكل مع الهدف الجزيئي البيولوجي أو و تتفاعل معه، وبالتالي ستكون مثبطة له. تصميم الأدوية يتم وبشكل شائع على تقنيات النمذجة (Molecular Modeling) الحاسوبية ولكن لا يعتمد بالضرورة على الحاسوب دائما[٢٤].

وهناك نوعان رئيسيان من تصميم الأدوية: الأول ligand-based drug design والذي يستخدم مجموعة معروفة من الليكندات ولكن موقع المستقبل غير معروف. والثاني هو تصميم الدواء اعتماداً على المستقبل (البروتين) او (تصميم الدواء اعتماداً على التركيب) والذي يعتمد على معرفة بالشكل الثلاثي الأبعاد للهدف البايلوجي (البروتين المستقبل) الذي يتم الحصول عليه من خلال وسائل مثل x-ray البلورية أو التحليل الطيفي NMR[٢٥]. من المستبعد بشدة أن يبرز دواء مرشح مثالي من بين عمليات التحرّي المبكرة. من الملاحظ بشكل شائع أن عدة مركبات يكتشف بأنها تملك درجة معيّنة من الفاعلية، وإذا كانت هذه المركبات تتقاسم ملامح كيميائية مشتركة، عندها يمكن تطوير واحد أو أكثر من حوامل الخواص الدوائية. عند هذه النقطة، سيلجأ الكيميائي الدوائي للسعي

لاستخدام علاقات البنية بالتأثير (SAR) structure-activity relationships) لتطوير ملامح معيّنة للمركبات الرئيسية مثل[٢٤]:

- زيادة الفاعلية تجاه الهدف المختار.
- تقليل الفاعلية تجاه الأهداف ليست ذات العلاقة.
- تحسين خواص المشابهة للدواء أو الـADME للمركب (امتصاص ، توزيع ، هضم ، طرح الدواء).

وعندما يتم تعيين سلاسل مركبات رئيسية مع فاعلية في الارتباط بالهدف كافية وانتقائية وخواص مشابهة للدواء المرغوب، عندها سيتم تقديم مركب أو مركبين للتطوير الدوائي[٢٤].

٢- الجزء العملي Practical Part

٢-١ طريقة العمل Procedure

تم تحضير المعقدات بتفاعل أملاح الفلزات مع الليكندات بنسبة (1:1:1) هذا يعني 1 mole من الفلز مع 1 mole من حامض السالسيلك مع 1 mole من السيفالكسين، [Cu(sal)(ceph)] الذي حضر من إضافة ملح الفلز $CuCl_2.2H_2O$ (1.7 g في 10 ml مذيب) الى السالسيلك (2.67 g المذاب في 10 ml مذيب) مع التحريك ثم إضافة المتكون إلى السيفالكسين (3.65 g مذاب في أكثر من 10 ml مذيب مع التحريك والتسخين)، ثم يحرك المزيج ويسخن إلى درجة 80 °C وذلك للتخلص من بقايا الايثانول في المذيب لمدة ساعة تقريباً ، وبرد المزيج لمدة 24 hr. ولوحظ تكون الكريستالات للمعقد، وبعدها تم الترشيح للحصول على الكريستال ، ومن ثم غسل الراسب بالايثانول وجفف في الفرن لحين التخلص من الرطوبة. وحضرت باقي المعقدات بالطريقة نفسها مع اختلاف فقط في ملح الفلز وكميته[12].

٢-٢ الأجهزة المستخدمة Apparatus

١. ميزان حساس (HR-200) مجهز من شركة (A&D) الأمريكية .
٢. ماصة مايكروية (Micro pipette) ذات حجوم متغيرة (5-50 µL) و (5-1000 µL).
٣. جهاز مطياف الأشعة فوق البنفسجية والمرئية من نوع (UV-1650 PC) (2009 Shimadzu) .
٤. جهاز مطياف الـ FT-IR باستخدام الجهاز (Fourier Transform Infrared Spectrophotometer) FT-IR (IR-Prestige-21 : (SensIR Technologies :SHIMADZU, Travel-IR
٥. جهاز قياس الحساسية المغناطيسية (Magnetic susceptibility measurements)

وقيست الحساسية المغناطيسية للمعقدات المحضرة باستخدام طريقة فرداي عند درجة حرارة 24 °C ، وتم حساب معامل التصحيح المغناطيسي (D) باستعمال ثوابت باسكال الخاصة بالذرات المكونة للمعقدات المحضرة باستعمال جهاز من نوع (Magnetic Susceptibility Balance Mark 1)، وقد تم حساب العزم المغناطيسي الفعال (Effective magnetic moment) من العلاقة:

$$\mu eff = 2.828 \sqrt{\chi A \, . \, T \quad B.M}$$

إذ ان : T درجة الحرارة المطلقة.
XA = الحساسية الذرية المصححة من وجود المكونات الدايامغناطيسية .
μeff = العزم المغناطيسي المؤثر (الفعال).

٦. قياسات درجة الانصهار قيست درجات الانصهار أو درجات التفكك لجميع المركبات المحضرة باستخدام جهاز Electrothermal 9300 Engineering .

٣.٢ قياس الفعالية الحيوية

تم اختبار الفعالية التثبيطية للمعقدات باستخدام طريقة اختبار الحساسية (طريقة الانتشار بالأقراص)[٢٨] (Disk diffusion method) (Sensitivity test method) وبطريقة الانتشار بالحفر.

٤.٢ الحسابات النظرية:

اجريت جميع الحسابات النظرية باستخدام الحاسوب الشخصي (Personal Computer) مع وحدة المعالجة المركزية Core i7 processor (CPU 2.20GHz) وذاكرة الوصول العشوائي (RAM 8GB), بنظام تشغيل وندوز ٧ وباستخدام برنامج الـ MOE، (Molecular Operating Environment) ، (v.(2009 المطور من مجموعة (Chemical Computing Group, Montreal, Canada)[٢٦] والذي استخدم لمعالجة التراكيب البلورية المأخوذة من قاعدة البيانات للبروتينات PDB[٢٧] واستخدم لحساب طاقات الترابط (E-Docking) بين المعقدات المقترحة وبعض أنواع البكتريا (A-staphylococcus aureus (PDB:2z6f), B- psedudomanas areugionosa (PDB:1lry), C-Escherichia coli (PDB:1llb), D- klebsiella pneumoniae (PDB:4hl1), E-stophylococcue epidermidis (PDB:3kp2) لمعرفة تأثيرها المضاد على النمو البكتيري.

٣- النتائج Results

تضمنت الدراسة اقتراح عدد من المركبات الدوائية مقسمة إلى مجموعتين اعتماداً على نوع الليكند حيث شملت المجموعة الأولى على جزيئة سيفالكسين وجزيئة حامض السالسيلك كليكندات مرتبطة مع عناصر (Cu, Co, Mn) كذرات مركزية للمعقدات والمجموعة الثانية تتمثل في جزيئتين من السيفالكسين مرتبطة مع العناصر مكونة معقدات أخرى. وعند دراسة الشكل ثلاثي الأبعاد للسيفالكسين بين العديد من الاحتمالات للارتباط بالذرة المركزية نظراً لامتلاك تركيبه أربع مجاميع رئيسية واهبة للالكترونات (COO-, NH2, CONH, C=O) بإمكانها الارتباط مع الذرة المركزية ولذلك تم دراسة نوعين من الاحتمالات للارتباط النوع الأول من خلال (COO-, C=O) والأخر من خلال (NH_2, CONH).

٤- المناقشة Discussion

ان اغلب المعقدات ظهرت بشكل ملون وذات طبيعة صلبة ومستقرة بالاضافة الى كون بعضها غير متبلور، وذات درجات انصهار متفاوته ، وان قابلية ذوبانها بالماء جزئياً وبنسب متفاوته مثل معقد النحاس اعطى ذوباناً جزئياً بالماء افضل من معقدات المنغنيز ولكنها تذوب بشكل تام في كل من المذيبات مثل الـ (DMF) و الـ (DMSO). المركبات المحضرة تحوي عدداً مقبولاً من الذرات المانحة والمستقبلة مثل (N,O,..etc.) ، والتي تزيد من قوة التداخل للمركب والارتباط مع البكتريا ضمن الحدود المسموحة من دون التأثير على الصفة الهيدروفوبية المهمة للمركبات لاختراق جدار الخلية والسماح للمركب ليكون ضمن حدود السمية (Toxisity) المقبولة لهذا النوع من المركبات العلاجية.

٤-١ أطياف الأشعة تحت الحمراء Infrared Spectra

تعد هذه التقنية مهمة جداً لتشخيص ودراسة الليكاندات ومعقداتها مع العناصر الانتقالية لوجود أواصر تناسقية حيث يتم متابعة حزم الامتصاص للمجاميع التي تحتوي ذرات يمكن أن تتناسق مع العناصر الانتقالية حيث يحصل انزياح في مواقع حزم الامتصاص للذرات المتناسقة نحو تردد أقل أو أعلى عن مواقع حزم امتصاص المجاميع في حالة الليكاند غير المتآصر، ويحصل هذا التغير في حزم الامتصاص نتيجة التغير في التركيب الالكتروني والمستوى الطاقي والتماثل في الليكاندات وهذه التغيرات تؤثر في الترددات الاهتزازية لليكند ومن ثم في الاطياف الاهتزازية للمعقدات مما يعطي مؤشراً كبيراً لحدوث التناسق بين الايون الفلزي وليكند الحر[13].

جدول (٣-٢): بعض الصفات الفيزيائية للبكندات والمعقدات

No.	Complexes	M.W	Formula	Yield %	M.P (°C)	Colors	Elemental Analysis C.H.N
0	Cephalexin.H_2O	347.38	$C_{16}H_{17}N_3O_4S$	-	178 °C	ابيض	C, 55.32; H, 4.93; N, 12.10; O, 18.42; S, 9.23
0	Salicylic acid	138.12	$C_7H_6O_3$	-	158.6 °C	ابيض	C, 60.87; H, 4.38; O, 34.75
1	$[Mn(sal)(ceph)]Cl_2$	553.42	$C_{23}H_{20}MnN_3O_8S$	95.8	144	اصفر	C, 49.92; H, 3.64; Mn, 9.93; N, 7.59; O, 23.13; S, 5.79
2	$[Co(sal)(ceph)]Cl_2$	557.41	$C_{23}H_{20}CoN_3O_8S$	46.3	170-173	اخضر	C, 49.56; H, 3.62; Co, 10.57; N, 7.54; O, 22.96; S, 5.75
3	$[Cu(sal)(ceph)]Cl_2$	562.03	$C_{23}H_{20}CuN_3O_8S$	27.9	>400	بني مخضر	C, 49.15; H, 3.59; Cu, 11.31; N, 7.48; O, 22.77; S, 5.71

جدول (٣-٣) يوضح قيم لحزم طيف الأشعة تحت الحمراء (IR) التي تم قياسها للمعقدات بالإضافة إلى السيفالكسين وحامض السلسليك، حيث دلت النتائج على حصول عملية التعقيد للبكندات (السيفالكسين والسلسيلك) المستخدمة وارتباطها بالذرة المركزية (M) ولكن هناك اختلاف في مكان الارتباط حيث إن بعض العناصر ارتبطت من جهة مجموعتي الـ (COO, C=O) للسيفالكسين وجهة الـ(COO, OH) للسلسيلك والبعض الأخر ارتبط من خلال مجاميع (NH_2,

(CO-N للسيفالكسين وذلك من خلال قيم حزم الامتصاص والتي أصبح لها إزاحة قليلة بعد ارتباطها بالذرة المركزية (M) لتكوين المعقد ولتوضيح ذلك الارتباط بشكل أكثر دقة وتوضيح شكل المعقد المتكون يجب الاستعانة بطيف ال (UV-Vis) وطيف الرنين النووي المغناطيسي(H-NMR).

من خلال طيف الـ (FT-IR) وجدت القيم (1759، 1689، 1539، 3429، 3271) والتي تعود إلى المجاميع الفعالة (COOH،C=O، CO-N، CO-، NH_2،N) لمركب السيفالكسين، بالإضافة إلى القيم (1747، 3012، 3236) العائدة لمجاميع (OH،CO-OH،COOH) في مركب حامض السالسيلك. والتي إذا ما تم مقارنتها مع القيم المناظرة للمعقدات المحضرة نلاحظ أن القيم العائدة للمجاميع الفعالة (C=O، COOH) قلت بمقدار (cm^{-1} 10-30) في جميع المعقدات وهذا يؤكد على حصول عملية التعقيد والارتباط لهذه المركبات مع الذرة المركزية عن طريق تلك المجاميع. وكذلك هناك قيم لحزمة جديدة ظهرت بشكل واضح بطيف المعقدات عند القيمة (cm^{-1} 1014-1020) والتي تعود لتردد مجموعة (C-O) بالإضافة إلى حزم أخرى بالمدى (cm^{-1} 440-460) والتي ربما تعود إلى الأصرة (M-O) نتيجة ارتباط الفلز بالليكند كما في الجدول (٣-٣) وهذا يتوافق مع ما ذكر بالأدبيات.

جدول (٣-٣): بيانات طيف الـ (FT-IR) للمعقدات المحضرة ولليكندات

No.	Complex	F.G	□ Cm-1
1	Cephalexin.H_2O	-COO	1759
		-C=O	1689
		C=O-N-	1593
		NH_2	3429
		-C=O-N-H	3271
2	Salicylic acid	-COO	1747
		CO –OH	3012
		OH	3236

3	$[Mn(sal)(ceph)]Cl_2$	-COO	-
		-C=O	1670
		C=O-N-	1635
		NH_2	3429
		-C=O-N-H	3201
4	$[Co(sal)(ceph)]Cl_2$	-COO	-
		-C=O	1658
		C=O-N-	1630
		NH_2	3448
		-C=O-N-H	3232
5	$[Cu(sal)(ceph)]Cl_2$	-COO	1766
		-C=O	1670
		C=O-N-	1597
		NH_2	3429
		-C=O-N-H	-

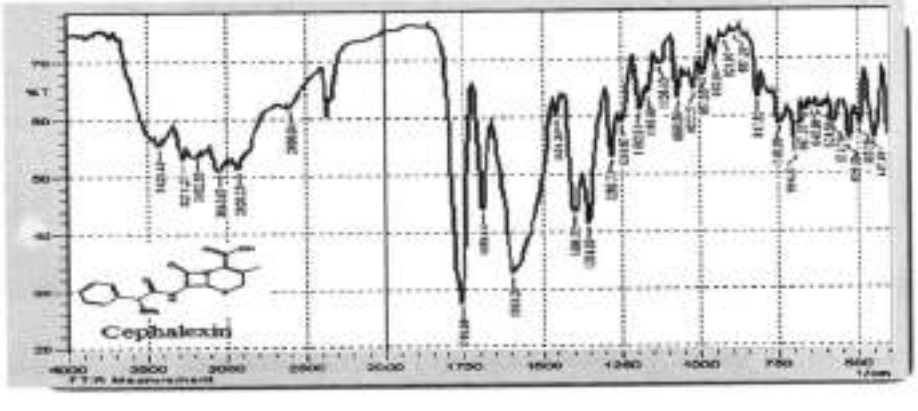

طيف الأشعة تحت الحمراء (FT-IR) للسيفالكسين

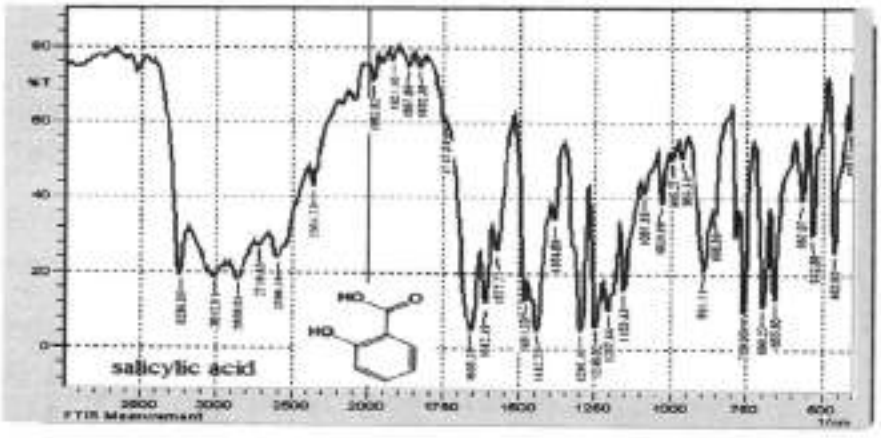

طيف الأشعة تحت الحمراء (FT-IR) لحامض السلسليك

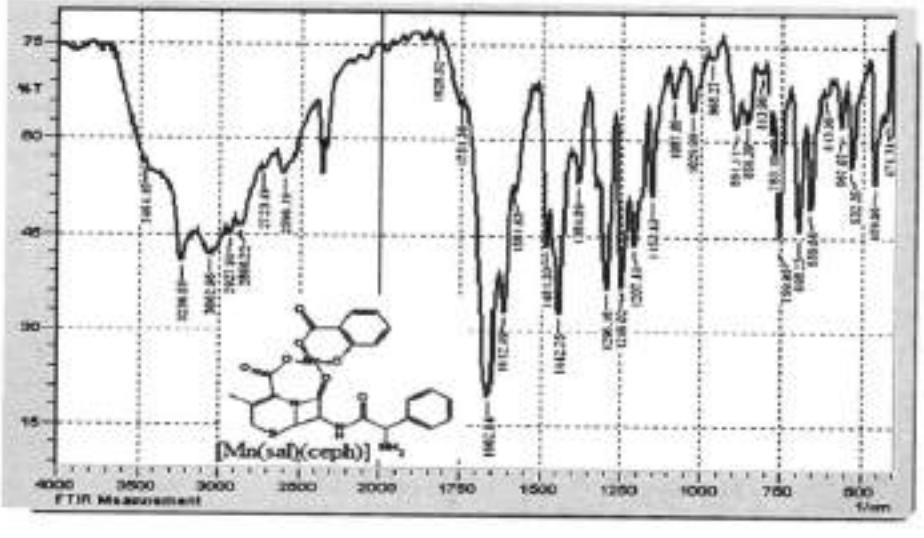

طيف الأشعة تحت الحمراء (FT-IR) للمعقد المحضر من فلز الـ Mn مع السيفالكسين وحامض السلسليك

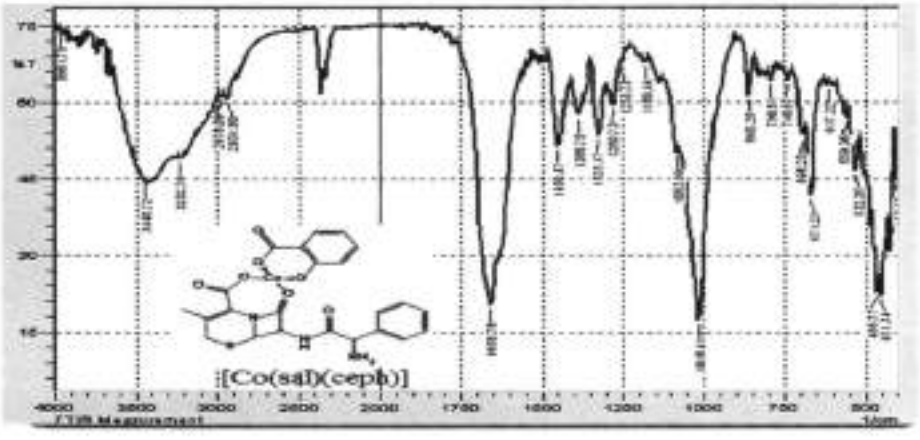

طيف الأشعة تحت الحمراء (FT-IR) للمعقد المحضر من فلز الـ Co مع السيفالكسين وحامض السلسليك

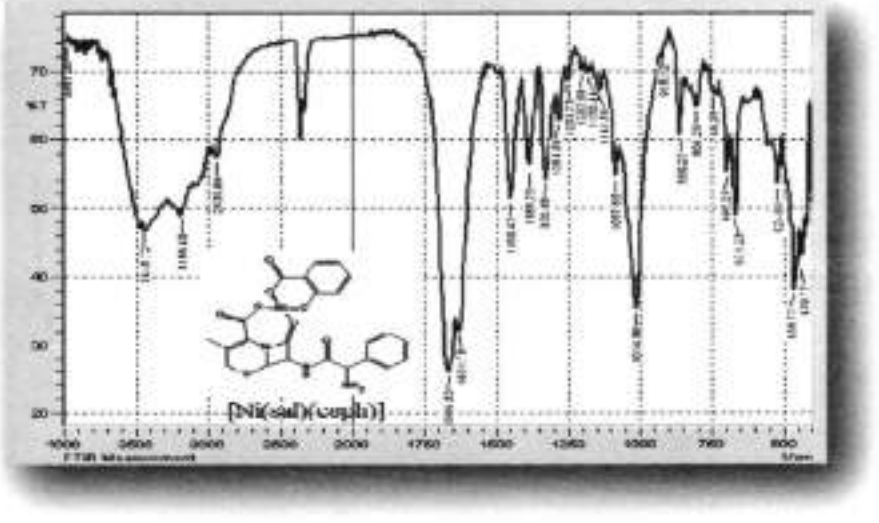

طيف الأشعة تحت الحمراء (FT-IR) للمعقد المحضر من فلز الـ Ni مع السيفالكسين وحامض السلسيلك كليكندات.

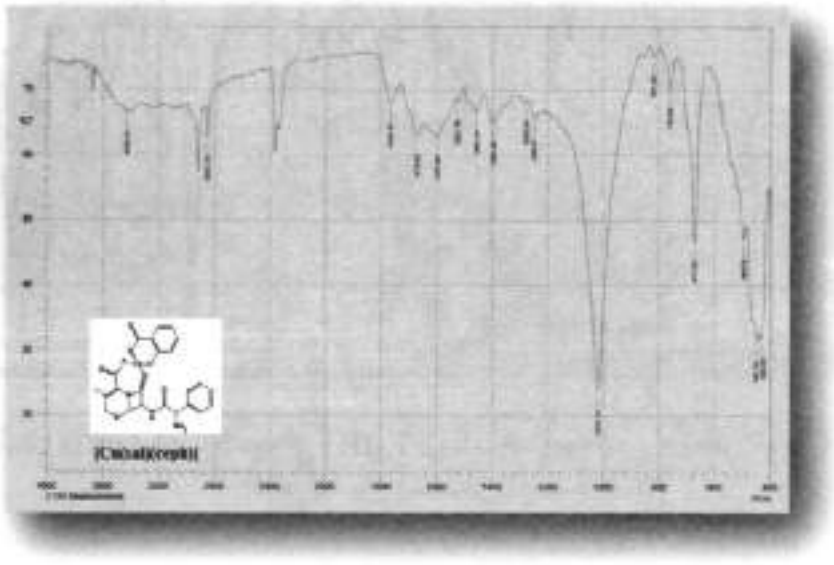

طيف الأشعة تحت الحمراء (FT-IR) للمعقد المحضر من فلز الـ Cu مع السيفالكسين وحامض السلسيلك كليكندات

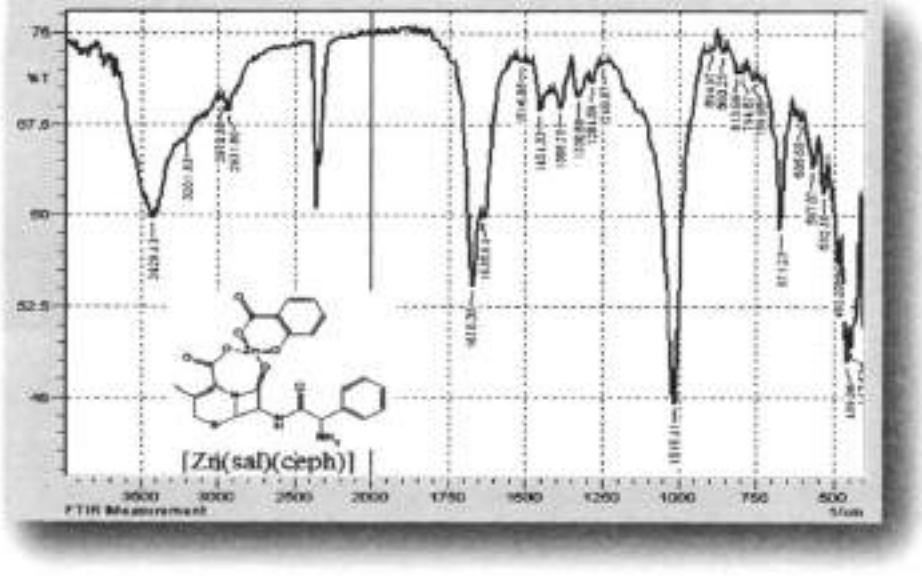

طيف الأشعة تحت الحمراء (FT-IR) للمعقد المحضر من فلز الـ Zn مع السيفالكسين وحامض السلسيلك كليكندات.

٤-٢ الأطياف الألكترونية Electronic Spectra

ان معظم معقدات العناصر الانتقالية تكون ملونة[14] لذا فهي تظهر امتصاصات عند أطوال موجية معينة في المنطقة المرئية من الطيف، هذه الامتصاصات ترافقها عادة امتصاصات اخرى في المنطقة تحت الحمراء القريبة وفوق البنفسجية القريبة المجاورة لها. ويعود سبب الاهتمام والتركيز على كيمياء معقدات العناصر الانتقالية إلى التطور في النظريات الناجحة في تفسير هذه الخواص التي ترتبط بمركبات الفلزات الحاوية على أوربيتال (d) الممتلئ جزئياً، إذ يمكن تفسير ألوان المعقدات وخواصها المغناطيسية استناداً إلى هذه النظريات. وقد أصبح قياس الطيف المرئي في الوقت الحاضر جزءاً مهماً في تشخيص العديد من المعقدات.
يمكن تقسيم الامتصاصات في الأطياف الألكترونية للمعقدات إلى الأنواع الآتية [15]:

١. أطياف ترتبط أساساً بالليكاند وتعرف بطيف الليكاند.
٢. أطياف تتضمن انتقالات إلكترونية ما بين الفلز والليكاند وتسمى بأطياف نقل الشحنة.
٣. أطياف ترتبط أساساً بالفلز الذي يتأثر بوجود الليكاند وتدعى أطياف d-d .
٤. أطياف ترتبط بالأيون المرتبط بالأيون المعقد.

ولمناقشة التراكيب المتوقعة للمعقدات المحضرة في هذه الدراسة سنتطرق إلى ذكر الانتقالات الالكترونية التي تظهرها أيونات المنغنيز (II) والكوبلت (II) d^7 والنحاس (II) d^9 في مجالات بعض الأشكال الهندسية.
طيف السيفالكسين: الطيف الالكتروني لليكند في مذيب الـ (DMF) من (200-1100 nm) في درجة حرارة الغرفة ، اظهر امتصاص عند (250 nm) والتي تشير إلى انتقالات البنزين ($\pi^* \leftarrow \pi$) والحزمة (356,314 nm) وتشير إلى انتقالات ($\pi^* \leftarrow n$) والتي ترتبط مع التوتمرية التي تحدث في مجموعة (-C=N).
أما طيف الـ (UV-Vis.) للمعقد $[Mn(sal)(ceph)]Cl_2$ اظهر حزمتين الأولى (328 nm) والتي تعود إلى طيف انتقال الشحنة (C.T) بينما الحزمة الأخرى عند (978 nm) والتي تعود إلى طيف انتقال الاوربيتالات (d-d) في الشكل المربع المستو . أما الطيف الالكتروني لمعقدات الكوبلت (II) ذوات البرم الواطئ (مربع مستو) فقد أشار العالمان نيشيدا وكيدا(Kida وNishida)[16] إلى أن هذه المعقدات تظهر ثلاث حزم امتصاص عند ($4900\ cm^{-1}$) ($7500\ cm^{-1}$) و($18000\ cm^{-1}$)التي تعزى إلى الانتقالات(2A1g→2Eg),(2A1g→2B1g) و(2A1g→2E'g). وقد أظهرت نتائج الطيف الالكتروني لمعقدات الكوبلت (II) المحضرة ثلاث حزم امتصاص الأولى (320 nm) تعود إلى طيف مجال الليكند بينما الحزمة الأخرى عند (662 nm) تعود إلى طيف انتقال الشحنة والحزمة

الأخيرة عند (978 nm) والتي تعود إلى طيف انتقال اوربيتالات (d-d) في الشكل المربع المستوي. كذلك أظهرت معقد النحاس (II) حزم امتصاص عند (308 nm) وهي على الأغلب تمثل أطياف نقل الشحنة (C.T.) وفي حالات قليلة تعزى إلى حزم الليكاند إذ إن انتقالات الليكند قد تزاح إلى أطوال موجية اوطأ أو أعلى من أطياف المعقدات مشيرة إلى تكوين المعقدات، أما الحزمة (522 nm) تشير إلى طيف انتقال اوربيتالات (d-d) في الشكل المربع المستوي.

الجدول (٣-٤): الطيف الالكتروني لليكندات المحضرة باستخدام DMF والقياسات المغناطيسية

$\mu_{eff.}$ (BM)	Assignments	ABS	λ nm	Compound	No.
-	$n\rightarrow\pi^*$ $n\rightarrow\pi^*$ $\pi\rightarrow\pi^*$	2.659 2.647 0.005	356 314 250	Cephalaxine	1
2.8	6A1g→4T2g C-T	0.037 2.635	978 328	[Mn(sal)(ceph)]Cl_2	2
2.4	(2A1g→2E'g) C-T C-T L-F	0.023 0.051 0.063 2.624	978 662 606 320	[Co(sal)(ceph)]Cl_2	3
2.2	1A1g→1A2g C-T	0.054 2.624	978 320	[Ni(sal)(ceph)]Cl2	٤
1.9	2Eg→2T2g C-T	0.991 2.582	522 308	[Cu(sal)(ceph)]Cl2	4
0.0	C-T C-T C-T	2.542 2.696 2.613	380 352 308	[Zn(sal)(ceph)]Cl2	٥

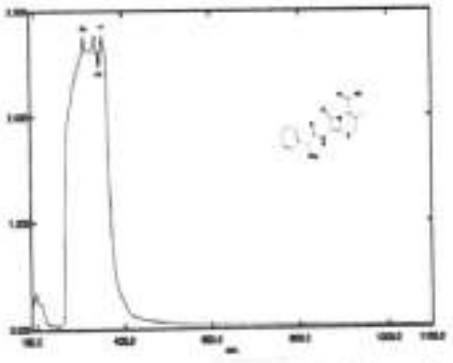

طيف الأشعة المرئية والفوق البنفسجية (UV-Vis) للسيفالكسين المستخدم كليكند

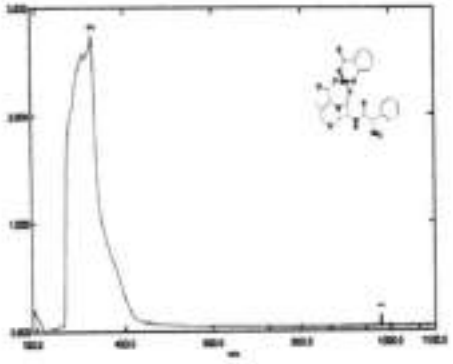

طيف الأشعة المرئية والفوق البنفسجية (UV-Vis) للمعقد المحضر من فلز الـ Mn مع السيفالكسين وحامض السلسيلك كليكندات.

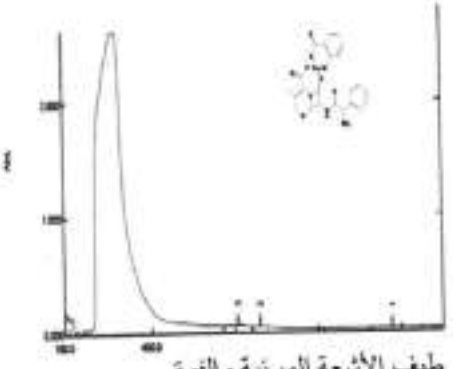

طيف الأشعة المرئية والفوق (UV-Vis) للمعقد المحضر الـ Co مع السيفالكسين و

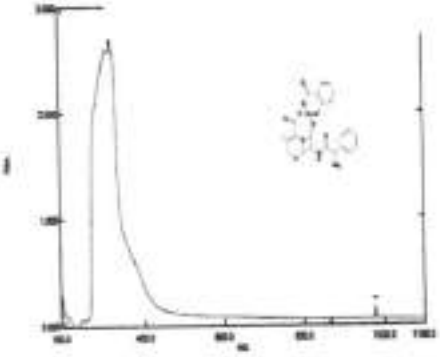

طيف الأشعة المرئية والفوق البنفسجية (UV-Vis) للمعقد المحضر من فلز الـ Ni مع السيفالكسين وحامض السلسيلك كليكندات.

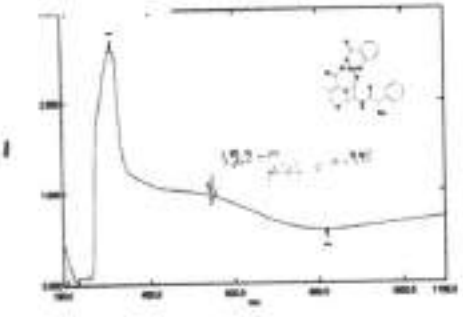

طيف الأشعة المرئية والفوق البنف (UV-Vis) للمعقد المحضر من فا Cuمع السيفالكسين وحامض السا

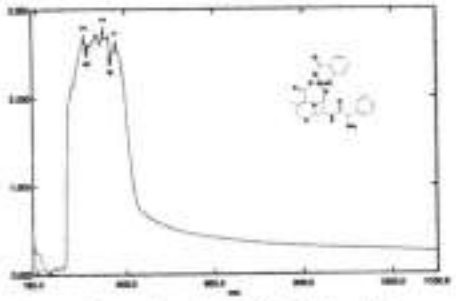

طيف الأشعة المرئية والفوق البنفسجية (UV-Vis) للمعقد المحضر من فلز الـ Zn مع السيفالكسين وحامض السلسيلك كليكندات.

٥- القياسات المغناطيسية Magnetic Measurement

لقد استخدمت القياسات المغناطيسية في تشخيص ودراسة معقدات الفلزات الانتقالية, اذ تزودنا القياسات المغناطيسية بمعلومات عن المركب من ناحية الترتيب الالكتروني والحالة التأكسدية لذرات الفلزات الانتقالية، فتعيين عدد الالكترونات المنفردة لأيون الفلز يدل على أن المعقد المدروس ذو برم عالٍ أو واطئ [17]. إن العزوم المغناطيسية التي تكون فيها المراكز البارامغناطيسية غير متداخلة يقال إنها مخففة مغناطيسياً(Magnetically diluted). أما في حالة حدوث تداخل بين عزوم الذرات المتجاورة بعضها مع بعض فان ذلك يؤدي إلى ما يعرف بالفيرومغناطيسية (Ferromagnetism) (تنتظم الأقطاب المغناطيسية المتجاورة باتجاه واحد) والمضادة للفيرومغناطيسية (Anti ferromagnetism) (تتجه الأقطاب المغناطيسية باتجاهات متعاكسة).

تحدث الخواص المغناطيسية للمعقدات نتيجة للحركة الاوربيتالية والحركة البرمية ويعرف العزم المغناطيسي النظري لايونات فلزات السلسلة الانتقالية الأولى بالعلاقة :

$$\mu = \sqrt{4S(S+1)+L(L+1)} \quad \text{B.M}$$

إذ إن :

S = عدد كم البرم الكلي.

L = عدد كم الزخم الزاوي الاوربيتالي الكلي.

وتكون قيمة العزم المغناطيسي مقتصرة على الحركة البرمية فقط عندما لا تكون هناك مساهمة اوربيتالية (L=0)، لذا فان العلاقة السابقة تختصر إلى صيغة برم فقط

: (Spin-only formula)

إذ إن : n = عدد الالكترونات المنفردة للذرة المركزية.

$$\mu_{s.o} = \sqrt{n(n+2)} \quad \text{B.M}$$

يوضح الجدول (٣-٤) قياسات الحساسية المغناطيسية لبعض المعقدات المحضرة وعند مقارنتها مع تلك القيم الواردة في الأدبيات [18] تبين انها تتفق تماما مع تلك القيم حيث ان معقدات Mn(II) رباعية التناسق تعتبر بارامغناطيسية وقيم العزم المغناطيسي (3.89-3.67B.M) وكذلك معقدات Co(II) رباعية التناسق وذات عزم قدره (2.70-2.20 B.M) أما معقدات Cu(II) فلها عزم مقداره (4.83-4.61B.M).

٣.٣ دراسة الفعالية الحيوية:

تم اختبار الفعالية التثبيطية للمعقدات (١-٥) على نمو خمسة أنواع من البكتريا الموجبة والسالبة الصبغة باستخدام طريقة اختبار الحساسية (طريقة الانتشار بالأقراص)[25] (Sensitivity test method) (Disk diffusion method) وبطريقة الانتشار بالحفر. اذ نقلت (٤-٥) مستعمرات نقية للأنواع الخمسة من الجراثيم (A,B,C,D,E) إلى الوسط الغذائي وحضن الوسط بدرجة (٣٧ م°) لمدة (١٦-١٤) ساعة ، وبعد ذلك حضر المركب بتراكيز (10^{-2} ، 10^{-3} ، 10^{-4} مولاري) مختلفة باستخدام المذيب الداي مثيل فورمالديهايد (DMF) ومن ثم وزعت بالحفر وحضنت الأطباق بدرجة (٣٧ م°) لمدة (١٤-١٦ ساعة) واعتمدت فترة التحضين المثلى للنمو بالاعتماد على منحني النمو القياسي[٢٥] لبيان حساسية المركبات المدروسة التي تعتمد على قطر حزم التثبيط كما في الجدول (٣-٥)، النتائج اختلفت حسب تركيب المعقد وخصائصه حيث اظهرت بعض المعقدات قيم جيدة في التثبيط واخرى مقاربة للسيفالكسين وربما يحتاج إلى تركيز أعلى واستخدام مذيب آخر غير الـ(DMF) الذي ربما يلعب دور بالتأثير على فعالية المركب من خلال التأثير على المجاميع الفعالة بالمعقد.

جدول (٣-5): قياس الفعالية البايولوجية للمعقدات المحضرة (١ الى ٥)

١-	نوع البكتريا	التركيز	رقم المعقد (معدل قطر التثبيط mm)					
			السيفالكسين	1 (Mn)	2 (Co)	3 (Ni)	(Cu) 4	(Zn)5
	G –ive							
أ	E.Coli	10^{-2}	3.5	1	0.56	٤	3.5	0.75
		10-3	1	0.75	—	1.5	1.5	—
		10-4	0.75	—	—	—	—	—
ب	Klebsiella Pneumoniae	10-2	3	0.75	1.5	3.5	4	1
		10-3	1.5	—	0.75	2	2.5	—
		10-4	0.75	—	—	—	0.5	—
ج	Pseudomonas aeruginosa	10-2	3.5	1	2.5	3.0	4.5	1.5
		10-3	2	—	0.7	1	2	—
		10-4	—	—	—	—	0.7	—
٢-	G +ive		—	—	—	—	—	—
أ	staphylococcus epidermidis	10-2	3	1.5	—	4.0	3.5	2
		10-3	1	—	—	2.5	2	0.7
		10-4	—	—	—	0.7	—	—
ب	staphylococcus aureus	10-2	3.5	2	1.5	3.0	3.5	3.0
		10-3	١	—	—	1	1.5	1
		10-4	—	—	—	—	—	—

ويوضح الجدول (٣-٦) في الملحق أيضا طاقات التداخل بين المركبات الدوائية المقترحة وتراكيب أنواع مختلفة من البكتريا المرضية كما في الحقول (A,B,C,D,E) حيث إن زيادة القيمة السالبة للطاقة تعطي زيادة بالتداخل بين المركب المقترح والبكتريا والتي تزيد الفعالية التثبيطية للنمو البكتيري لذلك المركب المقترح لتلك الأنواع من البكتريا وكما يلي:

- بكتريا نوع **A** وتمثل بكتريا الستافيلوكوكس ايريس (**staphylococcus aureus**): بينت القيم أن طاقة تداخل المركبات تكون أحيانا أعلى وباخرى اقل من قيمة تداخل المركب الدوائي السيفالكسين (١٨.١ -) مع البكتريا وهذا يوضح قوة هذا المركبات في اختراق جدار الخلية للبكتريا والقضاء عليها ، وكما هو معروف أن جدار الخلية يتكون من العديد من الطبقات التي تحتوي على الأحماض الدهنية والكاربوهيدرات بالإضافة إلى مكونات أخرى، وان أفضلية اختراق هذا الجدار يعود للصفات الهيدورفوبية (الكاره للماء والمحبة للدهون) للمركبات المقترحة مقارنة مع السيفالكسين والتي تم حسابها باستخدام عامل (**LogP O/W**) والذي يمثل نسبة ذوبان المركب بالاوكتانول كمذيب عضوي إلى نسبة ذوبانه بالماء وان زيادة قيمة **logP** تشير إلى زيادة الصفة الهيدروفوبية للمركب كما موضح بالجدول(٣-٦) حيث يمتلك المركبات قيمة اكبر مقارنة بالسيفالكسين (٠,٢٧)، وكما يوضح الشكل ادناه تداخل المركب مع البكتريا.

جدول (٣-١): المركبات الدوائية المقترحة وقيم طاقات التداخلات مع أنواع مختلفة من البكتريا وبعض الصفات الفيزوكيميائية المحسوبة.

No.	M.	Structure	A	B	C	D	E	E.S	LogP
0	Cep.	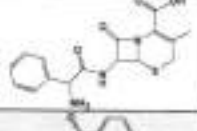	-18.1	-11.4	-9.8	-13.4	-11.7	45.35	0.27
1	Mn	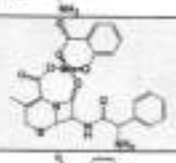	-15.4	-10.3	-8.4	-10.7	-9.9	112.702	1.95
2	Co	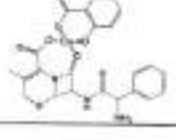	-14.4	-10.4	-8.9	-9.4	-9.5	92.21	1.95

3	Ni		-13.3	-12.2	-8.8	-9.0	-9.7	110.84	1.95
4	Cu		-14.6	-11.9	-8.9	-9.3	-9.7	95.96	1.95
5	Zn		-15.8	-11.5	-8.4	-9.3	-10.1	102.89	1.95

E.S is the Steric Energy in kcal/mol , E-Doc. is the interaction energy in kcal/mol of: A- staphylococcus aureus (PDB:2z6f), B- psedudomanas areugionosa (PDB:1lry), C-Escherichia coli (PDB:1llb), D- klebsiella pneumoniae (PDB:4hl1), E-stophylococcue epidermidis (PDB:3kp2), LogP (O/W): (octanol-water partition coefficient).

- بكتريا نوع **B** وهي عصية القيح الأزرق (**psedudomanas areugionosa**) حيث وضحت القيم هناك العديد من المركبات المقترحة أعطت طاقة أفضل للتداخل من السيفالكسين.
- بكتريا نوع **C** وتشمل البكتريا الإشريكية القولونية **(Escherichia coli)** كذلك هناك العديد من المركبات والتي أعطت أفضلية للتداخل مقارنة.
- بكتريا نوع **D** وتمثل بكتريا كليبسيلا أحد أفراد العائلة المعوية **(klebsiella pneumoniae)** حيث أعطت بعض المركبات قيم جيدة للتداخل.
- بكتريا نوع **E** وتشير إلى البكتيريا الكرويّة العنقودية الجلديّة **(stophylococcue epidermidis)** حيث وجد كذلك أن المركبات لدوانية المقترحة أعطت أفضل قيم للتداخل مقارنة بالسيفالكسين.

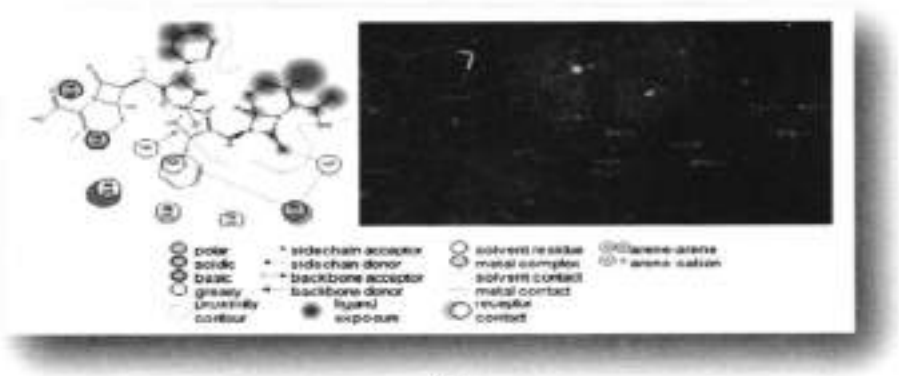

الشكل تداخل المركب رقم ٣ مع بكتريا الستافيلوكوكس ابريس.

من خلال النتائج السابقة يمكن ملاحظة أن اغلب المركبات المقترحة أعطت أفضلية بالارتباط مع اغلب أنواع البكتريا وخاصة المركبين (٤ ، ٣) (Cu, Ni) مقارنة بالمركب الدوائي السيفالكسين ولذلك تم دراستها عمليا وقيست فعاليتها البايولوجية مختبريا مع الأنواع الخمسة للبكتريا.

٤.٣ الاستنتاجات:

من خلال الدراسة النظرية لقيم طاقات التداخل للمركبات الدوائية المقترحة تم الحصول على أفضل المركبات تداخلا مع البكتريا إضافة إلى أن قيم طاقات الإعاقة الفراغية المحسوبة للمركبات المقترحة ساعدتنا في تفسير طيف ال(IR) والتي بينت أفضلية الارتباط للمعقدات من خلال مجموعتي (COO, C=O) بدلا من (NH2, CON)، كذلك الصفات الفيزوكيميائية المحسوبة مثل (LogP) بينت أفضلية المركبات المحضرة في اختراق جدار الخلية للبكتريا بسبب زيادة الصفة الهيدروفوبية فيها مقارنة بالسيفالكسين وان قيم الأطياف الالكترونية والمنغاطيسية المحسوبة أعطتنا فكره عن أشكال المعقدات المحضرة والتي تباينت بين المربع المستوي ورباعي السطوح.

الدراسات المستقبلية Futurity Studies

١. دراسة التوصيلية للمركبات المحضرة وحساب نسبة التعقيد من خلال حساب التوصيلية المكافئة.
٢. دراسة الفعالية البايولوجية للمركبات المقترحة والمحضرة كمضادات للفطريات.
٣. دراسة تأثير تلك المركبات على أنواع أخرى من البكتريا.

References المصادر

1. Atkins S., (2010)," Inorganic Chemistry " 4thEd, Gary Miessler, Donald A. Tarr; Prentice Hall, NEW YORK, USA.
2. CHAMBERS C. and Kenneth H., (1975), "Modern inorganic chemistry" 1st ed., Butterworth & Co (Publishers) Ltd, pp 395-424.
3. BRIAN M., CLAIR M. AND BRIAN J. H.W., (1998), "BASIC PRINCIPLES OF INORGANICCHEMISTRY Connections Making the Connections" The Royal Society of Chemistry, PP: 14-30.
4. McEvoy, G.K. (1995), "American Hospital Formulary Service - Drug Information 95". Bethesda, MD: American Society of Hospital Pharmacists, Inc., p. 166.
5. Haynes, William M., ed. (2011). "CRC Handbook of Chemistry and Physics" (92nd ed.). Boca Raton, FL: CRC Press. p. 303-306.
6. Beta Hydroxy Acids in Cosmetics. FDA. March 7, 2000.
7. Yates, R.L., and D.C. Havery, "Determination of Phenol, Resorcinol, Salicylic Acid and Alpha-Hydroxy Acids in Cosmetic Products and Salon Preparations," Journal of Cosmetic Science, vol. 50, pp. 315-325, 1999.
8. Salicylic Acid Topical. Medline Plus. September 1, 2008.
9. Balali-Mood M, Balali-Mood K. Salicylic acid. "Inter-Organization Programmed for the Sound Management of Chemicals" INCHEM. August 1996.
10. Diarmind Jeffreys, "Aspirin the remarkable story of a wonder drug", By: Bloomsulary, pp.38-40, 2005.
11. Philip A. Mackowiak, "Brief History of Antipyretic therapy clinical infection diseases", London, pp.154-156, 2000.
12. Peter C. Ford, (2007), "Reaction Mechanisms of Inorganic and Organometallic Systems" 3rd Ed., OXFORD UNIVERSITY PRESS, 532p.
13. Zahid H. C. and Maimoon F. J., (2000), "synthesis, characterization and biological evaluation of co(ii), cu(ii), Ni(ii) and zn(ii) complexes with cephradine" Vol. 7, Nr.5, pp255-269.

14. M.R.Mahmoud , A.M.Hamman and S.A.Ibrahim; (1984), Z.Phys. Chemi. , Leipzig , 265 ,302.
15. James E. H., (2008), "Inorganic Chemistry", Elsevier Inc. All rights reserved, Burlington, USA, pp:597-599.
16. Y.Nishida and S.Kida,Inorg.Nucl.Chem.Lett.,7,325-330,(1971).
17. K. R. Adam, M. Antolovich, D. S. Baldwin, P. A. Duckworth, A. J. Leong, L. F. Lindoy, M. McPartlin, P. A. Rasker, (1993), J. Chem. Soc., Dalton Trans. p:1013.
18. F.A.El.Saied, M.I.Ayad ,R.M.Issia & S.A.Ali ; (2001) Polish J.Chem. , 75 773 .
19. Singleton P (1999). Bacteria in Biology, Biotechnology and Medicine (5th ed.). Wiley. pp. 444–454.
20. Schleifer, K. H.; Kloos, W. E. (1975). "Isolation and Characterization of Staphylococci from Human Skin I. Amended Descriptions of Staphylococcus epidermidis and Staphylococcus saprophyticus and Descriptions of Three New Species: Staphylococcus cohnii, Staphylococcus haemolyticus, and Staphylococcus xylosus". International Journal of Systematic Bacteriology 25 (1): 50–61.
21. Kluytmans J, van Belkum A, Verbrugh H (July 1997). "Nasal carriage ofStaphylococcus aureus: epidemiology, underlying mechanisms, and associated risks".Clin. Microbiol. Rev. 10 (3): 505–20.
22. Balcht, Aldona & Smith, Raymond (1994). Pseudomonas aeruginosa: Infections and Treatment. Informa Health Care. pp. 83–84.
23. Ryan, KJ; Ray, CG, eds. (2004). Sherris Medical Microbiology (4th ed.). McGraw Hill.
24. Pranita P. K., Madhavi M. M., Rishikesh V. A., Rajesh J. O. and Sandip S. K. (2012), "Computer-Aided Drug Design: An Innovative Tool for Modeling", Open Journal of Medicinal Chemistry, 2, 139-148.
25. Tollenaere J.P., (1996), "The role of structure-based ligand design and molecular modelling in drug discovery", Pharm. World Sci. 18 (2): 56–62.
26. Vilar S., Cozza G., Moro S., (2008) "Medicinal chemistry and the molecular operating environment (MOE): application of QSAR and molecular docking to drug discovery", Curr. Top. Med. Chem., 8 (18):1555-1572.
27. Helen M. B., John W. , Zukang F. , Gary G., Bhat T. N. , Helge W., Ilya N. S. and Philip E. B., (2000), "The Protein Data Bank", Nucl. Acids Res., 28, (1):235-242.
28. A.W. Bauer, W.A.M. Kirby, J.S. Sherris and M. Turk; (1966), Am. J. Clin. Pathol., 493, 45.